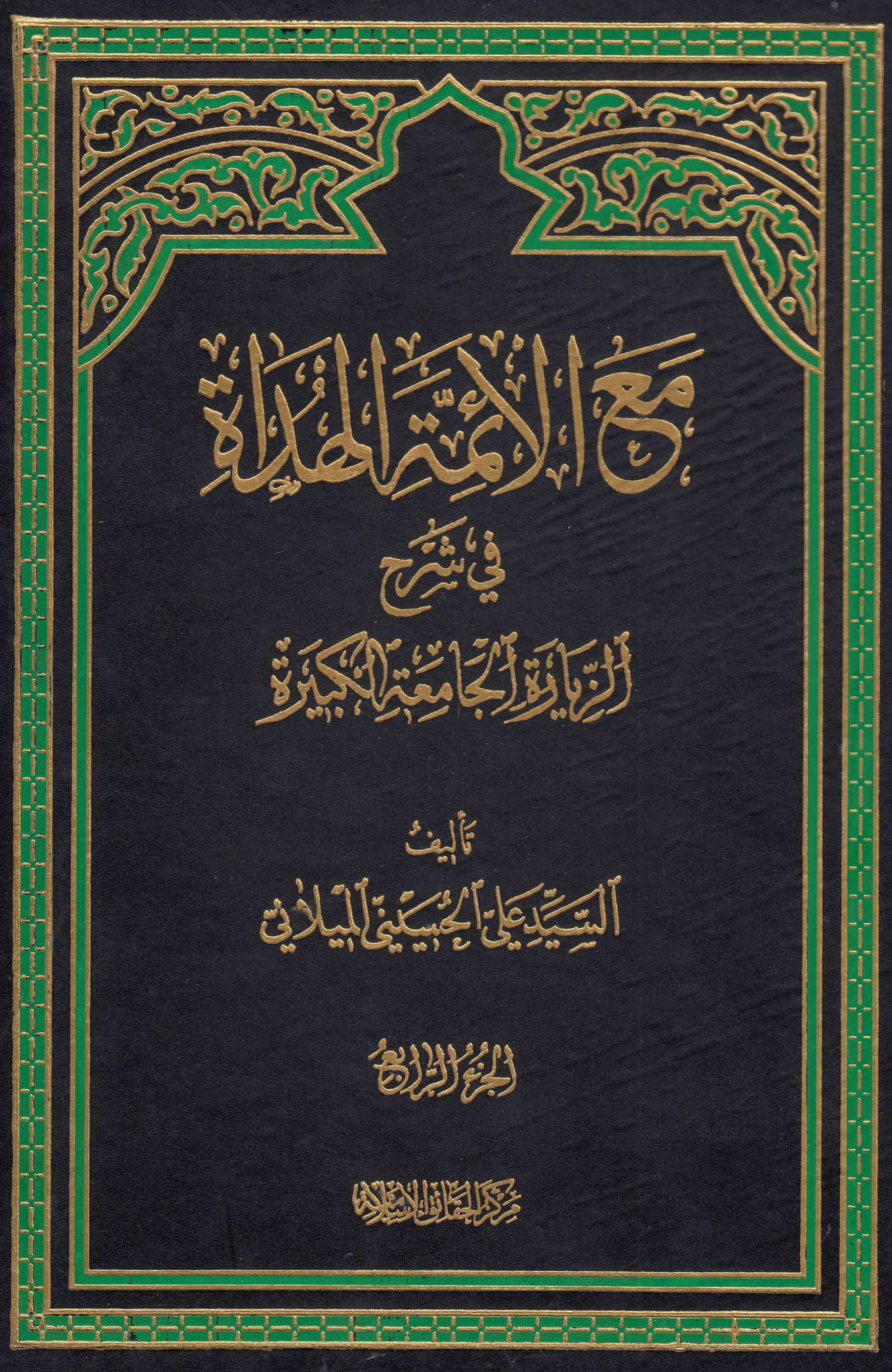
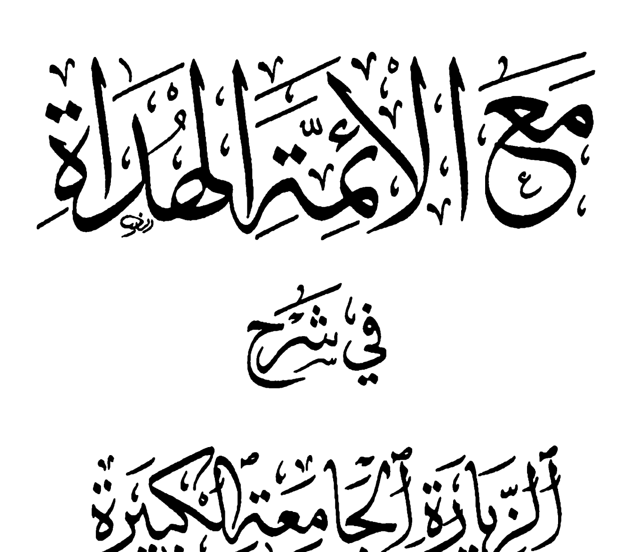

مع الأئمة الهداة
في شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة
تأليف
السيد علي الحسيني الميلاني
الجزء الرابع
مركز الحقائق الإسلامية



تأليف

السيد علي الحسيني الميلاني

الجزء الرابع

مركز الحقائق الإسلامية

سرشناسه: حسینی میلانی، سیدعلی، ۱۳۲۶ -
عنوان قراردادی: زیارتنامه جامعه کبیره. شرح
عنوان و نام پدیدآور: مع الائمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة / تأليف السيد على الحسينى الميلانى.
مشخصات نشر: قم؛ مركز الحقائق الاسلاميه، ۱۴۳۲ ق. - = ۱۳۹۰ -
مشخصات ظاهری: ج.
شابک: دوره: ۰ - ۴۶ - ۵۳۴۸ - ۶۰۰ - ۹۷۸؛ ۷۰۰۰۰
ریال: ج.۱: ۷ - ۴۷ - ۵۳۴۸ - ۶۰۰ - ۹۷۸؛ ۱۲۰۰۰۰
ریال: ج.۳: ۸ - ۷۹ - ۵۳۴۸ - ۶۰۰ - ۹۷۸؛ ۱۲۰۰۰۰
ریال: ج. ۳: ۴ - ۸۰ - ۵۳۴۸ - ۶۰۰ - ۹۷۸؛
ج. ۴: ۱ - ۹۴ - ۵۳۴۸ - ۶۰۰ - ۹۷۸
یادداشت: عربی.
یادداشت: ج.۲ (چاپ اول: ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲) (فیپا).
یادداشت: ج.۳ (چاپ اول: ۱۴۳۵ ق. = ۱۳۹۳).
یادداشت: ج.۴ (چاپ اول: ۱۴۳۷ ق. = ۱۳۹۴) (فیپا).
یادداشت: کتابنامه.
موضوع: زیارتنامه جامعه کبیره -- نقد و تفسیر
رده‌بندی کنگره: ۱۳۹۰ ۵۶ح / ۲۰۲ / ۲۷۱ BP
رده‌بندی دیویی: ۷۷۷ / ۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۹۳۷۲۹



اسم الكتاب: مع الأئمّة الهداة عليهم السّلام (في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة)، ج ٤

المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني

نشر: الحقائق

الطبعة: الأُولى، ١٤٣٧

المطبعة: وفا ـ قم

الكميّة: ١٠٠٠

السعر: ١٨٠٠٠٠ ريال

ردمك الدورة: ٠-٤٦-٥٣٤٨-٦٠٠-٩٧٨ 978 - 600 - 5348 - 46 - 0

ردمك: ١-٩٤-٥٣٤٨-٦٠٠-٩٧٨ 978 - 600 - 5348 - 94 - 1

عنوان المركز: قم، شارع صفائيه، زقاق بيگدلي، فرع شيرين، الفرع الأول، رقم الدار ٧٥، الهاتف: ٠٢٥١-٧٧٤٣٨٨٢

عنوان مركز النشر: قم، شارع صفائيه، مقابل «صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات»، الهاتف: ٠٢٥١-٧٨٣٧٣٢٠

عنوان مركز التوزيع في مشهد: شارع الشهداء، خلف حديقة نادري «باغ نادرى»، زقاق الشهيد خوراكيان، بناية «گنجينه كتاب»، دار نشر نور الكتاب، الهاتف: ٠٥١١-٢٢٤٢٢٦٢ ٠٩١٥١١٩٩٤٨٦

عنوان مركز التوزيع في اصفهان: شارع «چهارباغ پائين»، مقابل ملعب «تختي» الرياضي، مركز الحوزة العلمية التخصصي للحوزة العلمية في اصفهان، الهاتف: ٠٣١١-٢٢٢٣٤٢٣

الموقع: www.al-haqaeq.org ـ **البريد الالكتروني:** Info@al-haqaeq.org ـ **الرسائل النصية:** ٩٨١٠٠٠١٤١٤+


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسرّ مركز (الحقائق الإسلاميّة) أنْ يقدّم إلى المكتبة الإسلامية كتاب (مع الأئمّة الهداة في شرح الزّيارة الجامعة)، الذي أتحف به سيّدنا الفقيه المحقّق آية الله الحاج السيّد علي الحسيني الميلاني ـ دامت بركاته ـ أهل الولاء للنبيّ وأهل بيته الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام، في محاضراتٍ متواصلة ألقاها في الحوزة العلمية بقم باللّغة الفارسيّة، فقام المركز بترجمتها إلى اللغة العربيّة، كما سيبادر إلى ترجمتها إلى اللّغات الأخرىٰ أيضاً، ليعمّ نفعها المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها إن شاء الله.

لقد شرح سيّدنا الزيارة الجامعة على ضوء آيات الكتاب الكريم والروايات المعتبرة، وعلى أساس الأُصول الثابتة في مباحث الإمامة في علم الكلام، بما لم يسبقه أحدٌ في هذا الباب فيما نعلم.

ولقد بذل الإخوة المحقّقون في المركز جهداً كبيراً في تصحيح الكتاب وإرجاع المطالب إلى المصادر الأصليّة وإخراجه منقّحاً بقدر الإمكان، و وضعوا له الفهارس التفصيليّة.

فإليكم الجزء الرابع والأخير من هذا الكتاب، ومن الله التوفيق.

مركز الحقائق الإسلامية

كلمة المؤلّف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمدٍ وآله الطّاهرين المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع -والأخير- من شرحنا للزيارة الجامعة، نقدّمه للقرّاء الأعزاء، راجين منهم الدّعاء، ومن اللّه القبول بمحمّد وآله عليهم أفضل التحيَّة والثناء.

علي الحسيني الميلاني

١٤٣٢

تتمَّة القسم الخامس

بيان وعرض الإعتقادات

آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ

بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ، وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّـهِ عَــزَّوَجَلَّ مِـنْ أَعْـدَائِكُـمْ، وَمِـنَ الْـجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّـالِمِينَ لَكُمْ، الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ، وَالْـمَارِقِينَ مِـنْ وَلَايَتِكُمْ، وَالْغَاصِبِينَ لِـإِرْثِكُمْ، الشَّـاكِّـينَ فِيكُمْ، وَالْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ، وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمِـنَ الْـأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ؛

قد سبق في بداية هذا القسم من الزيارة أنْ قلنا:

«إنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ؛»

وكان المقصود هناك إظهار الولاية للأئمَّة الأطهار عليهم السَّلام والبراءة من أعدائهم علىٰ وجه العموم(١).

وهنا -وبعد الإقرار بالولاية لهم مع بعض الخصوصيّات الإضافيَّة- نظهر البراءة عن أعدائهم مع ذكر بعض صفاتهم المشيرة بوضوح إلىٰ أشخاص بأعيانهم.

نقول هنا:

آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ؛

الولاية

أي إنَّنا لا نفرِّق، من جهة الإيمان، بين أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام وسائر الأئمَّة إلىٰ إمام العصر والزمان عجّل اللّٰه تعالىٰ فرجه، فنحن نعتبر كلَّ الأئمَّة

---

(١) راجع الجزء الثالث، صفحة ٢٣٨ من هذا الكتاب.

الإثني عشر قادةً لنا وهم أئمّتنا بالحقّ، بل نعتقد أنّهم عليهم السّلام واحدٌ من جهة المقام والخصائص.

وبعبارة أخرىٰ، إنَّ دليل إيماننا بأوَّلهم هو نفس دليل إيماننا بآخرهم عليهم السّلام، فإيماننا بهم هو إيمان واحد، لأنّهم واحد.

ففي رواية زيد الشحّام:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السَّلام: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْحَسَنُ أَوِ الْحُسَيْنُ عليهما السّلام؟

قَالَ: إِنَّ فَضْلَ أَوَّلِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ آخِرِنَا وَفَضْلَ آخِرِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ أَوَّلِنَا فَكُلٌّ لَهُ فَضْلٌ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَسِّعْ عَلَيَّ فِي الْجَوَابِ فَإِنِّي -وَاللَّه- مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا مُرْتَاداً.

فَقَالَ: نَحْنُ مِنْ شَجَرَةٍ بَرَأَنَا اللَّهُ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، فَضْلُنَا مِنَ اللَّهِ، وَعِلْمُنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِهِ، وَالْحُجَّابُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ. أَزِيدُكَ يَا زَيْدُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: خَلْقُنَا وَاحِدٌ، وَعِلْمُنَا وَاحِدٌ، وَفَضْلُنَا وَاحِدٌ، وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعِدَّتِكُمْ.

فَقَالَ: نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ، هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُبْتَدَإِ خَلْقِنَا، أَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ، وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ، وَآخِرُنَا مُحَمَّد؛»[١]

---

(١) كتاب الغيبة (للنعماني): ٨٥-٨٦.

وَبَرِئْتُ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ؛

البراءة

وبهذا نعرض علىٰ الإمام عليه السّلام نفرتنا وبراءتنا من أعداء آل محمد عليهم السّلام، ونعوذ بالله تعالىٰ منهم، ونُشهد اللّه تعالىٰ علىٰ براءتنا وبغضنا لهم.

وهذه البراءة عامّة كما ذكرنا من قبل، ثم نشير إلىٰ مؤسّسي الظلم والجور علىٰ أهل البيت عليهم السّلام ونقول:

وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ ؛

ونقصد:

الظَّالِمِينَ لَكُمْ ؛

أُولئك الذين انحرفوا عنكم وغصبوا إرثكم، والذين أنكروا حقّكم، والذين شكّوا بمقامكم وفضلكم، فإنّي معادٍ لكلّ هؤلاء متبرٍّ منهم:

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ؛

أي إنّني أبرء إلىٰ اللّه وأعوذ به من كلّ من نصب نفسه إماماً في قبال إمامتكم، ودعا الناس إلىٰ نفسه فهم -في الحقيقة- الأئمّة الذين يدعون إلىٰ النار.

هذا بيان هذه العبارات بالإجمال، وأمّا الشرح فهو:

لقد تقدَّم منّا مراراً: أنّه لا يوجد إلاّ خطّان على مرِّ التأريخ، خطّ الحقّ وخطّ الباطل. ولا يمكن لأحدٍ أن ينكر هذه الحقيقة التأريخيَّة، ففي بداية التأريخ البشري، كان هناك إبليس الّذي تزعَّم خطّ الباطل، فهو الذي وقف في مقابل اللّه تعالىٰ وتمرَّد علىٰ الحقّ.

ووقف الجبابرة والفراعنة في مقابل الأنبياء والمرسلين، ووقف أبو لهب وأبو جهل و... في مقابل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

وقد إستمرَّ هذان الخطّان بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وهما مستمرّان بالمواجهة حتّىٰ يومنا هذا، وسيستمرّان.

فإذا كان أحدُ هذين الخطّين حقّاً والآخر باطلاً، فهل يصحُّ لأحدٍ أن يعتبر أهل كلا الخطّين محقّين؟! أو أن يعتبر الباطل مشوباً بشيءٍ من الحقّ؟!

أيجوز لأحدٍ أن يؤمن بخطّ الحقّ ومع ذلك يقبل بخطّ الباطل، الّذي يقف بوجه الحقّ، أو أن لا يتّخذ موقفاً سلبيّاً تجاهه؟!

فمع فرض عدم وجود خط إلاّ هذين الخطين، وإنَّ أحدهما حقٌّ والثاني المقابل له باطلٌ، فسيكون الجواب علىٰ هذه الأسئلة بالنفي بلا أدنىٰ شبهة، وإلاّ لزم إجتماع النقيضين، إذ لا يمكن أن يكون الأمر الواحد حقّاً وباطلاً في عين الوقت، حتّىٰ بنحو الموجبة الجزئيَّة.

فلا يمكن أن يؤمن الإنسان بحقّانيَّة سبيل اللّه والرسول وأهل البيت عليهم السّلام وأن يواليهم، ومع ذلك لا يبغض إبليس وأعداء اللّه ورسوله وأهل البيت عليهم السّلام، فإنَّ ذلك يلزم منه إختلال إحدىٰ المقدّمتين بنظره، وهذا خلف الفرض.

وبعدُ، فإذا صحَّت هاتان المقدّمتان وهما كذلك عند كلّ ذي مسكة، كانت النتيجة المذكورة ضروريَّة.

يقول القرآن الكريم في هذا المجال:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فقد استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ ﴾[1]

فالإستمساك بالعروة الوثقىٰ كناية عن الفلاح والنجاة في عالم الآخرة.

وتحقّق هذا المعنىٰ في هذه الآية المباركة منوطٌ بأمرين:

١- الكفر بالطاغوت.

٢- الإيمان باللّه.

ولكنَّ الآية الكريمة، كما هو واضح، قد قدَّمت البراءة علىٰ الولاية، فينبغي أوَّلاً نفي غيرالحقِّ، ومن ثمَّ إثبات الحقِّ، كما نقول ذلك في كلمة التوحيد: لا إله إلاّ اللّه.

والنتيجة هي إنَّ الكفر بالطاغوت ونفي الباطل والتبرّي من الشيطان وأتباعه، والإيمان باللّه وبرسوله وأوصيائه، يكمِّل بعضها البعض الآخر، فالإيمان والولاية لا أثر لهما بدون البراءة، ولذا فهما بدون البراءة يساويان العدم، والتبرّي متقدِّم رتبةً.

وجاء في آية أُخرىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهٰا وَأَنٰابُوا إِلَىٰ اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرىٰ ﴾[2]

ففي هذه الآية حُمِلت «لَهُمُ الْبُشْرىٰ» علىٰ «الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّٰاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهٰا وَأَنٰابُوا إِلَىٰ اللّٰهِ».

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

(٢) سورة الزمر (٣٩): الآية ١٧.

فالإستمساك بـ" العروة الوثقىٰ " إستقامةٌ علىٰ الصراط المستقيم وبشارة فيما إذا كان هناك إجتنابٌ عن الطاغوت، أي إنّ الإنسان إذا ما كفر بالطاغوت ولم يتّبعه فسوف يكون قد إتّجه نحو اللّه «وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللّٰهِ»[١] وحينئذٍ سيكون ممن:

«استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ»[٢]

ويكون ممّن: «لَهُمُ الْبُشْرىٰ».

ولابدَّ أن نُدقّق في آيات القرآن الكريم، فقد ورد في آية أُخرىٰ:

﴿ لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآْخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَه ﴾[٣]

و«لاٰ تَجِدُ قَوْماً» يعني أنَّ هذا الأمر غير معقول، بل غيرممكن أصلاً أن يؤمن الإنسان باللّه وبرسوله، وفي نفس الوقت يتودَّد إلىٰ أعداء اللّه وأعداء رسوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

إذن، فهناك طريقان، وقد بُيِّن كلٌّ من الطريقين بوضوح، قال تعالىٰ:

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَي ﴾[٤]

وهذان الخطان متباينان كلياً، ولا وجه يجمع بينهما، فيجب أن يجتنب هذا الخطّ ليقترب من ذاك وتحصل الإنابة، ويجب أن يكفر بهذا ليؤمن بالآخر، فـ" الإستمساك بالعروة الوثقىٰ " هو " ولاية " مع " براءة ".

وما قلناه هو المستفاد من آيات القرآن المجيد، والروايات الواردة في هذا المضمار كثيرة جدّاً، مثل:

---

(١) سورة الزمر (٣٩): الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

(٣) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

«كذب من إدّعىٰ ولايتنا ولم يتبرّء من أعدائنا»[١]

إصطلاح البراءة في القرآن الكريم

إنَّ حقيقة كراهية وبغض إبليس وأتباعه قد وردت في القرآن الكريم بصياغات وإصطلاحات متعدّدة، منها:

١- البراءة

قال تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ الَّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكين ﴾[٢]

وهذا إعلانٌ للبغض من قبل اللّه ورسوله وكراهيّة أهل الباطل.

يقول الراغب الإصفهاني في مفردة "البراءة":

«أصل البرء والبراء والتبرّي: التفصّي ممّا يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، وبرأت من فلان، وتبرّأت وأبرأته من كذا؛[٣]»

والتفصّي يعني الإفتراق، الإجتناب والإبتعاد عن كلٍّ ما ينبغي علىٰ الإنسان الإبتعاد عنه.

فعلىٰ الإنسان أن لا يقترب ويتقرَّب إلىٰ الكفر والطاغوت وأعداء اللّه ورسوله.

---

(١) راجع! بحار الأنوار: ٢٧/ ٥٨.

(٢) سورة التوبة (٩): الآية ١.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٥.

٢-الكفر

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾[(١)]

ما معنىٰ الكفر؟

يقول الراغب الإصفهاني:

« الكفر في اللغة ستر الشيء... وأعظم الكفر جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النبوّة... ومعلوم أنّ الكفر المطلق هو أعمّ من الفسق ومعناه من جحد حقّ اللّه، فقد فسق عن أمر ربّه بظلمه...[(٢)] وقد يعبّر عن التبرّي بالكفر نحو: ﴿ ثُمَّ يَـوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[(٣)]_[(٤)]

إذن، فالتبرّي والكفر كلاهما بمعنىً واحد تقريباً.

٣-الإجتناب

وتارة يستعمل القرآن الكريم كلمة "الإجتناب" بدلاً عن كلمة الكفر.

يقول تعالىٰ:

﴿ وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ ﴾[(٥)]

والإجتناب يرجع أيضاً إلىٰ الإبتعاد.

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٣٣.

(٣) سورة العنكبوت (٢٩): الآية ٢٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٣٥.

(٥) سورة الزمر (٣٩): الآية ١٧.

وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في مورد النهي عن الذنوب الكبيرة، كما في قوله تعالىٰ:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ ... ﴾[١]

وفي آية أُخرىٰ:

﴿ الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ ﴾[٢]

وفي آية أُخرىٰ:

﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور ﴾[٣]

يقول الراغب الإصفهاني في لفظة "الإجتناب":

«عبارة عن تركهم إيّاها، ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾[٤]. وذلك أبلغ من قولهم: اتركوه.»[٥]

وفي الحقيقة إنَّ الحقَّ والباطل أمران متغايران وبينهما تباين، ولا يمكن أن يتجانس الحقّ مع الباطل. فكيف يُعقَل أن يُجمع بين النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مع أبي لهب، وكيف يُجمع بين أمير المؤمنين عليه السّلام وغاصبي حقّه! أم كيف يجوز أن يتَّبع هذا الطرف في بعض الأمور وذاك في البعض الآخر؟!

يقول القرآن الكريم:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٣١.

(٢) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٣٧؛ سورة النجم (٥٣): الآية ٣٢.

(٣) سورة الحج (٢٢): الآية ٣٠.

(٤) سورة المائدة (٥): الآية ٩٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٩٩.

وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً في سَبيلي وَابْتِغاءَ مَرْضاتي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ ﴾ ؛[١]

وهذا الخطاب موجَّه للمؤمنين، وأمّا من لم يؤمنوا باللّه والرسول وبأهل البيت عليهم السّلام فليسوا مخاطبين بهذا الخطاب.

فالآية الشريفة دالَّة بصراحة وقاطعيَّة علىٰ إنَّ المؤمن باللّه وبرسوله وبأهل البيت عليهم السّلام ينبغي عليه أن لا يتودّد إلىٰ أعداء اللّه ورسوله وأهل بيته، ومن فعل ذلك فقد خرج عن الطريق الحقّ والصراط الصدق.

وعليه، فأيُّ إرتباط بالأعداء، أي بالخطّ المقابل للحقّ، ممنوعٌ وبأيِّ نحوٍ من الأنحاء كان ذلك الإرتباط.

ويقول تعالىٰ في آية اُخرىٰ:

﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٢]

ففي البداية ينهىٰ القرآن عن موالاتهم، ثمَّ يأمر بمعاداتهم وليس فقط عدم الموالاة، فهل يجوز لأحدٍ حينئذٍ أن يوالي أعداء اللّه ورسوله وأهل بيته ويحبُّهم؟!

ومن ثمَّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام -وكلامه عين الحقّ والصدق-:

«أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك، وأعداؤك: عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك»[٣]

فنحن نعادي الباطل، وأمّا الأفراد فلنا معهم حساب آخر، لأنَّ بعض الناس

---

(١) سورة الممتحنة (٦٠): الآية ١.

(٢) سورة فاطر (٣٥): الآية ٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤/٧١-٧٢، الحكمة ٢٩٥؛ بحار الأنوار: ٧١/١٦٤.

هم تجسيم للباطل، وإنَّ الإنسان يكره الباطل ويعاديه، فالإنسانُ إذا ما عرف الحق فإنَّه سيحبُّه ويُريده، ويريد أن يقف إلىٰ جهته، ولذا فهو يكره الباطل الذي يكون في الجهة المقابلة للحقّ، وينفر منه ويعاديه.

ولا يخفىٰ أنَّ العداء مع الباطل هو من القيم الإنسانيَّة البارزة، وينبغي أن يكون ثقافة إجتماعيَّة عامَّة، لأنَّ الإنسان إذا لم يعاد الباطل ولم ينفر منه، فإنَّه سيتأثَّر به ويكون للباطل دخل في سلوكه وتصرفاته.

ومن ثمَّ، فإنَّ الفقهاء يُفتون بعدم جواز مطالعة كتب الضلال، وعدم جواز السفر إلىٰ بلدان الكفر، قدر الإمكان، وعدم الإقامة فيها إلاّ للضرورة، كما إنَّ الروايات الكثيرة ومشهور فتوىٰ الفقهاء علىٰ نجاسة الخمر مضافاً إلىٰ حرمتها، وذلك لأنَّها منفِّرة.

ويبدو لنا بأنَّ الحكمة في ما اشتهر من فتوىٰ الفقهاء علىٰ نجاسة أهل الكتاب والفرق الضالّة هو نفس هذا الأمر، وهو منع الإرتباط وتوطيد العلاقة معهم -لأنَّ الإنسان يتأثّر بقرنائه وخلطائه- لتزداد نفرته تجاههم، فإذا ما إزدادت نفرته منهم، صعب تأثّره بهم.

وكذلك الحال في القضايا الجسميَّة، فإنَّ الإنسان إذا ما إحتمل بأنَّ الجوَّ في بعض البلدان ملوّثٌ بالمكروبات، فإنَّه سيحاول الإبتعاد عنه وأخذ اللقاح الطبّي المناسب قبل السفر إليه، وسيقال له البس الكمّامات تحسّباً للإصابة بالمرض.

وإذا ما إحتمل الإنسان أنَّ الطعام ملوّثٌ، ولو بدرجة ضعيفة، فإنَّه سيتجنَّب الأكل منه، لماذا؟ لأنَّه يريد حفظ النفس ممّا يضرُّ الصحَّة.

يقول الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام في كلام نوراني له:

«عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنِّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يُرديه»(١)

عجباً! كيف يحقُّ للإنسان أن يدخل الفضاء المجازي المضرّ في الإنترنت، ويشاهد المحطات التلفزيونيَّة الفضائيَّة الفاسدة، ويقرأ عشرات الكتب والمجلات والجرائد المضلِّلة، ويجالس عشرات الأشخاص الضارّين، ومع ذلك يأبىٰ أن يطالع الكتب الدينيَّة النافعة، أو أن يحضر في المنتديات الدينيَّة، ويُعرض عنها أو أن لا يكترث ولا يهتم بها؟!

فإذا كان الإنسان يحذِّر أولاده من تناول الأطعمة الضارَّة، ويدفعهم إلىٰ الجدِّ في الدراسة في المدرسة لنيل الدرجات العالية في الإختبارات، فعلىٰ الأقل عليه أن يدفعهم ويشجّعهم علىٰ مطالعة بعض الكتب الدينيَّة التي تنفعهم في دنياهم وأُخراهم، وأن يحذّرهم من مجالسة أصدقاء السّوء، فإنَّ معاشرة أصدقاء السّوء تؤثّر أيّما تأثير سلبي علىٰ أخلاق الأولاد علىٰ دينهم.

إذن، إتّضح أنَّ "البراءة" حقيقة قرآنيَّة أُمر بها في القرآن بألفاظ متعدّدة مثل "البراءة" و"الإجتناب" و"الكفر" وغيرها، وقد قام البرهان العقلي علىٰ هذه الحقيقة، وقَبِلَهُ العقلاء بكل شفّافيَّة.

وفي الحقيقة، إنَّ الإنسان إذا لم يمتعض الأمور السيّئة، فإنَّه يخشىٰ أنْ يبتلىٰ بالتخلُّق بها وإرتكابها، فلابدَّ من أن يتبرىٰ منها ويبغضها ويتجنّبها.

والفائدة الأُخرىٰ للبراءة هي إنَّ الفرد السيّء إذا صار مكروهاً ومنبوذاً من قبل

---

(١) بحار الأنوار: ١/٢١٨.

كلِّ أفراد المجتمع، فإنَّه سوف يبقىٰ وحيداً منزوياً عن المجتمع، فقد يضطر إلىٰ تغيير أخلاقه بما ينسجم ويتماشىٰ مع أخلاق المجتمع الصالح.

٤- اللعن

ومن مصاديق الكراهية والبغض، بل من أكثر مصاديقها رواجاً هو "اللعن". فاللعنُ موجود في الشرع وفي العرف أيضاً.

يقول الراغب الإصفهاني في معنىٰ "اللعن":

«اللعن: الطرد والإبعاد علىٰ سبيل السُخط»[١]

ومن ثَمَّ قالوا بأنَّ "اللَّعن" أخصّ من "البراءة" أي إنَّ في مفهوم اللَّعن خصوصيَّة يفترق بها عن مطلق البراءة.

فالبراءة المطلقة هي عموم السّخط، وأمّا اللَّعن فهو سخط بإضافة الطرد والغضب وعدم الرضا.

فالحاصل، إنَّنا عندما نقول: لَعَنَ اللّهُ فُلاناً، فإنَّ معنىٰ ذلك هو: يا ربّ أبْعِد فُلاناً عن رحمتك واطرده عن ساحة رحمتك.

فإن هذا الطلب موجود في مفهوم اللّعن وحقيقته، ولذا فإنَّ اللّعن يكون أخصّ من السخط، فكلُّ لعن سخط، وليس كلُّ سخط بلعن.

وهنا، ينبغي أن نعلم بأنَّ مورد اللعن تارة يكون نفس الشخص، وتارة يكون فعلُهُ وليس شخصه، فيقع السؤال عن الفرق بينهما؟

الفارق هو أنَّ الإنسان تارة يكون في خطّ الشيطان، بنحو تكون كلُّ أفعاله

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٥١.

شيطانيَّة، لغلبة الجهة الشيطانيَّة فيه علىٰ الجهة الإلهيَّة، فهو بصدد تقوية خط الباطل الشيطاني في مقابل خطّ الحقّ الإلهيّ، بل في الحقيقة يكون هو الشيطان بعينه -والعياذ باللّه- فمثل هذا الإنسان يقف دائماً في مقابل اللّه تعالىٰ، ويكون من أئمَّة الكفر والضلال.

وتارة أُخرىٰ، لا يكون الإنسان في خطّ الباطل، بل هو من أهل الإيمان ولكنَّه يغترُّ بالشيطان أحياناً فيصدر منه الفعل القبيح الباطل بلا قصد مخالفة أمر اللّه تعالىٰ، وكما جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي:

«إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيَّتك جاحد، ولا لأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي وأعانتني عليها شقوتي...»(١)

نعم، هكذا هو حال المؤمن، فإنَّه حينما يرتكب الذنب ويغترُّ بوسوسة الشيطان ويغلبه هواه، ثمّ يتنبَّه لغفلته، يتوب ويؤوب إلىٰ اللّه، لا أن يطغىٰ علىٰ الحق ويكون عبداً للشيطان.

ومن هنا، فإنَّ لعن المؤمن ممنوع شرعاً، وإذا ما صدر من مؤمن ذنبٌ أو عصيان -لا سمح اللّه- فإنَّنا ننفر من ذلك الفعل ونستنكره.

فلو شرب المؤمن الخمر مثلاً شمله قولنا: لعن اللّه شارب الخمر، لكنْ لمّا كان الرجل مؤمناً فإنَّه سيُلعَن بلحاظ شربه للخمر، وهذا غير لعن أعوان الشيطان وأنصاره، اولئك الذين صرفوا أعمارهم في خدمة الشيطان وأهدافه ووقفوا في قبال خطّ اللّه تعالىٰ، يقوّون خطّ الشيطان ويحاولون ترسيخ حاكميته، حتّىٰ

---

(١) مصباح المتهجد: ٥٨٩؛ إقبال الأعمال: ١/١٦٦؛ بحار الأنوار: ٩٥/٨٨.

أمسوا بإطاعتهم للشيطان وخدمته جرثومة الفساد، بل كان بعضهم أساتذة للشيطان.

وتلخّص:

إنَّ طريق الحقّ والهداية إلىٰ اللّه واحد وهو طريق أهل البيت عليهم السّلام، وكلّ طريقٍ سواه فهو ضلالٌ يؤدّي النار، وعلينا البراءة من أهل الباطل، وهذا هو السرّ من البراءة من أعداء أهل البيت ولعنهم، كأبي لهب وأبي جهل ورجال قريش الذين آذوا النبيّ وأهل بيته.

في معنىٰ الجبت والطاغوت

وبلحاظ ما ذكرناه، فإنّنا نقول في الزيارة:

وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ؛

ويقول الراغب الإصفهاني في المفردات في غريب القرآن، في "الطاغوت":

«عبارة عن كلِّ متعدٍّ وكلِّ معبود من دون اللّه»[1]

ما هو الفرق بين "الطاغوت" و"الجبت"؟

الطاغوت والجبت كلاهما "معبود من دون اللّه"، لكنَّ الطاغوت هو الذي يطغىٰ ويتجاوز الحدَّ بطغيانه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٥.

ويضيف الراغب إلىٰ ذلك قائلاً:

«وسُمّي السّاحرُ والكاهنُ جبتاً»[١]

ويقول في معنىٰ "الطاغوت" أيضاً:

«وسُمّي الساحر والكاهن والمارد من الجنّ والصارف عن طريق الخير طاغوتاً»[٢]

فهؤلاء مصاديق "الجبت" و"الطاغوت"، لأنَّ كلّ واحدٍ منهم صارف عن الخير بوجهٍ ومنهم من يكون داعياً إلىٰ الشرّ والضلال.

نقاطُ قيِّمة

وهنا عدَّة نقاط قيّمة:

الأولىٰ:

لقد جاءت كلمة "الجبت" في موضع واحد من القرآن الكريم فقط، وأمّا كلمة "الطاغوت" فقد تكرّرت في القرآن.

ولعلَّه لخصوصيَّة الطغيان الموجودة في الطّاغوت، فيريد عزّوجلّ التأكيد علىٰ لزوم النفرة ومواجهة الشخص الذي يحاول بطغيانه سدّ طريق الحقّ، ويتسبّب في إضلال الأُمَّة الإسلاميَّة.

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) نفس المصدر: ٨٥.

الثانية:

قالوا في تعريف الجبت والطاغوت: كلّ معبود من دون اللّه فهو جبتٌ وطاغوت.

وهذا من شواهد ما قلناه من أنّ هناك خطّين لا ثالث لهما، اللّه وغير اللّه، والمعبود بالحقّ هو اللّه تعالىٰ، و"معبود من دون اللّه" فهو جبت وطاغوت، أي صادٌّ عن سبيل اللّه وصارفٌ عن طريق الخير.

الثالثة:

قلنا بأنّه ورد التعبير عن كلٍّ من الجبت والطاغوت بأنّهما "معبود من دون اللّه"، ولكن المراد من العبارة في هذا السياق هو الطاعة، لا العبادة بمعنىٰ التأليه.

فالجبت والطاغوت معبودان من دون اللّه بمعنىٰ أنّهما مطاعان من دون اللّه، أي أنّ كلّ ما يُطاع من دون اللّه فهو "جبت" وهو "طاغوت".

فالطاعة من دون اللّه إنّما تكون فيما لو أطاع أحدٌ شخصاً لم يأمر اللّه بطاعته، ولم يكن الغرض من طاعته طاعة اللّه بل كان مطاعاً في قبال اللّه، فسيكون ذلك الشخص طاغوتاً ويكون جبتاً، ونحن نتبرّأ من مثل هذا المطاع.

إذن، فليس بالضرورة أن يكون معبوداً ليقال له طاغوت أو جبت وتجب البراءة منه، بل يكفي أن يكون مطاعاً من دون اللّه، فلابدّ من البراءة منه.

فنحن مُكلّفون -إذن- بطاعة اللّه وطاعة من يأمرنا اللّه بطاعته، وأن لا نطيع أحداً غيره إطاعة مطلقة، لأنّ ذلك شركٌ.

وطاعة الإنسان لأمّه وأبيه إنّما جازت لأمر اللّه تعالىٰ بذلك، وطاعة الفقيه

وتطبيق الأحكام الشرعيّة والعمل طبقاً للرسائل العمليّة لمراجع التقليد إنّما جازت لأمر اللّه تعالىٰ بها.

وفي كلّ مورد طاعةٍ لم يأذن اللّه تعالىٰ بها فهو شركٌ وباطل، حتّىٰ في مورد الوالدين وسائر من أمر اللّه بطاعتهم، فإنّها مقيّدة بما إذا لم يخالف أمرهم أمر اللّه ورضاه عزّوجلّ ولم يكن خارج نطاق الشرع المقدّس، وإلاّ، فلا تجوز طاعتهم مطلقاً.

ومن هنا فإنّ القرآن الكريم يقول:

﴿ وَإِنْ جاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما ﴾ (١)

إذن، إذا دقّقنا النظر جيداً فإنّنا سنجد بأنّ كلّ مورد أُمرنا فيه بالطاعة، كان اللّه موجوداً هناك وكان العمل للّه، وإلاّ كانت الطاعة ممنوعة، بل يجب البراءة منها.

والشاهد علىٰ هذا المطلب، ما ورد في كلام الراغب الإصفهاني، حيث قال:

«السّاحر طاغوتٌ وجبتٌ،»

فهل إنّ أحداً يعبد السّاحر؟ لا، لا يعبد السّاحر أحدٌ، ولكنّ بعض الناس يذهبون إلىٰ السّاحر ويطلبون منه السحر فيرتّبون الأثر علىٰ سحره عملاً، ولا شكّ أنّ ترتيب الأثر علىٰ قوله وعمله طاعة له لغةً وعرفاً، وحينئذٍ يصحّ التعبير عمّن يذهب إلىٰ السّاحر بـ"العابد" للسّاحر، والتعبير عنه بـ"الجبت والطاغوت".

وورد في شأن الكاهن أيضاً إنّه "جبت" و"طاغوت"، وهذا صحيح كذلك، لأنّه يُعبد من دون اللّه، إذ كان الكهنة في الديانات السابقة كالمسيحيّة يعيشون في المغارات والكهوف البعيدة والّتي يصعب الوصول إليها، فكان بعض الناس

(١) سورة لقمان (٣١): الآية ١٥.

يقصدونهم ويسمعون منهم ويطيعونهم فيما يقولون ويرتّبون الأثر تعبّداً لهم.

وبناءاً علىٰ ما سلف، فالمراد من العبادة هنا هو الطاعة، وأنَّ كلَّ من يُطاع من دون اللّه، وبدون أمرٍ منه أو إذنٍ بطاعته، فهو طاغوت، فإنْ عُبد هذا الطاغوت، كان الأمر أتعس. ففي كلِّ الأحوال يجب إجتناب مثل هذا الشخص ومعاداته.

شواهد من القرآن والروايات

ولدينا في هذا السياق شاهد من القرآن الكريم، ففي الآية المباركة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذينَ أُوتُوا نَصيباً مِنَ الْكِتابِ يُـؤْمِنُونَ بِـالْجِبْتِ وَالطّـاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدىٰ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا سَبيلاً ۞ أُولئِكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصيراً﴾ [١]

نصَّت هذه الآية المباركة علىٰ أنَّ علماء اليهود والنصارىٰ الذين كان عندهم علمٌ من التوراة والإنجيل، وكانوا بحسب الظاهر موحّدين، ملعونون بسبب إيمانهم بالجبت والطاغوت.

المراد من الإيمان هنا هو الطاعة للجبت والطاغوت في قبال اللّه تعالىٰ، لا أنَّهم كانوا من عبدة الأوثان، لما تقدَّم من كونهم موحّدين، ومع ذلك فإنَّ هؤلاء ملعونون.

إذن، فلو أنَّ الإنسان لم يعبد أحداً "من دون اللّه"، وإنَّما أطاعه فقط إطاعة مطلقة كما تجب إطاعة اللّه، كان الذي يطيعه جبتاً وطاغوتاً، وعُدّ هو من أهل الإيمان بالجبت والطاغوت.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٥١-٥٢.

وقد ورد في الروايات ما يشهد علىٰ هذه الحقيقة. ففي كتاب الكافي، في خصوص الآية المباركة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) أنّه سُئل الإمام عليه السّلام عن المراد في الآية من إتخاذهم أرباباً، فقال عليه السّلام:

«أما واللّه، ما دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون» (٢)

والحاصل، كلُّ من كان مطاعاً "من دون اللّه" ولم تكن في طاعته حيثيّة إلهيّة، وفي أيِّ زمان ومكانٍ ومقام كان، فهو جبتٌ وطاغوت، فهؤلاء يدعون إلىٰ أنفسهم ويأمرون الناس بطاعتهم مقابل طاعة اللّه تعالىٰ ويحكمون في قبال أحكام اللّه تعالىٰ ويسوقون الناس إلىٰ غير طريق اللّه تعالىٰ، فهم جبتٌ وطاغوت وتجب البراءة منهم.

وبطبيعة الحال، لابدَّ من تشخيص مصاديق هؤلاء في تأريخ الإسلام وإبراز البراءة منهم والسخط عليهم.

ومن هنا فإنَّ اللّه تعالىٰ يقول في شأن رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم -وهو أحبّ الخلائق إليه وأقربهم منه-:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ٣١.

(٢) الكافي: ١/٥٣، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢/٩٨، حديث ٥٠، نقلاً عن محاسن البرقي: ١/٢٦٤، حديث ٢٤٦.

(٣) سورة الحاقّة (٦٩): الآية ٤٤-٤٦.

أجل، فلو أنَّ نبيّاً من الأنبياء نسب كلاماً إلىٰ اللّه ولم يكن صادراً عن اللّـه تعالىٰ، فإنَّه سيكون من الهالكين، وحاشا لأنبياء اللّه أن يصدر ذلك عنهم.

فكلُّ الأنبياء والرسل والأئمّة الأطهار عليهم السّلام كانوا كذلك، وكذا العلماء والأعاظم وفقهاء الدين علىٰ طول التأريخ -والذين كانوا علىٰ طريق اللّه والرسول والأئمّة الأطهار عليهم السَّلام - فقد كانوا في مقام إطاعة اللّه والرسول، ولم يدعوا الناس إلىٰ أنفسهم، ولم يرسموا طريقاً غير طريق اللّه، ولم يكن له نهجٌ غير نهج اللّه تعالىٰ.

يقول تعالىٰ:

﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١)

أجل، لا يمكن لبشر مهما أعطاه اللّه مقاماً، وجعله نبياً وانزل عليه الوحي، أن يدعو الناس إلىٰ عبادة نفسه وإطاعته في مقابل إطاعة اللّه تعالىٰ.

ونحن إذ نطيع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله -وهكذا كلُّ الأمم التي تطيع أنبياءَها ورسلها- فإنّما ذلك من أجل أنَّ طاعتهم طاعة اللّه، وإنَّهم يـدعون إلىٰ اللّه .قال تعالىٰ:

﴿ وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢)

وفي آية أُخرىٰ:

﴿ وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٣)

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٧٩.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ٦٤.

(٣) سورة الحشر (٥٩): الآية ٧.

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿ وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا ﴾ (١)

فالآية المباركة تدلُّ علىٰ أنَّ الأئمَّة منصوبون من قبل اللّه لغرض الهداية إليه بأمره عزَّوجلّ، لا أن يدعوا الناس إلىٰ أنفسهم.

وكذلك طاعتنا للأئمَّة عليهم السَّلام، فنحن إنَّما نطيعهم لأنَّهم يدعوننا إلىٰ اللّه ويأمروننا بطاعته والعبوديَّة له.

هذا، ولم نجد في سيرة أمير المؤمنين عليه السّلام والأئمَّة المعصومين عليهم السّلام وأحوالهم في أيّ كتاب من الكتب، وهكذا في تأريخ حياة الفقهاء وعظماء الدين مورداً واحداً يطلبون من الناس فيه طاعتهم من دون اللّه تعالىٰ أبداً، ولولا ذلك لكانوا في عداد الجبت والطاغوت، وحاشاهم من ذلك.

أجل، لقد كان في صدر الإسلام بعض الأشخاص الذين دعوا إلىٰ أنفسهم من دون اللّه، وحاولوا سوق الناس إلىٰ غير طريق اللّه، فقالوا: قال اللّه كذا وكذا وأنا أقول كذا وكذا!!

وكان هؤلاء يأمرون ويحكمون في مقابل أمر اللّه وحكمه، ويصدرون الأوامر والنواهي علىٰ خلاف ما جاء به الرسول صلّىٰ اللّه عليه وآله من اللّه سبحانه، ومواردها كثيرة في سيرتهم.

ولقد حارب هؤلاء اللّه تعالىٰ وأوليائه، وتمرّدوا علىٰ أوامر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولذا وُصفوا في الروايات الكثيرة عن أهل بيت العصمة والطهارة بـ"الجبت" و"الطاغوت" وكانوا من أجلىٰ وأكبر المصاديق لذلك.

---

(١) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٧٣.

ونحن نتبرأ من هؤلاء الجبابرة الطواغيت ونسخط عليهم ونلعنهم قربة إلىٰ اللّه تعالىٰ، لأنَّ التبرّي منهم عبادة.

وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ؛

الشياطين، جمع "شيطان"، وقد ورد في المفردات في غريب القرآن:

«الشيطان: النون فيه اصليَّة، وهو من شطن أي: تباعد...

وقيل: بل النون فيه زائدة، من "شاط يشيط": احترق غَضَباً، فالشيطان مخلوق من النار... قال أبو عبيدة: الشيطان اسم لكلّ عارم من الجنّ والإنس والحيوانات»[١]

وقال الشيخ الطريحي رحمه اللّه في "مجمع البحرين":

«الشيطان معروف، وكلّ عاتٍ متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ شيطان، من الشطن وهو البعد»[٢]

في معنىٰ "الحزب"

والحزب في اللغة والعرف هو الجماعة المتفقة علىٰ رأي وهدف واحد، ويقوّي بعضها البعض، ويتحرّكون لتحقيق ذلك الهدف.

يقول الراغب الإصفهاني:

«الحزب: جماعة فيها غلظ»[٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦١.

(٢) مجمع البحرين: ٢٧١/٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١١٥.

وقد ذكر القرآن الكريم حزبين:

حزب الشيطان وحزب اللّه.

وحزب الشيطان هم الذين غلب الشيطان علىٰ قلوبهم وكان له سلطان عليهم، فهم في خدمته ومطيعون تماماً للشيطان.

يقول تعالىٰ في كتابه الكريم يصف هؤلاء:

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُون ﴾ (١)

فالإستحواذ، غلبة الشيطان وسيطرته علىٰ كلِّ وجودهم، فكانوا عبيداً وخدماً للشيطان بنحو نسوا ذكر اللّه تعالىٰ بالمرّة.

والحزب الآخر هو "حزب اللّه".

ولقد ذكر القرآن الكريم في آيتين منفصلين خصوصيَّتين لحزب اللّه:

١- يقول تعالىٰ في سورة المجادلة:

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الْإيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ (٢).

---

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ١٩.

(٢) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢٢.

إذن، فالآية الكريمة تشترط في حزب اللّه شرطاً بعد الإيمان باللّه وبالرسول وباليوم الآخر، وهو عدم التودّد إلىٰ أعداء اللّه والرسول ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، فهذه علامة يعرف بها حزب اللّه.

٢- الآية الثانية جاءت في سورة المائدة المباركة، وقد أطبق العلماء علىٰ إنّ سورة المائدة هي آخر السّور القرآنيّة النازلة علىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله [١]، وإنْ جعلت الخامسة في تدوين وترتيب القرآن الكريم، وقد وردت آية الولاية في هذه السّورة وهي قوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [٢].

وقد نزلت هذه الآية المباركة في شأن أمير المؤمنين عليٍ عليه السّلام، حيث تصدَّق بخاتمه في حال الركوع في صلاةٍ مندوبة.

وعليه، فمن أراد أن يكون في "حزب اللّه" المقابل لحزب الشيطان، عليه أن يتّصف بهذين الوصفين وأن يمتلك هاتين الخصوصيّتين:

١- أن لا يوالي ويودَّ أعداء اللّه وأعداء رسوله.

٢- أن يوالي اللّه ورسوله وأمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام.

أمّا حزب الشيطان، فأوّل ما وصفوا به في القرآن الكريم هو ولاية أعداء اللّه عزَّوجلّ:

---

(١) انظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤١٣/٣؛ مسند أحمد: ١٨٨/٦؛ المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣١١/٢؛ تفسير الثعلبي: ١٢/٤؛ الإتقان في علوم القرآن: ٨٤/١، حديث ٣٢٧؛ السنن الكبرىٰ: ١٧٢/٧؛ مجمع الزوائد: ٢٥٦/١؛ تفسير إبن الكثير: ٣/٢؛ الدرّ المنثور: ٢٥١/٢.

(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٥٥-٥٦.

﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مٰا هُمْ مِنْكُمْ وَ لاٰ مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ ۞ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلىٰ شَيْءٍ أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْكٰاذِبُونَ ۞ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰانُ فَأَنْسٰاهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰانِ﴾ (١).

أمّا حزب اللّه، فقد وعدهم اللّه بالنصر والغلبة، فقال:

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰالِبُون﴾ (٢).

وأمّا حزب الشيطان، فقد كتب لهم الخسران في الآخرة والعذاب الأليم، فقال عزّوجل:

﴿أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰانِ هُمُ الْخٰاسِرُون﴾ (٣).

ثمّ إنّ في هذه الآية الشريفة نكات مهمّة، نشير إلىٰ واحدة منها فقط وهي:

السرّ في قوله تعالىٰ هنا ﴿أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، ولعلّه لأنّ هجر الآباء والأبناء والإخوة وتركهم ليس بأمر الهيّن، وإنّما يحتاج إلىٰ قدرة نفسيّة قويّة يتمكّن بها من الغلبة علىٰ كلّ العواطف والتجرّد من كلّ العلائق والمشاعر، ولذا فهو بحاجة إلىٰ إعانة من اللّه وتأييد ربّانيّ، وقد وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد.

---

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ١٤-١٩.

(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٥٦.

(٣) سورة المجادلة (٥٨): الآية ١٩.

الظَّالِمِينَ لَكُم ؛

إشارة إلىٰ ما تقدَّم

موضوع هذه الفقرة هو البراءة من أعداء أهل البيت، وهذا عنوان عام، ثم خُصّ بالذكر الجبت والطاغوت، والمقصود من ذلك الرجلان المعيَّنان من قريش، لكونهما هما المؤسّسان للظلم والعداء لأهل البيت، وهؤلاء هم الشياطين وحزبهم، ولأنّهم استكبروا علىٰ اللّه ورسوله وعتوا عتوّاً كبيراً.

لقد ظلم هؤلاء أهل البيت عليهم السّلام، وكلّ مسلم بل كلّ إنسان يتبرّأ من الظّالم، كائناً من كان الظالم وكائناً من كان من وقع عليه الظّلم، فما ظنّك بمن ظلم أهل البيت عليهم السّلام؟

فلِمَ هذا الظلم؟

وماذا فعل أهل البيت؟

هل ضيّعوا حقّاً لأحدٍ؟

هل عادوا أحداً بغير حق؟

وجوب البراءة من الظالمين للأئمَّة

إنَّ الصدّيقة الطاهرة والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام قد دعوا الناس إلىٰ اللّه وعبادته، وإلىٰ حفظ الحدود الإلهيَّة والعمل بالشّريعة المقدّسة، ولم يكن لهم مقصد آخر، وهذا ما يعترف لهم به حتّىٰ الأعداء لهم.

لكن الحقيقة ما قلناه سابقاً وكرَّرناه وأكَّدنا عليه غير مرّة: من أنَّ هناك خطَّين

متواجهين متقابلين منذ بدأ الخلقة ولايزال التقابل بينهما مستمرّاً، أمّا خطّ اللّه وسبيله، فهو خط النبيّ وآله، وأعداؤهم والظالمون لهم هم حزب الشيطان.

ونحن نبرء إلىٰ اللّه ورسوله وأهل بيته من حزب الشيطان وأعوانه وأنصاره.

والروايات الواردة في كتب الشيعة والسنّة في سوء عاقبة الظالمين لأهل البيت عليهم السّلام، كثيرة.

فعن رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم أنّه قال:

« حُرّمت الجنَّة علىٰ مَنْ ظَلَمَ أهلَ بَيتي » [1]

ويقول القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [2].

ومن يلعنَ اللّه، فأُولئك يلعنهم الأنبياء والملائكة واللاّعنون إلىٰ يوم القيامة، وهذه وظيفتنا تجاه الظالمين لآل البيت الذين آذوا فيهم اللّه ورسوله.

لا ريب في أنَّ إيذاء الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السّلام هو إيذاءٌ لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم.

يقول رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلم:

«فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني» [3]

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢٢/٢٧.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٥٧.

(٣) أمالي الصدوق: ١٥٦؛ الصراط المستقيم: ١١٨/٢؛ بحار الأنوار: ٦٢/٢٧، ٣٤٧/٣٠، حديث ١٦٤؛ صحيح مسلم: ١٤١/٧، مع تفاوت بسيط؛ السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٢٠١/١٠؛ كنز العمّال: ١١١/١٢، حديث ٣٤٢٤١؛ المجموع: ٢٤٤/٢٠.

وطبقاً للدراسات الكثيرة حول هذا الحديث، فإنَّ علماء أهل السنَّة يعترفون في شرح هذا الحديث بأنَّه يتضمَّن عدَّة مطالب:

١- إنَّ سبَّ فاطمة الزهراء عليها السّلام، كفرٌ.

٢- إنَّ فاطمة الزهراء عليها السّلام هي أفضل من الشيخين فهي أفضل من جميع الصّحابة.

٣- إنَّ ظالمي أبناء فاطمة الزهراء عليها السّلام، ملعونون.

قال المناوي في شرح الحديث:

«(فاطمة) إبنته (بضعة) بفتح أوّله وحكي ضمّه وكسره وسكون المعجمة والأشهر الفتح أي جزء (منّي) كقطعة لحم منّي (فمن أغضبها) بفعل لا يرضيها فقد (أغضبني).

استدلّ به السهيلي علىٰ أنَّ من سبّها كفر؛ لأنَّه يغضبه، وأنَّها أفضل من الشيخين»

ثمَّ أضاف المناوي قائلاً:

« قال الشريف السمهودي: ومعلوم أنَّ أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثمَّ لمّا رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها، أوّلها رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بأن تلد فاطمة عليها السّلام غلاماً فيوضع في حجرها.

فكلّ من يشاهد الآن من ذريَّتها بضعة من تلك البضعة وإنْ تعدّدت الوسائط. ومن تأمّل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنُّب بغضهم علىٰ أي حال كانوا عليه.»[١]

---

(١) فيض القدير، شرح الجامع الصغير: ٤/٥٥٤، رقم ٥٨٣٣.

وعليه، فمن آذىٰ الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام، فإنَّ إيذائهما إيذاء لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، بإعتبار أنَّ إيذائهما إيذاء بضعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وإيذاؤها إيذاء لنفس رسول اللّه.

وكذا الحال في إيذاء سائر الأئمّة عليهم السّلام وحتّىٰ أولادهم وذراريهم، فيجب تعظيمهم وإحترامهم. ويحرم إيذائهم بأي شكل من الأشكال، لشمول الآية والحديث المذكور لهم.

وبناءاً علىٰ ذلك، فهل يُعقل أن نسكت عن أُولئك الذين ظلموا الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؟

وهل يمكن أن تشمل الرحمة الإلهيّة من آذىٰ اللّه ورسوله؟

إنّهم مطرودون من الرحمة ومعذّبون في العذاب وهم فيه خالدون.

وَالجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ؛

من الجاحدين لحقّهم

قالوا في مفهوم "الجحد" ما يفيد أنّه أخص من "الإنكار"، قال الراغب الإصفهاني:

«الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيُه»(١)

وعليه، فالإنكار علىٰ نحوين:

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨.

١- قد ينكر الإنسان شيئاً وهو عالم بوجوده وتحقُّقه.

٢- قد ينكرالإنسان شيئاً وهو جاهل به.

فكلمة "جحد" تعني الإنكار مع العلم والإطّلاع، أي إنَّ الإنسان يعلم بوجود ذلك الشيء ومع ذلك ينكره.

يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا ﴾ [١].

لماذا ينكرون حقّ أهل البيت مع تيقنهم به؟

لأنَّهم يريدون العلوّ في الأرض، فيظلمون أصحاب الحقّ ويغصبونه منهم ويستبدّون بالأمر ويتصدّون الحكم والرئاسة.

فالذين بايعوا علياً عليه السّلام يوم الغدير وهنّئوه بالولاية وقالوا له: «بخٍّ بخٍّ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة» [٢] هم أنفسهم الذين أنكروا ولايته وكلّ مناقبه، حتّىٰ أُخوَّته لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، أنكروها يوم أجبروه علىٰ بيعة من نصبوه بعد رحيل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

وعندما وصل خبر إستشهاد أمير المؤمنين عليه السّلام في محرابه معاوية بن أبي سفيان، بكىٰ وقال:

«إنّا للّه وإنّا إليه راجعون»

فقيل له: فلماذا قاتلته؟

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ١٤.

(٢) راجع كتاب نفحات الأزهار: ١/ ٥٠.

قال معاوية:

«أنا أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه»[١]

وعندما سأل المأمون أباه هارون عن سبب إحترامه وتبجيله للإمام موسىٰ بن جعفر عليه السّلام، أجاب:

«لأنَّه إمام الناس وحجَّة اللّه علىٰ الخلق وخليفته علىٰ العباد!!»

فقال المأمون: «ألست أنت إمام الناس ؟»

قال: «أنا إمامهم بالقوَّة، واللّه يا بني إنَّ موسىٰ بن جعفر هو الأجدر من كلّ الناس بخلافة رسول اللّه، إنَّ الملك عقيم، وواللّه لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك.»[٢]

فهذا حال هؤلاء القوم، جحدوا حق أهل البيت واستيقنته أنفسهم حتّىٰ يصلوا إلىٰ الحكم ويتسلّطوا علىٰ رقاب الناس.

وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ؛

من المارقين من ولايتهم

قال في كتاب "العين":

«المروق: الخروج من شيء من غير مدخله. والمارقة: الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية مروقاً.»[٣]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٥٨٢.

(٢) الإحتجاج: ٢/ ١٦٦.

(٣) كتاب العين: ٥/ ١٦٠، وراجع كتاب الصحاح: ٤/ ١٥٥٤؛ النهاية ٤/ ٣٢٠.

والمهم أنْ نعرف المارقين من ولاية أهل البيت الطاهرين، ثم نفهم مصيرهم في الدنيا والآخرة، وما هو الواجب علينا تجاههم.

إنَّ هذا العنوان لينطبق علىٰ كلّ من بايع أمير المؤمنين بالولاية ثمّ نكث البيعة، ولكنّه قد طُبق أينما ورد في تأريخ الإسلام وأحاديث النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله علىٰ خوارج النهروان. أُولئك الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السّلام ولكنَّهم خرجوا عن بيعته وساروا في طريق ضلالةٍ ضيِّقٍ ومظلم.

إنَّ من الضرورات التأريخيَّة أنَّ ثلاثة فرق حاربت أمير المؤمنين عليه السّلام وهم الناكثون، القاسطون والمارقون.

أمّا الناكثون، فهم الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السّلام، ولكنّهم نكثوا بيعتهم وأشعلوا نار حرب الجمل.

وأمّا القاسطون، فهم الفرقة الباغية الجائرة أتباع معاوية الذين قاموا لغصب الحقّ من أهله وتحكيم الباطل وحاربوا أمير المؤمنين في وقعة صفّين.

والمارقون، هم الخوارج الذين اجّجوا نار الحرب في النهروان.

وقد روىٰ الفريقان بالأسانيد المعتبرة عن عمار بن ياسر وأبي أيّوب الأنصاري وأبي سعيد الخدري وغيرهم رضوان اللّه تعالىٰ عليهم أنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أخبر أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام بأنَّه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

من ذلك قوله صلّىٰ اللّه عليه وآله:

«ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فمن قاتلك منهم فإنّ لك بكلّ رجل منهم شفاعة في مائة ألف من شيعتك.

فقلت: يا رسول اللّه، فمن الناكثون؟

قال: طلحة والزبير، سيبايعانك بالحجاز وينكثانك بالعراق، فإذا فعلا ذلك فحاربهما فإنّ في قتالهما طهارة لأهل الأرض.

قلت: فمن القاسطون؟

قال: معاوية وأصحابه.

قلت: فمن المارقون؟

قال: أصحاب ذي الثّديّة، وهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية، فاقتلهم فإنّ في قتلهم فرجاً لأهل الأرض، وعذاباً معجّلاً عليهم، وذخراً لك عند اللّه عزّوجلّ يوم القيامة...»(١)

وجاء في حديث صحيح أنَّ عليّاً عليه السّلام قال:

«أُمِرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»(٢)

وفي حديث آخر رواه المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السّلام أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم قال لأُمِّ سلمة رضي اللّه عنها:

«يَا أُمَّ سَلَمَةَ، اسْمَعِي وَاشْهَدِي، هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَأَخِي فِي الْآخِرَةِ.

يَا أُمَّ سَلَمَةَ! اسْمَعِي وَاشْهَدِي هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَزِيرِي فِي الدُّنْيَا وَوَزِيرِي فِي الْآخِرَةِ....

(١) الخصال: ٥٧٣-٥٧٤؛ بحار الأنوار: ٤٣٥/٣١، ذيل الحديث ٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٦٦/١، حديث ٢٤١؛ بحار الأنوار: ٤٣٤/٢٩، حديث ١٩؛ مجمع الزوائد: ٢٣٨/٧.راجع كتاب "دراسات في منهاج السنّة": ٣٢٢.

يَا أُمَّ سَلَمَةَ! اسْمَعِي وَاشْهَدِي هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ وَالْقَاسِطِينَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنِ النَّاكِثُونَ؟

قَالَ: الَّذِينَ يُبَايِعُونَهُ بِالْمَدِينَةِ وَيَنْكُثُونَهُ بِالْبَصْرَةِ.

قُلْتُ: مَنِ الْقَاسِطُونَ؟

قَالَ: مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

ثُمَّ قُلْتُ: مَنِ الْمَارِقُونَ؟

قَالَ: أَصْحَابُ النَّهْرَوَانِ.»[1]

هذا، وقد اتّفق علماء المذاهب، المعتزلة والأشاعرة علىٰ أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان علىٰ حقٍّ في هذه الحروب، لأنَّه قاتلهم بأمر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأنَّ من وقف في مقابله علىٰ باطل، وقد بحثنا في هذا الحديث مفصّلاً في كتابنا الكبير[2].

ولكنَّ أعداء أمير المؤمنين عليه السّلام -إبن تيميَّة وأتباعه- لم يتحمّلوا هذه الحقيقة المرّة، فكذّبوا هذا الحديث.

يقول إبن تيميَّة:

«وأمّا الحديث الذي يروىٰ أنّه أمر بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فهو حديث موضوع علىٰ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.»[3]

---

(1) معاني الأخبار: ٢٠٤؛ بحار الأنوار ٢٩٨/٣٢، حديث ٢٥٨.

(2) نفحات الأزهار ١٦١/١٤. و انظر: دراسات في منهاج السنّة: ٣٢٢.

(3) منهاج السنَّة: ١١٢/٦.

وَالْغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ؛

غاصبوا إرث الأئمّة

نعم، إنّنا مكلّفون بالبراءة من غاصبي الأئمّة عليهم السّلام إرثهم.

وما معنىٰ الإرث؟

إنّه ينبغي التأمّل في مفهوم مادّة "الإرث"، وقد سبق بعض الكلام حول ذلك بشرح:

"ورثة الأنبياء"[1]. وهنا نقول:

لا شك أنّ هذا المفهوم لا يتحقّق إلاّ بتحقّق أطرافه، فهو متقوِّم بـ"الوارث" و"المورث" و"الموروث"، لكنّ دائرته أوسع بكثير ممّا هو في الفقه، ففي الفقه يحكم بانتقال المال والحقّ من المورّث بموته إلىٰ الوارث، إلاّ أنّه لا دخل لتلك الخصوصيّات في مفهوم هذه المادّة، فإنّه يتحقّق وإنْ لم يكن موتٌ في طرف المورِّث، وإنْ لم يكن الوارث فاقداً للشيء، وإنْ لم يكن الشيء مالاً أو حقّاً.

وقد ذكرنا سابقاً بعض الشواهد علىٰ ذلك من الآيات الكريمة وكلمات اللّغويين، ولا حاجة للإعادة هنا.

وبناءاً علىٰ ذلك، يقع السؤال والبحث عن معنىٰ "الغاصبين لإرثكم"، فما هو الإرث المغصوب؟ ومن الغاصب؟

إذا عرفنا المغصوب عرفنا الغاصب!

---

(١) راجع: الجزء الأوّل من هذا الكتاب: ٢٥٦.

إنَّ ممّا يتعلّق به "الإرث" هو "الحُكم والسّلطة التّشريعيَّة"، فإنَّ ذلك ممّا قرّره اللّه سبحانه وجعله للنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّه عليه وآله وللأئمَّة الإثني عشر من أهل بيته من بعده يجلسون مجلسه ويقومون بوظائفه في قيادة الأُمَّة وهدايتهم وإدارة أُمورهم وشئونهم.

فهذا أوّل وأهمّ شيء غصب من الأئمَّة الأطهار، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أرىٰ تراثي نهباً»[1]

فنحن نسخط علىٰ هؤلاء الناهبين ونتبرء منهم.

تُرىٰ، لو أنَّ هؤلاء الظالمين لم يرتكبوا ما إرتكبوا في حقّ أهل الحقّ وإستقرَّت الحكومة الإلهيَّة علىٰ الأرض بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وطبقت الأحكام الإلهيَّة وتعاليم القرآن الكريم في المجتمع بواقعيَّة، وحصل الناس علىٰ حقوقهم كاملة، ولم يظلم أحدٌ أحداً، ألم يكن ذلك أفضل مما عليه الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم بسبب ذلك الظلم وغصب الخلافة من أهلها؟

فنحن نبرأ ونسخط علىٰ أُولئك الذين منعوا ويمنعون قيام حكم اللّه علىٰ يد الأئمَّة المعصومين عليهم السّلام.

لماذا لا زال حضرة وليّ العصر عليه السّلام غائباً؟

لماذا لم تتحقَّق حقيقة «يملاء الأرض قسطاً وعدلاً»؟

الجواب هو: إنَّ هؤلاء الغاصبين والظالمين يحولون دون ذلك.

ومن المناسب التعرّض هنا لمسألة غصب فدك الزهراء عليها السّلام.

---

(١) نهج البلاغة ١/٣١، الخطبة الشقشقيَّة. معاني الأخبار: ٣٦١؛ بحار الأنوار ٢٩/٤٩٨، حديث ١.

لقد كانت فدك بالدرجة الأولىٰ ملكاً للزهراء عليها السّلام ولم تكن إرثاً بالمعنىٰ الفقهي، لأنَّ "فدك" ملك لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقد أعطاها بيده للزهراء عليها السّلام، هديَّة منه لها.

وعندما غُصبت منها وأنكرها غاصبوها علىٰ الصدّيقة الطاهرة، طالبت بها، فقالوا: إنَّ رسول اللّه لم يهبها لك، ولا زالت باقية علىٰ ملك رسول اللّه!!

مما إضطرّ الزهراء عليها السّلام أن تطالب بها من باب الإرث.

ولكي يتّضح هذا الأمر أكثر نحاول البحث في القضيَّة إستناداً إلىٰ مصادر أهل السنَّة.

بحث مختصر في "فدك"

إتّفق المسلمون علىٰ إنَّ كلَّ أرض للكفّار قد أُخذت عن طريق الصّلح فهي ملك شخصيّ للنبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.[1]

وإتّفق المسلمون جميعاً علىٰ إنَّ "فدك" قد أُخذت صلحاً.[2]

وقد روىٰ الفريقان أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أعطىٰ فدكاً للزهراء عليها السّلام في حياته، وكانت "فدك" بيدها في حياة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.[3]

ومن ضروريات ومسلَّمات التأريخ الإسلامي، أنَّ أبابكر قد أخذ فدكاً من الزهراء عليها السَّلام بعد وفاة رسول اللّه وطرد عاملها عليها.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٨ / ٩ و ١٠.

(٢) تفسير الرازي: ١٥/ ٢٨٤.

(٣) الملل والنحل: ١/ ١٣؛ معجم البلدان: ٤/ ٢٧٠؛ مراصد الإطّلاع: ٣/ ١٠٢٠؛ الدرّ المنثور: ٥/ ٢٧٣؛ مجمع الزوائد: ٧/ ٤٩؛ كنز العمّال: ٣/ ٧٦٧؛ الصواعق المحرقة: ٣١؛ شرح المقاصد: ٥/ ٢٧٩.

ومن مسلّمات التأريخ أيضاً، أنَّ الزهراء عليها السّلام قد طالبت أبابكر بفدك، وإنَّه طالبها بالشهود!

ومع إنَّ مطالبة أبي‌بكر هذه مخالفة للمقرّرات الشرعيَّة عند كلِّ المسلمين، سنّة وشيعة، لكنَّ الزهراء عليها السّلام قد جاءت بأمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين وأُمَّ أيمن كشهود علىٰ دعواها، فردَّ أبوبكر شهادتهم ولم يقبلها، مع إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد قال في حقِّ عليٍّ أمير المؤمنين عليه السّلام:

«عليٌّ مع الحقِّ والحقّ مع عليٍّ»[1]

وإنَّ النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد قال في حقِّ الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام:

«الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنَّة»[2]

وقال صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حقِّ أُمِّ أيمن:

«مَن سرَّه أن يتزوّج إمرأةً من أهل الجنَّة فليتزوَّج أُمَّ أيمن»[3]

ومع ذلك، فإنَّ أبابكر قد ردَّ شهادة هؤلاء الأطهار وشهادة أُمِّ أيمن.

وطبقاً لما تقرّر في فقه أهل السنَّة، كان لأبي بكر أن يطلب من الزهراء أن تحلف -مضافاً إلىٰ شهادة هؤلاء الشهود- كما إكتفىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في واقعةٍ[4] بشاهدٍ واحدٍ وحلف المدّعي، ولكنَّ أبابكر لم يفعل ذلك.

---

(١) صحيح الترمذي: ٥٩٢/٥؛ المستدرك على الصحيحين: ١٢٩/٣ و١٣٤؛ مجمع الزوائد: ٢٣٥/٧.

(٢) صحيح الترمذي: ٦١٤/٥؛ خصائص عليّ عليه السّلام للحافظ النسائي: ٩٩؛ مسند أحمد: ٣/٣؛ المستدرك على الصحيحين: ١٨٢/٣.

(٣) الطبقات الكبرىٰ: ٢١٣/١٠؛ الإصابة: ١٧٢/٨.

(٤) جامع الأُصول: ١٨٤/١٠.

ولمّا رُدَّت شهادة الشهود، جاءت الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام وطالبت بفدك بعنوان إرث رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فقالت لأبي بكر -كما جاء ذلك في بعض المصادر-: «يابن أبي قحافة، أترثُ أباك ولا أرث أبي؟»[١]

وفي مسند أحمد، أنَّ الصدّيقة فاطمة قالت لأبي بكر:

«أنت ورثت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أم أهله؟»[٢]

ورویٰ البخاري ذلك فقال:

«فَأَبَىٰ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَىٰ فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئاً فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَابَكْرٍ، وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا. وكان لِعَلِي مِنَ الناسِ وجه حياة فاطمة.»[٣]

لماذا لم يُرجع أبوبكر فدكاً بعنوان الإرث؟

إنه قال في جواب فاطمة عليها السّلام:

«إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال: إنّا معاشر الأنبياء لا نورِّث ماتركنا صدقة»

ولكنَّ الكلُّ إتّفقوا علىٰ أنَّ أحداً لم يسمع هذا الكلام من رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولم ينسبه أحدٌ إلىٰ رسول اللّه إلاّ أبوبكر.[٤]

---

(١) بلاغات النساء: ٥٨؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٠/١٦.

(٢) مسند أحمد: ٤/١.

(٣) صحيح البخاري: ٢٨٨/٥؛ صحيح مسلم: ١٥٢/٥.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٨٦؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣١١/٣٠؛ الصواعق المحرقة: ١٩؛ كنز العمّال: ٦٠٤/٥؛ المحصول في علم الأصول: ١٨٠/٢؛ المستصفىٰ في علم الأصول: ١٢١/٢؛ شرح المواقف: ٣٥٥/٨؛ شرح المقاصد: ٢٧٨/٥.

وكيف يمكن لحكم مهمٍّ ينبغي أن يعلمه أهل بيت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله -خاصّة إبنته الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام إذ لا وارث له سواها- لم يقله النبيّ الأكرم إلاّ لأبيّ بكر؟!

وهذا ما تعجّب منه حتّىٰ الفخر الرازي!![1]

ولكنّ هذا الكلام كذبٌ محض، وذلك لأنّه -مضافاً إلىٰ ما مضىٰ منّا- مخالف لصريح آيات القرآن المجيد في وراثة الأنبياء، ولسنّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله القطعيّة، كما إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام والعبّاس عمّ النبي قد كذّبا هذا الحديث المزعوم.[2]

وَالشَّاكِّيْنَ فِيْكُمْ؛

من المشككين في الأئمّة

نحن نتبرّأ حتّىٰ من الذين يشكّون في أئمّتنا.

ما معنىٰ الشكّ في الأئمّة؟

إنّ معنىٰ الشكّ معلومٌ وهو أمرٌ قلبيّ، قد ينعكس علىٰ الجوارح وتظهر آثاره وقد لا ينعكس، ويعود الشكّ في الأئمّة إلىٰ الشكّ بإمامتهم كما شكّكَ أُولئك المشكّكون في رسالة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.

ومن المعلوم أنّ الذين يشكّون في نبوّة رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله

---

(١) تفسير الرازي: ٩/٢١٨.

(٢) صحيح مسلم: ٥/١٥٢.

يحشرون مع أبي جهل وأبي لهب وسائر أعداء رسول اللّه، وكذلك حال المشكّكين في إمامة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وبطبيعة الحال، لابدَّ من البراءة من أمثال هؤلاء والسخط عليهم، لأنَّ الشك يساوق عدم الإيمان، والشكُّ في الأئمَّة المعصومين عليهم السّلام شكٌّ في رسول اللّه، والشكُّ في رسول اللّه شكٌّ في اللّه تعالىٰ.

وفي هذا الخصوص، وردت روايات كثيرة.

وكنموذج علىٰ ذلك ننقل ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن حذيفة بن أُسيد، قال:

«يا حذيفة، إنَّ حجَّة اللّه عليك بعدي عليُّ بن أبي طالب، الكفر به كفرٌ باللّه والشرك به شرك باللّه، والشكُّ فيه شكٌّ في اللّه...»[1]

وَالمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ؛

الإنحراف عن الأئمَّة

الإنحراف عن الأئمَّة عليهم السّلام، هو الإعراض عنهم في القلب والتوجّه نحو غيرهم، وإنْ لم يستتبع عملاً علىٰ خلاف مرامهم، ويتحقّق ذلك بالخروج عن طاعتهم والإبتعاد عن خطّهم مهما قلّ هذا الإبتعاد.

فنحن نبرء من مثل هؤلاء الذين ينحرفون عن خطّ أهل البيت عليهم

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩٧.

السّلام، إذ تقرّر عدم وجود أكثر من خطّين، ولكلٍّ منهما أئمّة يدعون إليه، وقد ثبت بحكم اللّه ورسوله وبحكم العقل وجوب إتّباع أهل البيت المعصومين والسير في خطّهم وطريقهم بدقّة، لأنّهم أئمّة الهدىٰ والدعاة إلىٰ اللّه، والميل عنهم ولو قليلاً ضلال.

وَمِنْ كُلِّ وَلِيْجَةٍ دُونَكُمْ؛

الوليجة من "الولوج". يقول الراغب الإصفهاني:

«الولوج: الدخول في مضيق.»

ثمّ يضيف قائلاً:

«والوليجة: كلُّ ما يتّخذه الإنسان معتمداً عليه وليس من أهله»[١]

وهذه الجملة إشارة إلىٰ الآية المباركة:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلاٰ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَة﴾[٢].

وهذه الآية من جملة الأدلّة علىٰ ما ذكرنا -وقد كرّرنا مراراً- من أنّه ليس هناك إلاّ طريقان، طريق هدىً يدعو إليه أئمّة أهل بيت رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله، وطريق ضلالٍ يدعو إليه أئمّة الضّلال، هذا من جهة. ومن جهة أُخرىٰ، فإنّ الآية المباركة تفيد أنّ اللّه تعالىٰ قد قرّر إمتحان المكلّفين، حتّىٰ يعرف الذين يختارون غير طريق اللّه ورسوله والمؤمنين طريقاً لهم ويتّخذونه معتمَداً.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨٣.

(٢) سورة التوبة (٩): الآية ١٦.

فطريق اللّه ورسوله والمؤمنين واحدٌ وهو الطريق الحقّ المؤدّي إلىٰ النجاة، وغير هذا الطريق أيّاً مّا كان فهو طريق الضلالة.

ويبقىٰ كلام في المراد من "المؤمنين" في الآية الشريفة، وهو ما يبيِّنه الإمام الباقر عليه السّلام في قوله:

«يعني بالمؤمنين: الأئمّة، لم يتّخذوا الولائج من دونهم»[(١)]

وعليه، فالأئمّة الأطهار عليهم السّلام هم ميزان الإمتحان بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله. فينبغي علينا أن لا نرجع إلىٰ غير الأئمّة عليهم السّلام -بعد اللّه ورسوله- في أيّ أمرٍ من أُمور الدين، وأن لا نكون تحت ولاية أيِّ أحد غيرهم.

فنحن نظهر هذا المعنىٰ ونعلن هذه العقيدة بهذه العبارة في الزيارة في حضور الأئمّة عليهم السّلام.

وَكُلٌّ مُطاعٍ سواكُم؛

نعم، فالإطاعة المطلقة مختصّة باللّه وبرسول اللّه والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وليس غيرهم أحدٌ تجب طاعته بنحو الإطلاق. يقول تعالىٰ:

﴿أَطِيْعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيْ الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[(٢)].

وفي حديث عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم يقول:

«من أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع اللّه»[(٣)]

---

(١) الكافي: ١/٤١٥.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ٥٩.

(٣) راجع كتاب المستدرك على الصحيحين ٣/١٢١؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٣٠٦؛ كنز العمّال ١١/٦١٤ ومصادر أُخرىٰ.

ولم يقل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مثل هذا الكلام في غير عليٍّ عليه السّلام من الناس.

وفي حديث آخر لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم قال:

«إنّي مخلّف فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لن تضلّوا: كتاب اللّه وعترتي أهلَ بيتي ...»[1]

بل، في الإطاعة غير المطلقة أيضاً، لابدَّ من الرجوع إلىٰ الشّريعة في المُطاع وحدّ الإطاعة له، حتّىٰ تكون طاعته بإذنٍ من اللّه فيترتّب عليها الأجر والثواب.

وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ؛

أئمّة النار

كأنَّ هذا المقطع من الزيارة إشارة إلىٰ الآية الكريمة في القرآن المجيد وهو قوله تعالىٰ:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّار﴾[2].

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ من القرآن المجيد:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[3].

---

(١) راجع كتاب نفحات الأزهار، الجزء الأوّل.

(٢) سورة القصص (٣٨): الآية ٤١.

(٣) سورة الإسراء (١٧): الآية ٧١.

ومن خلال هذه الآيات الشريفة نعلم بأنَّ لكلّ شخص إماماً، ومن هنا يقول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«ألا وإنَّ لكلِّ مأمومٍ إماماً يقتدي به ...»[(١)]

والإمام، إمّا إمام عادل منصوب من قبل اللّه تعالىٰ، فتكون عاقبة المؤتمّين به النجاة في الآخرة ودخول الجنَّة، وإمّا إمام جور، يعني الإمام غير المنصوب من قبل اللّه تعالىٰ، وعاقبة من يأتمَّ بمثل هذا الإمام جهنم وعذابها الأليم.

ومن ثَمَّ يقول الإمام الباقر عليه السّلام:

«الأئمّة في كتاب اللّه عزّوجلّ إماما: إمام عدل وإمام جور. قال اللّه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[(٢)] لا بأمر الناس، يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم وحكم اللّه قبل حكمهم، قال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّار ﴾[(٣)] يقدّمون أمرهم قبل أمر اللّه وحكمهم قبل حكم اللّه، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب اللّه.[(٤)]

وهذا هو ما قلناه مراراً من وجود خطَّين فقط علىٰ مرِّ التأريخ، لا ثالث لهما.

وبالطبع، فإنَّ أئمّة الضلال لم يكونوا الحكّام فقط، بل إنَّ كلَّ شخص، وفي أيِّ موقع كان، إذا دعا إلىٰ الباطل وأسَّس للجور، وبنىٰ بنيان الضّلال، فهو "إمام يدعو إلىٰ النار".

ومن هنا، فإنَّ أرباب المذاهب الفقهيَّة في الإسلام، والذين وقفوا في مقابل

---

(١) نهج البلاغة: ٤١٧، الكتاب ٤٥؛ بحار الأنوار: ٧١/ ٣٢٠.

(٢) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٧٣.

(٣) سورة القصص (٣٨): الآية ٤١.

(٤) الكافي: ١/ ٢١٦، حديث ٢؛ الإختصاص: ٢١؛ بحار الأنوار: ٢٤/ ١٤٦، حديث ١٣.

مدرسة رسول اللّه وأهل البيت عليهم السّلام، واسّسوا فقهاً على أهوائهم، وقلّدهم الناس في ذلك، فهم أئمّة ضلال و"دعاة إلىٰ النار".

ولهذا نجد الروايات تصرّح بأنّ الأئمّة عليهم السّلام قد لَعنوا أُولئك الأشخاص، الذين قادوا الناس إلىٰ النار، ومن ذلك ما ورد عن الإمام موسىٰ بن جعفر في سند صحيح إنّه قال:

«لَعَنَ اللّه أبا حنيفة»

ثمّ بيّن الإمام عليه السّلام سبب لعنه له بقوله:

«كان يقول: قال عليّ وقلت.»[1]

---

(١) الكافي: ١/ ٥٦، حديث ٩؛ بحار الأنوار: ٢/ ٣٠٦.

القسم السادس

الدعاء والتوسُّل

فَثَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ

عَلَىٰ مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ، وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ.

وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ، وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ؛

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ.

مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ، وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ، وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ، وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ، وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ، وَحُجَجُ الْجَبَّارِ.

بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ.

وَإِلَىٰ جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ.

وَإِنْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السَّلام فَقُلْ وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ.

آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ، وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ-، بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَىٰ الرِّضْوَانِ، وَعَلَىٰ مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ، وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ، وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ، وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ، وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ، وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ، وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ.

فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ، وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ، وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ، وَأَوْفَىٰ عَهْدَكُمْ، وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ.

كَلَامُكُمْ نُورٌ، وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ، وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَىٰ، وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ، وَعَادَتُكُمُ

الْإِحْسَانُ، وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَـرَمُ، وَشَـأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّـدْقُ وَالرِّفْـقُ، وَقَـوْلُكُمْ حُكْـمٌ وَحَتْمٌ، وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ.

إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَـيْفَ أَصِـفُ حُسْنَ ثَـنَائِكُمْ، وَأُحْـصِي جَـمِيلَ بَـلَائِكُمْ؟ وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّـهُ مِـنَ الذُّلِّ وَفَـرَّجَ عَـنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِـنْ شَـفَا جُـرُفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا، وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا، وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَقَامُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ، فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ، وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ، وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ، لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي، فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ، مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي، فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

دعاءٌ وثناء

في هذا القسم من الزيارة، ندعو ونطلب من حضرات المعصومين عليهم السلام أن يشفعوا لنا. وعمدة الحاجات المذكورة في هذا القسم هي أُمور معنويَّة، وقبل كلِّ فقرة ورد فيها دعاء وطلب، سبقها حمدٌ وثناء ومدح للأئمَّة عليهم السّلام، فإنَّ تقديم الحمد والثناء قبل الدعاء هو من آداب الدعاء، وبه أُمرنا[1]، وهذا ما نجده في أغلب الأدعية.

إنَّ الدعاء والتوسل وطلب الحاجات جاء في آخر الزيارة، وخاصَّة بعد عرض الإعتقادات، وفرِّع بـ"الفاء" وأوّل دعاء ورد في هذا القسم هو ثبات القدم علىٰ الموالاة إلىٰ آخر العمر.

---

(١) راجع كتاب الكافي: ٢/ ٤٨٤.

فَثَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ ؛

طلب الثبات

وفي تقديم هذا الطلب علىٰ سائر الحاجات والطلبات حكمة، فإنَّ الزائر بعدما يعرض عقائده الحقَّة بحضور الإمام عليه السّلام، خاصَّة في زمن الغيبة، يكون ملتفتاً إلىٰ أمرين مهمّين جدّاً إلتفاتاً كاملاً:

الأمر الأوّل:

عظمة هذه العقائد التي عرضها علىٰ الإمام عليه السّلام من أوّل الزيارة إلىٰ هذا المقطع منها، وأنه وجميع المؤمنين الموالين لأهل البيت الطّاهرين مسئولون عن هذه الأُمور الإعتقاديَّة.

فالقسم السابق بدأ بعرض سلسلة من الإعتقادات تبدأ بكلمة الإيمان. مثل:

أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ
كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ ؛

وبعد هذه الجملة، قرأنا:

مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُم ؛

ثم قرأنا:

مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُم ؛

وعندما إنتهينا من ذلك، قلنا:

آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُم ؛

وحينئذٍ جاء دور البراءة، فقلنا:

وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُم ؛

فالزائر عندما يبيِّن هذه الأمور بعنوان كونها سلسلة عقائديَّة، لابدَّ أن يلتفت إلىٰ هذه المعاني، فليس الأمر مجرَّد ذكر سلسلة المعتقدات بدون التمعُّن بمعانيها، بل لابد من أن يكون عارفاً، ولو في الجملة، بهذه المفاهيم، مدركاً لمعانيها ليكون معتقداً بها، ثم يعرضها علىٰ إمام زمانه عليه السّلام.

فعلىٰ الإنسان نفسه أن يقف علىٰ عظمة وأهميَّة المسائل الإعتقاديَّة التي يؤمن بها وأن يعلمها ولو في الجملة، وأن يعرف ويعتقد بما يجب عليه الاعتقاد به بالدليل والبرهان.

فما يقوله الأب أو يقوله الأُستاذ لا ينفع إذا لم يعتقده الإنسان عن دليل، وعلىٰ كلِّ شخص بمقدار وُسعه أن يطّلع علىٰ الأُمور الإعتقاديَّة خاصَّة ما يكون مسئولاً عنه، وأن يؤمن بتلك الأُمور عن قناعة ويقين.

الأمر الثاني:

إنَّه يجب علينا أن نعلم بأنَّ الشيطان لن يترك الإنسان، بل هو -لعنه اللّه- يكيد دائماً، ويحاول إغواءَه ووسوسته.

وهذا لا يختصّ بعامّة الناس وإنّما يصدق حتّىٰ علىٰ الأنبياء والأولياء، فإنَّ الشيطان يحاول معهم وإنْ كان فَشَلَه حتميّاً في مواردهم.

فالشيطان يحاول في كلّ زمان ومكان وحال وظرف أن يغوي الإنسان، وقد أقسم اللعين علىٰ ذلك بعزَّة اللّه وجلاله.

فلو طالعتم التأريخ لوجدتم بعض الناس قد إنحرف بالكامل علىٰ أثر شبهة شيطانيَّة، أو لأنَّه حصل علىٰ مقامٍ أو وصل إلىٰ جاه فأغواه الشيطان به فإنحرف عن طريق الحقِّ.

وقد ينحرف الإنسان علىٰ أثر أكله للقمة طعام مشتبهة الحليَّة والحرمة فأثَّرت في نفسه، وقد يكون للمرأة دور في إنحراف الإنسان.

نعم، إنَّ الشيطان يُجرِّب كلّ الوسائل، ويسلك كلَّ الطرق من أجل السّيطرة علىٰ الإنسان وإغوائه.

وهذه المسألة في زماننا الراهن هي من المسائل الجديَّة العويصة، فمع تطوّر وسائل الإغراء والإغواء إزدادت حبائل الشيطان وجنوده للسيطرة علىٰ غير عباد اللّه المخلصين، فقد شمَّر جنود الشيطان عن سواعدهم فحاولوا بشتّىٰ الوسائل

شنٍّ الهجمات على أهل هذا المذهب، كما إتَّحد أعداءُ هذا المذهب على إختلاف معتقداتهم ومدارسهم وخلافاتهم الدنيويَّة، لمواجهة المذهب الحقِّ وتضعيفه والنيل من أتباعه، مستفيدين من كلِّ الوسائل والطرق المتاحة لإيجاد فجوة وهوَّة في المذهب الحقِّ، بل يبلغنا أحياناً عن بعض من أمضىٰ عمراً في هذا المذهب، بعض الأقاويل التي ما كنّا نحتمل صدورها يوماً من أمثالهم.

نعم، فالشيطان متربص بالجميع وبأساليب متعدّدة قد لا تخطر ببال أحد، لإغوائهم، وقد أقسم علىٰ ذلك كما يحكي لنا القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين ﴾ (١).

فالملعون قد أقسم بعزَّة اللّه تعالىٰ علىٰ أن يقعد لهم بكلِّ صراط.

ويقع الكلام في هذا القسم في أنَّ الشيطان هل يعتقد باللّه وعزَّته فيُقسم بعزّته أنّه يغويهم أجمعين ثمّ يستثني؟ سنبحث عن ذلك لاحقاً.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّنا نحن البشر غيرُ معصومين، ويصدر منّا الذنب، ولكنْ، لماذا نجد أنفسنا دقيقين في المسائل الماديَّة الدنيويَّة، فندقّق ونحقّق وندرس ونحتاط ونفكّر ونشاور ونتريث، حذراً من إرتكاب الخطأ وتحمّل المضارّ والخسارة، ولكنّنا نتساهل ونتهاون في الأمور المعنويَّة، فنقدم ونقتحم ما يعود علينا بالضرر الذي قد لا يمكن الخلاص منه أبداً؟! أو إنَّنا نقتحم الشبهات ونرتكب الخطايا الموبقات، أو نقبل الترّهات بلا أدنىٰ تعقل وتأمّل ومشورة، فنوقع أنفسنا في المطبّات العقائديّة المهلكة!!

كما إنّنا، وللأسف، إذا ما أصابنا ضرر في المال، نفكّر في السبب ونسارع في

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٨٢.

جبره، ولو أصابنا أذىً في البدن إذا ما استمرّ بنا لفترة وجيزة، نهبّ لهذا الحكيم وذاك الطبيب لمعالجته فوراً ودون تراخٍ، بينما تجدنا نتهاون ونتكاسل في المسائل الإعتقاديّة والشبهات، والتي حتّىٰ إذا لم تؤثر فينا وتحرفنا عن الحق، لكنّها ستبقىٰ عالقة بأذهاننا، فلا نبادر إلىٰ مراجعة ذوي الإختصاص والخبرة لإزاحتها ودفعها والتحقّق من حقيقتها!!

فلماذا نسرع إلىٰ مراجعة المتخصّص لدفع الصداع -مثلاً- ولا نبادر في مراجعة المتخصّص لدفع الشبهات العقائديّة؟

فصحيح أنَّ الإنسان غير معصوم -إلاّ من عصمهم اللّه تعالىٰ- ولكن عليه أن يسأل، وأن يقبل النصح والإرشاد، وأن لا يصرَّ علىٰ خطأه وإشتباهه وزَلَله في المعتقدات.

وللأسف، فإنَّ البعض، ليس فقط يصرُّ علىٰ الباطل وإنَّما يستميت في الدفاع عنه وترويجه ونشره وتقويته، ويدعو الآخرين للإيمان به، وهؤلاء هم الشيطان الذي قال:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين ﴾[1].

هذا، وقد وردت في هذا المضمار روايات كثيرة ذكرها الشيخ الكليني في الكافي وتوجد في غيره من الكتب والمصادر، تشير إلىٰ هذا المعنىٰ وإلىٰ إحتمال عدول المؤمن عن إيمانه -نعوذ باللّه- فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً.

تُرىٰ، لماذا يذهب الإيمان هكذا؟! أليس ذلك أمراً مؤسفاً ينبغي التفكّر حوله من أجل عدم الإبتلاء به؟!

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٨٢.

فقد روىٰ كليب بن معاوية عن الإمام الصادق قال:

«إنَّ العبد يُصبح مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُصبح كافراً ويمسي مؤمناً. وقومٌ يعارون الإيمان ثمَّ يُسلبونه ويسمَّون المعارين.

ثم قال عليه السّلام: فلانٌ منهم» (١)

وفي هذا المجال روايات أُخرىٰ تنتمي مضامينها إلىٰ جذور قرآنيَّة رفيعة، تدلُّ علىٰ إنَّ الإيمان علىٰ قسمين: مستقرّ ومستودع.

لاحظ هذه الرواية:

«عن يونس، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن عليه السّلام قال:

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ النُّبُوَّةِ فَلَا يَكُونُونَ إِلَّا أَنْبِيَاءَ، وَخَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ فَلَا يَكُونُونَ إِلَّا مُؤْمِنِينَ، وَأَعَارَ قَوْماً إِيمَاناً، فَإِنْ شَاءَ تَمَّمَهُ لَهُمْ وَإِنْ شَاءَ سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ.

قَالَ: وَفِيهِمْ جَرَتْ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (٢).

وَ قَالَ لِي: إِنَّ فُلَاناً كَانَ مُسْتَوْدَعاً إِيمَانَهُ، فَلَمَّا كَذَبَ عَلَيْنَا سُلِبَ إِيمَانَهُ ذَلِك؛» (٣)

وروي عن إسحاق بن عمّار قال: قال الإمام الصادق عليه السّلام:

«إِنَّ اللَّهَ جَبَلَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِمْ، فَلَا يَرْتَدُّونَ أَبَداً، وَجَبَلَ الْأَوْصِيَاءَ عَلَىٰ وَصَايَاهُمْ فَلَا يَرْتَدُّونَ أَبَداً، وَجَبَلَ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ فَلَا يَرْتَدُّونَ أَبَداً،

(١) الكافي: ٢/٤١٨، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٦٦/٢٢٦، حديث ١٧.

(٢) سورة الأنعام (٦): الآية ٩٨.

(٣) الكافي: ٢/٤١٨، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٦٦/٢٢٦-٢٢٧، حديث ١٨.

وَمِنْهُمْ مَنْ أُعِيرُ الْإِيمَانَ عَارِيَّةً، فَإِذَا هُوَ دَعَا وَأَلَحَّ فِي الدُّعَاءِ مَاتَ عَلَىٰ الْإِيمَان؛»[١]

وفي رواية أُخرىٰ عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السّلام، قال: سمعته يقول:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ خَلْقاً لِلْإِيمَانِ لَا زَوَالَ لَهُ، وَخَلَقَ خَلْقاً لِلْكُفْرِ لَا زَوَالَ لَهُ، وَخَلَقَ خَلْقاً بَيْنَ ذَلِكَ وَاسْتَوْدَعَ بَعْضَهُمُ الْإِيمَانَ، فَإِنْ يَشَأْ أَنْ يُتِمَّهُ لَهُمْ أَتَمَّهُ، وَإِنْ يَشَأْ أَنْ يَسْلُبَهُمْ إِيَّاهُ سَلَبَهُمْ، وَكَانَ فُلَانٌ مِنْهُمْ مُعَارا؛»[٢]

وفي رواية أُخرىٰ رواها الفضل بن يونس عن أبي الحسن عليه السّلام، إنّه قال:

«أَكْثِرْ مِنْ أَنْ تَقُولَ-: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْمُعَارِينَ وَلَا تُخْرِجْنِي مِنَ التَّقْصِيرِ.

قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا الْمُعَارُونَ، فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّجُلَ يُعَارُ الدِّينَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ، فَمَا مَعْنَىٰ "لَا تُخْرِجْنِي مِنَ التَّقْصِيرِ"؟

فَقَالَ: كُلُّ عَمَلٍ تُرِيدُ بِهِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَكُنْ فِيهِ مُقَصِّراً عِنْدَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ مُقَصِّرُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَل»[٣]

إذن، فنحن -وحينما نعرض عقائدنا علىٰ الإمام عليه السّلام- يجب أن نكون ملتفتين جيداً إلىٰ عظمة وأهميّة هذه الإعتقادات وخطورتها، واعين لإغواء الشيطان ووسوسته المحتملة، ولهذا وذاك نقول:

---

(١) المصدر: ٢/٤١٩، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٦٦/٢٢٠-٢٢١، حديث ٤.

(٢) المصدر: ٢/٤١٧، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٦٦/٢٢٤، حديث ١٦، وجاء فيه "فإستودع" بدلاً عن "وإستودع".

(٣) الكافي: ٢/٧٣، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٦٨/٢٢٣، حديث ١٤.

فَثَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ

عَلَىٰ مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُم ؛

فكأننا نخاطب الإمام عليه السّلام: نحن نطلب من اللّه ونرجو منكم أن تطلبوا من اللّه لنا، وتتشفعوا لنا عنده بأن يثبّتنا علىٰ ما ذكرنا من الإعتقادات، وذلك لأننا نعلم بأنّ هذه المعتقدات تواجه أعداءاً كثيرين ولها مخالفون لا يحصون، وقد استنفر الشيطان جنوده لمحاربتها، وهيّأ كافّة الوسائل المختلفة لإلقاء الشبهات والشكوك المضلّلة في أذهاننا.

ومن أجل ذلك نقول: "أبَدَاً ما حَيِيتُ" مؤكّدين علىٰ إحتياجنا في كلّ آنٍ للعون من اللّه لثبات أقدامنا في هذا الطريق إلىٰ آخر لحظة من أعمارنا.

إنّ هذا الطلب الأكيد ضروريٌّ جدّاً، لأنّ الشيطان قد أقسم علىٰ إغواء الإنسان الّذي خلق ضعيفاً، وقد وجدناه يتغيّر من حال إلىٰ حال ويتحوّل من عقيدةٍ إلىٰ أخرىٰ:

فمن الناس: من ترك الحق وخرج من الهدىٰ إلىٰ الضلال لأدنىٰ شبهةٍ عرضت عليه أو أقلّ نفعٍ دنيويٍّ أغري به.

ومن الناس: من خاف اللّه والدار الآخرة وفكّر في عاقبة أمره وفحص عن الحق واستعان باللّه فأعانه ونجّاه وكان من أهل الحقّ والهدىٰ، وهؤلاء كثيرون جدّاً.

وفي المقابل طائفتان من الناس:

فطائفة عرفوا الحق واستمسكوا به وبقوا عليه حتّىٰ آخر العمر.

ومن النّاس من كانوا على الإلحاد أو الكفر أو النفاق، فعاشوا على ذلك وماتوا عليه.

فنحن نسأل اللّه عزّوجلّ ببركة سادتنا النبي والأئمّة الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام الثبات على العقيدة الصّحيحة والأعمال الصّالحة. ومن ذلك: الموالاة والمحبّة لهم المستتبعة لطاعتهم في كلّ شيء، بحيث لو اتّفق أنْ صدرت منّا زلّة نندم عليها ونستغفر اللّه منها ونعاهده على عدم العود إليها.

الموالاة، المحبّة، المودّة

وقد تقدّم منّا القول بكثرة ورود ثلاثة مفاهيم في القرآن وفي الروايات وهي "الموالات"، "المحبّة"، "المودّة".

"فالموالات" هي نفس تلك التي وردت في آية "الولاية"، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [1].

وجاء في حديث الغدير عن رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله وسلّم:

«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه؛» [2]

و"المحبّة" أمرٌ قلبي وهي صرفُ الحبّ.

---

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٥٥.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: ٤١٥/٢، حديث ٨٩٦؛ دلائل الإمامة: ١٨؛ بحار الأنوار: ٩٨/٢٨؛ مسند أحمد: ٣٦٨/٤؛ المستدرك على الصحيحين: ١١٠/٣؛ المعجم الكبير: ١٩٥/٥؛ المواقف: ٦٠٢/٣؛ كنز العمّال: ١٥٧/١٣، حديث ٣٦٤٨٥.

ثم يقع الكلام في أنَّه: هل يصحُّ لأحدٍ أن يُحبَّ أهل البيت عليهم السّلام ولكنَّه في نفس الوقت يتبع غيرهم في العقيدة والعمل؟

فنحن متعلِّقون بأهل البيت عليهم السّلام، نحبُّهم ونبرأ من أعدائهم، ونلتزم بأوامرهم ونواهيهم، ومع إنَّنا لسنا كما يُريد أهل البيت عليهم السّلام من شيعتهم الواقعيّين الذين يحبّونهم ويُطيعونهم في كلِّ شيء وفي كل الأحوال ويتبعونهم متابعة واقعيَّة دقيقة، ولكنَّنا كلَّما أخطأنا استغفرنا اللّه ورجعنا إليهم.

و "المودَّة" لأهل البيت عليهم السّلام لها جذور قرآنيَّة أيضاً، وهي أخصّ مفهوماً من "المحبَّة".

فالمودَّة، وكما ذكرنا ذلك في تفسيرنا لآية المودَّة، هي الحبّ المقرون بالإنقياد والطاعة.[١]

وبناءاً علىٰ ذلك، فإنَّنا في هذا المقطع من الزيارة نطلب ثبات القدم علىٰ الإيمان، الإعتقاد، المحبَّة، المودَّة والولاية وعدم زوال ذلك إلىٰ آخر لحظة من حياتنا، لأنَّ الثبات في اللغة: ضدّ الزوال.

يقول الراغب الإصفهاني في مفردات غريب القرآن:

«الثبات: ضدّ الزوال، يقال: ثبت ثباتاً، قال اللّه تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾[٢]»[٣].

فـ"الثبات" و"الإستقرار" و"الإستقامة" مفاهيم متقاربة.

وإلىٰ ذلك أيضاً يرجع ما ورد في النصوص من الأمر بالإستقامة في سبيل اللّه

---

(١) لمزيد من الإطّلاع راجع كتاب تفسير آية المودَّة، العدد الأوَّل من سلسلة (إعرف الحق تعرف أهله).

(٢) سورة سورة الأنفال (٨): الآية ٤٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٧٨.

والدعوة إلىٰ الحق والقيام بالواجبات الدينيَّة، ولكن كلّ ذلك يحتاج إلىٰ لطف من اللّه وعناية من النبيّ وآله الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام وإهتمام وجديَّةٍ منّا.

فإذا واجهنا شبهة أو لغزاً عقائديَّاً بادرنا إلىٰ مراجعة ذوي الإختصاص والخبرة من أهل التحقيق والتدقيق لرفع كلِّ شبهة عن أذهاننا مهما كانت صغيرة، لتبقىٰ عقائدنا وأعمالنا صحيحةً تامَّة، لأنَّنا مسئولون عن ذلك كلّه.

وأمّا في خصوص الولاية لأهل البيت عليهم السَّلام، فكما أشرنا إلىٰ ذلك سابقاً، فإنَّ كلَّ الناس مسئولون يوم القيامة عن الولاية.

وهذا ما دلَّت عليه الأدلَّة القرآنيَّة والروائيَّة الكثيرة.

ونكتفي هنا بذكر آية من القرآن الحكيم وحديثٌ من الروايات المتَّفق عليها.

قال تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ وَقِفُوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (١).

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتىٰ يُسئل عن أربع:

عن عمره فيم أفناه،

و عن جسده فيما أبلاه،

و عن ماله ممّا كسبه وفيم أنفقه،

و عن حب أهل البيت.» (٢)

---

(١) سورة الصافّات (٣٧): الآية ٢٤.

(٢) كشف الغمّة: ١/ ١٠٥؛ بحار الأنوار: ٢٧/ ٣١١.

... وَدِينِكُم ؛

الدين

ثبَّتنا اللّه تعالىٰ علىٰ دين أهل البيت عليهم السّلام.

إستُعْمِلَ لفظ "الدّين" في القرآن الكريم والكتب اللغويَّة بمعنىٰ المرام المتّبع والمنهج المنقاد له ومن هنا يصحّ تقسيمه إلىٰ الحق والباطل.

قال ابن فارس: دين. أصل واحد، إليه يرجع فروعه كلّها، وهو جنس من الإنقياد والذل، فالدين الطّاعة، يقال: إنَّ له يدين ديناً إذا أصحب وانقاد وأطاع. وقوم دين، أي مطيعون منقادون...[1]

وقال الراغب الإصفهاني:

«و الدّين... يقال إعتباراً بالطاعة والإنقياد للشريعة»[2]

وبعبارة أُخرىٰ، الدّين هو الخطّ العقائدي والعملي.

هذا، وقد ذكرنا غير مرّة أن الدّين الإسلامي يتشكّل من ثلاثة:

١- المسائل العقائديَّة.

٢- المسائل العمليَّة.

٣- المسائل الأخلاقيَّة.

فالدّين إذن، مجموعة المسائل الإعتقاديَّة، العمليَّة -الحلال والحرام، الواجبات والمحرَّمات- والمسائل الأخلاقيَّة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣١٩.

(٢) مفردات غريب القرآن: ١٧٥.

قال في مجمع البحرين:

«الدّين هو وضعٌ إلهيٌّ لأولي الألباب يتناول الأُصول والفروع... والدّين الطاعة...»[١]

فنحن في هذا المقطع من الزيارة نطلب من اللّه تعالىٰ أن يثبّت أقدامنا علىٰ الأخذ بتعاليم أهل البيت عليهم السّلام في فقههم في المسائل العمليّة (الأحكام الشرعيّة الخمسة)، وفي المسائل الإعتقاديّة، وعلىٰ الإنقياد العملي لأخلاقهم وسيرتهم وساير شئون الحياة.

وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُم؛

نطلب من اللّه أن يوفقنا لطاعتهم، أي أن لا تكون محبّتنا لهم مجرَّدة عن الطاعة، بل تكون محبَّة توأماً مع الطّاعة والمتابعة لهم وبنحو نضعُ أقدامنا في موضع أقدامهم، لا تزلّ عنها أبداً، ونقتدي بهم في كلِّ أُمورنا الدينيَّة والدنيويَّة.

ولمّا كانت الإطاعة بهذه الكيفيَّة صعبة وليست أمراً ميسوراً لنا بحسب الأسباب الظاهريَّة، لزم أن ندعو اللّه تعالىٰ كي يوفقنا لذلك بإيجاد المقتضيات ورفع الموانع.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ أئمَّة الباطل وأنصارهم، لهم مظاهر خدّاعة ومغرية، فيُلبسون الحقَّ بالباطل ويُوقعون الناس في الشبهات والشكوك.

ومن هنا سمّيت الشبهة "شبهة".

---

(١) مجمع البحرين: ٢/ ٧٦.

إنها تقلب ظواهر الحقائق، فيتحيَّر الإنسان بين الحقّ والباطل.

ولو دقَّق الإنسان في النظر في حياة البشريَّة منذ اليوم الأوَّل وإلىٰ يومنا هذا، لوجد أنَّ أتباع الشيطان وخدمته يتلونون بألوان زاهية فيخدعون الآخرين بألسنتهم وصورهم وأشكالهم، ويتملّقون ويجاملون مع الناس بألفاظ خدّاعة برّاقة، بنحو ليس فقط يجعل المقابل لا ينفر منهم بل وقد يستذوق كلامهم وينخدع به.

وأمّا كتاباتهم، فهم يطبعون كتبهم بأرقىٰ أنواع الطباعة، ويستفيدون من كلِّ الوسائل فتخرج بمظاهر جذّابة، مما يؤدّي إلىٰ رواج أباطيلهم وإغترار بعض الناس بمقولاتهم فيقعون في شرك الشيطان.

فهؤلاء ولتحقيق مآربهم يدفّون السُّمَّ بالعسل، فيتصوَّر مخاطبهم أنَّه يشرب العسل، بل ويُخبر عن حلاوته وصفائه!

ولكنَّ هذا العسل ملوَّث، فهو عسلٌ يقوّي فكره وجوارحه وأعضاءه علىٰ طاعة الشيطان وخدمته.

فإذا ما صار الإنسان بكلِّ كيانه في خدمة الشيطان، دَلَع لسانه بالتجاسر علىٰ المقدَّسات، النبي الأكرم، أمير المؤمنين عليٍّ، الصدّيقة الطاهرة فاطمة والأئمَّة المعصومين عليهم السّلام أجمعين، والتشكيك في أصول الدّين وفروعه بل ولا يمتنع من أن يرفع معوله لهدم أبنية الدّين من الأساس.

وفي مثل هذا الظّرف ينفسح المجال للشياطين بتزيين المرام الشيطاني وتحسين صور قادة حزب الشيطان وأسمائهم، فيصطنعون لهم الخدمات للدين ويغطّون علىٰ جرائمهم ومساوئهم، ويقولون لهم بأنَّكم ظُلِمْتُم علىٰ مرِّ القرون، ويكذّبون أحداث صدر الإسلام، ويزيّفون أحداث واقعة كربلاء وشهادة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام وآل الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم

وينكرون مجريات واقعة الحرَّة المشهورة فيشكّك بإراقة دماء الصحابة ونسائهم وأطفالهم الّتي أُريقت في واقعة الحرَّة، وينكر إستباحة وهتك الحُرمات والمقدَّسات، كلُّ ذلك من أجل تبرئة يزيد بن معاوية ومن تعاون معه في تلك الفجائع من الصّحابة والتابعين.[١]

قال إبن قتيبة الدينوري في كتابه "الإمامة والسياسة":

«فبلغ عدّة قتلىٰ حرَّة يومئذٍ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس، ألفاً وسبع مائة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوىٰ النساء والصبيان.

قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام علىٰ إمرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها، فقال لها: هل من مال؟

قالت: لا واللّه ما تركوا لي شيئاً.

فقال: واللّه لتخرجن إليَّ شيئاً أو لأقتلك وصبيّك هذا.

فقالت له: ويحك، إنَّه ولد إبن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولقد بايعت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله معه يوم بيعة الشجرة، علىٰ أن لا أزني، ولا أسرق، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتريه، فما آتيت شيئاً، فاتّق اللّه!

ثمَّ قالت لابنها: واللّه، لو كان عندي شيء لافتديتك به.

قال: فأخذ برجل الصّبي، والثدي في فمه، فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط، فانتثر دماغه في الأرض!

قال: فلم يخرج من البيت حتىٰ اسودّ نصف وجهه، وصار مثلاً؛»[٢]

---

(١) راجع كتاب: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٦٦؛ بحار الأنوار: ١٨/ ١٢٥ و٣٨/ ١٩٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٤.

وقد ذكروا في أحوال الحجّاج بن يوسف الثقفي إنَّ أحد كبار علماء السنَّة قال: لا تلعنوا الحجّاج، وبدلاً عن أن تلعنوه قولوا: "سبحان اللّه"، فهو ذكرُ اللّه وتثابون عليه، فلماذا تلعنون؟!

ومثل هذا الكلام قالوه أيضاً في حقِّ يزيد بن معاوية.(١)

فهؤلاء وأمثالهم يدَّعون بأنَّ اللعن غير وارد في الإسلام! فلماذا نلعن؟!

فلنقل "سبحان اللّه" بدلاً من اللعن!

وفي العقائد والقضايا التاريخيَّة من هذا القبيل كثير، بل في الأحكام الشرعيَّة، فمثلاً: لمّا يفشلون علميّاً من توجيه بدعة غسل الرجلين في الوضوء يلجأ بعضهم إلىٰ أن الغَسل أنقىٰ من المسح!(٢) لأنَّه وجهٌ يتقبّله البسطاء من الناس.

نعم، هذه هي الإلقاءات الشيطانيَّة البرّاقة الخادعة.

فنحن نطلب من اللّه تعالىٰ أن يمنَّ علينا بالتوفيق ويعيننا علىٰ طاعة أهل البيت عليهم السّلام، فإنَّ من أطاع أهل البيت فقد أطاع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ومن أطاع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فقد أطاع اللّه تعالىٰ، إذ ليس عندنا إلاّ خطٌّ واحد وهو خطّ اللّه، وفي مقابله خطّ الشيطان.

ولا يخفىٰ أنَّ "التوفيق" هو من عند اللّه تعالىٰ، وقد جاء في الكتب اللغويَّة في معناه:

«هو توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير»(٣)

---

(١) لمزيد من الإطّلاع راجع كتابنا «من هم قتلة الامام الحسين عليه السلام».

(٢) راجع كتابنا «حكم الأرجل في الوضوء».

(٣) مجمع البحرين: ٥٢٦/٤.

وهذا الأمر لا يتحقّق إلاّ من قبل اللّه سبحانه وتعالىٰ.

فنحن نطلب من الباري عزّوجلّ أن يمنَّ علينا بتيسير أسباب حصول إطاعة حضرات المعصومين عليهم السّلام وأن يثبِّت أقدامنا علىٰ طاعتهم وموالاتهم، وأن يجنِّبنا كلَّ ما يبعدنا عن طاعتهم -حدوثاً وبقاءاً- وعن كلِّ ما يمنعنا من موالاتهم، ومن ثَمَّ، فإنّنا نكرِّر يومياً في صلواتنا قول:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ ﴾[1].

وفي التفسير: إنَّ الصراط المستقيم علي عليه السَّلام.[2]

ونقرأ بإستمرار:

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب ﴾[3].

وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُم؛

طلب رزق الشفاعة

الرزق رزقان: ماديّ ومعنوي. والثاني أفضل من الأوّل. وفي كلِّ حاجةٍ نطلبها من اللّه نستشفع بحضرات المعصومين عليهم السّلام، كما أنّ لهم وساطة في كلّ نعمةٍ من اللّه علينا.

---

(١) سورة الحمد (١): الآية ٥.

(٢) تفسير كنز الدقائق ٢ / ٦٩٩.

(٣) سورة آل عمران (٣): الآية ٨.

وقد تقدم في بحث الشفاعة إشارة إلىٰ أنَّ الشفاعة منصب إلهيّ.

ويتقوّم مفهوم الشفاعة بأطراف:

الشافع والمشفوع ومورد الشفاعة والمشفَّع لديه.

موارد الشفاعة عامَّة وغير مختصَّة ببعض الأُمور دون البعض.

فالإنسان، في المسائل الماديَّة والمسائل المعنويَّة، وفي الأُمور الكبيرة والأُمور الصغيرة، في القضايا الشخصيَّة والقضايا العموميَّة، يحتاج إلىٰ الشفاعة، وله الحقُّ في طلب الشفاعة، وهذا ما يسمّىٰ بمورد الشفاعة.

إذن، مورد الشفاعة غير مقيَّد، بل هو عامٌّ ومطلق.

ولكنَّ ذلك يختلف في الشافع والمشفوع، فليس كلُّ أحد له حقّ الشفاعة فيشفع لغيره، فالشفاعة لا تتأتّىٰ من الجميع، كما إنَّه ليس كلُّ أحد يكون مشفوعاً، لأنَّ ذلك مقيَّدٌ باللياقة والأهليَّة، فهما مشروطان ومقيَّدان.

فإذا ما إتّضحت هذه النقطة الأساسيَّة في مفهوم الشفاعة وحقيقتها، وفهمت بشكل جيِّد، زالت الشبهة المثارة في هذه المسألة العقيديَّة الثابتة.

توضيح الشفاعة

الشفاعة تعني التوسُّط. فإذا ما قام شخص بوساطة لآخر عند ثالث، بجهة عمل أو أمرٍ مّا، قالوا: إنَّ فلاناً تشفَّع لفلان عند فلان من أجل كذا وكذا.

فالفعل هو "مورد الشفاعة"، والوسيط هو "الشافع"، وصاحب الحاجة هو "المشفوع".

فللإنسان أن يشفِّع في كلِّ حاجة من حوائجه، ولكنَّ الكلام في إستجابة من له أهليَّة الشفاعة للمشفوع.

فالشفيع إذا ما شُفِّع في أمرٍ مّا، فإنّه يدرس القضيّة أوّلاً، ولا يبادر إلىٰ الشفاعة، إلاّ بعد معرفة حال المشفوع للتحقُّق من لياقته واستحقاقه للشفاعة وعدمها.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الشفيع يلاحظ أيضاً مقام نفسه عند المشفَّع عنده، ليرىٰ هل له مثل هذه المكانة ليكون شفيعاً عنده للمشفوع أم لا.

فما لم يطمئنّ الشفيع من تحقُّق توفّر هذه الجهات والحيثيّات لن يتحرَّك نحو الشفاعة.

ومن جهة ثالثة، ليس هناك ضمان وحتميّة في قبول شفاعة كلِّ أحدٍ لكلِّ أحدٍ وفي كلِّ موردٍ من الموارد.

وبطبيعة الحال، فإنَّ صاحب الحاجة يروم تحقُّق حاجته، وقد قيل في جملة الأمثال: «صاحب الحاجة أعمىٰ لا يرىٰ إلاّ قضاها.»[١]

فهو يتحرَّك لنيل حاجته دون أن يلتفت إلىٰ مشروعيتها وعدمها، وهل أنَّها مسموعة أم غير مسموعة، عقلائيَّة أم غير عقلائيَّة. فالمهمّ عنده تحقّقها.

وربّما تكون الحاجة مشروعة وعقلائيّة وقابلة للتحقُّق، ولكنّ الشفيع يمتنع عن الشفاعة بحجّة أنَّ هذا الأمر ليس بصالح المشفوع له، فلا يتحرَّك الشفيع للشفاعة.

وهذه النقطة مهمَّة جدّاً، إذ لا يدرك الإنسان أحياناً صلاح نفسه وخيرها، فيصرُّ علىٰ حاجته ويلتمسها، والحال إنَّها في ضرره قال لي أحدُهم: أردت الزواج بإحدىٰ النساء، ومن الواضح أنَّ الزواج أمرٌ مشروع، وإنَّ خطبة تلك المرأة أمرٌ ممكن ومعقول، ولكنّني -وكالعادة الجارية- كنت محتاجاً إلىٰ وسيط للتمهيد للقضيَّة، فذهبت إلىٰ وجيه وطلبت منه أن يخطب لي تلك المرأة.

---

(١) كشف الخفاء: ١٨/٢، رقم ١٥٨٠.

فقال لي بسرِّية: إنَّ هذا الزواج ليس في صلاحك.

قلت: ولماذا هو في غير صلاحي؟! وما العيب في الزواج؟! ما المانع في أن أكون صهراً لفلان وزوجاً لفلانة؟

قال: لا مانع من ذلك، ولكنَّ هذه الزوجيَّة ليست في صالحك، وليس لي أن أُخبرك بالدليل.

ولم تتمّ هذه الزوجيّة، ثُمَّ تبيَّن لي فيما بعد بأنَّ تلك المرأة مبتلاة بمرض لم يطَّلع عليه الآخرون، فلم يشأ الوسيط إشاعة ذلك.

وقال لي شخص آخر: كنت راغباً في الزواج من إبنة عمّي، فلم يوافق أبوها.فحاولت كثيراً وتوسّلت ووسطت الكثيرين فلم يوافق أبوها ولم تنفع كلُّ وساطاتي عنده.

فتوسلت بأهل البيت عليهم السّلام وشكوت لهم تعلّقي بإبنة عمّي وعاتبتهم علىٰ عدم تيسير أمري هذا!!

فلم تمض إلاّ فترة وجيزة حتّىٰ علمت أنَّ الفتاة مصابة بمرض السرطان، فماتت علىٰ أثره.

يقول هذا الشخص: فندمت علىٰ إلحاحي في التوسّل بأهل البيت عليهم السّلام ومعاتبتهم وإستحييت من نفسي.

إذن، فالشفاعة مقيَّدة أيضاً بوجود مصلحة للمشفوع، فينبغي أن نلحظ ذلك، فقد تكون الحاجة مشروعة وعقلائيّة وممكنة، ولكن المصلحة في عدم تحقّقها فلا يشفع الشفيع في ذلك، وليست الشفاعة أمراً عاطفيَّاً بحتاً لا يمتّ إلىٰ المصالح والمفاسد بصلة، وإنْ كان ذلك خافياً علينا.

وتقدّم منّا بأنَّ الشفاعة حقيقة قرآنيَّة، وإن وساطة النبي الأكرم والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام محدودة، فلا يشفعون في بعض الموارد.

فمثلاً، إذا تقرَّر أنَّ المستطيع يجب عليه الحجّ، فخالف المكلَّف وتمرَّد ولم يؤدّ هذه الفريضة عمداً ومات علىٰ ذلك الحال، فستكون ميتتُه ميتةً يـهوديَّةً أو نصرانيَّة.

فكيف يشفع النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أو الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام في مثل هذا المورد؟

روىٰ ذريع المحاربي عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ حَاجَةٌ تُجْحِفُ بِهِ أَوْ مَرَضٌ لَا يُطِيقُ فِيهِ الْحَجَّ أَوْ سُلْطَانٌ يَمْنَعُهُ، فَلْيَمُتْ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً»[١]

وكذا لو إستهان الإنسان بصلاته وإستخفَّ بها، فكيف ترجىٰ له الشفاعة؟!

يقول أبو بصير:

«دَخَلْتُ عَلَىٰ أُمِّ حَمِيدَةَ أُعَزِّيهَا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عليه السَّلام، فَبَكَتْ وَبَكَيْتُ لِبُكَائِهَا.

ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السَّلام عِنْدَ الْمَوْتِ لَرَأَيْتَ عَجَباً، فَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.

قَالَتْ: فَلَمْ نَتْرُكْ أَحَداً إِلَّا جَمَعْنَاهُ.

قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ شَفَاعَتَنَا لَا تَنَالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلَاةِ»[٢]

---

(١) الكافي: ٢٦٨/٤، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٢/٩٦، حديث ٨٦.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٥٧٢، حديث ٧٧٩؛ بحار الأنوار: ١٩/٨٠، حديث ٣١.

إذن، فينبغي أن لا تصير الشفاعة سبباً وذريعةً لتجري العبد علىٰ المعاصي، فإنَّ للشفاعة ضوابط وموازين دقيقة.

نعم، إنَّ التوبة تمحو الذنوب وتجعلها كأنْ لم تكن، كما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة، قال أبو جعفر الباقر عليه السَّلام:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (١)

وللبحث عن شرح ذلك مجال آخر.

فنحن نحتاج إلىٰ شفاعة محمد وآل محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين في هذا المقام لحفظ إيماننا، وثبات تمسّكنا بالولاية وفي كلِّ الجهات الدينيَّة، سواءٌ في أُصول الدين أو في فروعه، وفي المسائل الأخلاقيَّة وغيرها، فندعو اللّه تعالىٰ أن يوفّقنا لذلك ببركة شفاعتهم عليهم السّلام.

وَ جَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمُ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ ؛

خيار التابعين

جملة "التابعين..." وصفٌ لـ"خيار مواليكم".

و"خيار" جمع "خيِّر"، وهو المنزَّه عن القبائح.

(١) الكافي: ٢/٤٣٥، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٦٠/٤١، حديث ٧٥.

و"موالي" جمع "مولىٰ".

أي: جعلني اللّه من خير أتباعكم فيما تدعون إليه.

إلىٰ ماذا يدعو الأئمّة؟

إنّ الأئمّة عليهم السّلام يدعون إلىٰ توحيد اللّه تعالىٰ، بتمام معاني التوحيد، وإلىٰ التقوىٰ والعمل الصالح وباقي أبعاد الإسلام.

وقد أشرنا آنفاً مراراً إلىٰ أنّ الأئمّة عليهم السّلام لم يدعوا الناس أبداً إلىٰ أنفسهم لحاجة في نفوسهم، وإنّما كان الغرض ربطهم باللّه، فهي دعوة إلىٰ اللّه تعالىٰ.

قال تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰه ﴾[1].

ثمّ إنّ من يتّبعهم متابعةً حقيقيّةً سيكون من أهل النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فإنّ إبراهيم عليه السّلام قال:

﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[2].

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم:

«سلمانُ منّا أهلَ البيت»[3]

وقال الصّادق عليه السّلام للحلبيّ:

«من اتّقىٰ اللّه منكم وأصلح فهو منّا أهل البيت.

قال: منكم أهل البيت؟

---

(١) سورة سورة آل عمران (٣): الآية ٣١.

(٢) سورة إبراهيم (١٤): الآية ٣٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١/ ٧٠، حديث ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٢٦، حديث ٤٨.

قال: منّا أهل البيت.

قال عمر بن يزيد: قلت له: من آل محمد؟

قال: إي -والله- من آل محمد، من أنفسهم. أما تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه﴾ [١]، وقول إبراهيم عليه السّلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [٢].» [٣]

وهذا الطلب يحتاج إلىٰ الجعل من اللّه تعالىٰ، فهو الذي يمنُّ -بلطفه وكرمه- علىٰ الداعي ويؤيّده للوصول إلىٰ مقام التابعين لهم فيما يدعون إليه.

وبالطبع، فإنّنا نطلب من اللّه تعالىٰ، ولكنَّ الطلب المجرَّد عن المقتضيات أو الواجد لمانعٍ هو اُمنيّة ورجاء، والإنسان لا يصل إلىٰ المقامات الرفيعة بمجرَّد التمنّي.

ولو رجعنا إلىٰ تأريخ شيعة أهل البيت عليهم السّلام، لوجدنا أن فيهم كواكب لمعت في سماء الولاية ووصلوا إلىٰ منازل ومقامات مرموقة عالية.

فسلمانُ رضي اللّه عنه، من أفضل أصحاب رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقد امتاز من بينهم بأنْ وصل إلىٰ مقام سامٍ إعترف بسموّه كلّ محبٍّ وعدو.

وميثم التمّار، جابر الجعفي، أبو حمزة الثمالي، محمد بن مسلم، زرارة بن أعين، وأبو بصير وغيرهم، قد إمتازوا من بين أصحاب الأئمّة عليهم السّلام بالمقام الرفيع، وكان الأئمّة عليهم السّلام يرشدون الناس ويرجعونهم إلىٰ بعض هؤلاء عندما كانوا يسألون عن الجهة التي يرجعون إليها في معالم الدين ومعرفة الأحكام ومسائل الحلال والحرام.

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٦٨.

(٢) سورة إبراهيم (١٤): الآية ٣٦.

(٣) تفسير العيّاشي: ٢/ ٢٣١، حديث ٣٢؛ تفسير نور الثقلين: ٢/ ٥٤٨، حديث ١٠٣.

يقول عبد اللّه بن أبي يعفور:

«قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السَّلام: إِنَّهُ لَيْسَ كُلَّ سَاعَةٍ أَلْقَاكَ وَلَا يُمْكِنُ الْقُدُومُ، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِنَا فَيَسْأَلُنِي وَلَيْسَ عِنْدِي كُلُّ مَا يَسْأَلُنِي عَنْهُ.

قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الثَّقَفِيِّ، فَإِنَّهُ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَبِي وَكَانَ عِنْدَهُ وَجِيها.»[1]

وعن سليمان بن خالد: أنّه سمع أبا عبد اللّه الصّادق عليه الصّلاة والسّلام يقول:

«ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السّلام، إلاّ زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين، وأُمناء أبي عليه السّلام علىٰ حلال اللّه وحرامه وهم السّابقون إلينا في الدنيا، والسّابقون إلينا في الآخرة؛»[2]

وعن أبي العباس البقباق عنه عليه السّلام أنّه قال:

«أَرْبَعَةٌ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً: بُرَيْدٌ الْعِجْلِيُّ، وَزُرَارَةُ بْنُ أَعْيَنَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَأبو جَعْفَر الْأَحْوَل أَحَبُّ النَّاسِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً»[3]

وهكذا الأمر في زمن الغيبة، فقد برز من الشيعة وعلمائهم من إمتاز بإمتيازات خاصّة.

وبطبيعة الحال، فإنَّ الدُّعاء يجب أن يقترن بالإخلاص والعمل الصّالح، وإنَّ إستجابة الدعاء مرهونة بتحقُّق شرائط معيَّنة.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤٤/٢٧، حديث ٢٣؛ بحار الأنوار: ٢٤٩/٢، حديث ٦٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤٤/٢٧، حديث ٢١؛ بحار الأنوار: ٢٩٠/٤٧، حديث ١١٢.

(٣) كمال الدّين: ٧٦؛ وسائل الشيعة: ١٤٣/٢٧، حديث ١٨.

ومن هنا، يجب علينا أن نتحرَّك ونجدّ ونجتهد مقارنة مع الدعاء والطلب والتوسّلات. وكما ذكرنا أيضاً، فإنَّ الجعل الإلهيّ وشفاعة الأئمَّة عليهم السّلام ووساطتهم لازمة في هذا المقام. فإنَّ المؤمن إذا عرض حاجته بمحضر الإمام عليه السّلام، فإنَّ ذلك يعني إنَّه يشفِّع الإمام في نجاحها.

وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُم ؛

إتّباع الآثار

كلمة "يقتصُّ" مشتقَّة من مادَّة "قصَّ".

و"قصَّ" في اللغة بمعنىٰ التتبّع والبحث.

قال الراغب الإصفهاني في هذا المعنىٰ:

« قصص: القصّ تتبّع الأثر، يقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر، قال: ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾ [١] ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [٢] قصّيه » [٣]

فالزائر في هذا الدعاء، يطلب من اللّه تعالىٰ أن يجعله ممَّن يتتبَّع ويحقّق في آثار الأئمَّة عليهم السّلام ويستقصيها من أجل أنْ يأخذ بها وأن يسير علىٰ نهجهم وسيرتهم.

إنَّه لا خلاف في أنَّ المصدر العمدة للأحكام في الشريعة الإسلاميَّة: الكتاب

(١) سورة الكهف (١٨): الآية ٦٤.

(٢) سورة القصص (٢٨): الآية ١١.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٤.

والسنَّة، ولكنّ المراد من السنَّة: قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السّلام.

فينبغي أن يبحث المؤمن في أقوال وأفعال المعصومين ويتتبَّع ذلك لكي يكون من العاملين بأحكام الشرع المبين كما أمر اللّه ورسوله، في أُصول الدين وفروعه وفي الآداب.

وممّا ذكرنا ظهر أنَّ الأوامر الواردة في الأخبار بتتبّع آثار أهل البيت عليهم السّلام هي كناية عن وجوب معرفة كلّ ما قاله وما فعله أُولئك الأطهار، ليكون لنا نهجاً ننهجه في حياتنا.

وإنْ شئت فقل: إنّها ظاهرة في الوجوب المقدّمي كسائر الأوامر المتعلّقة بتعلّم الدين الحنيف.

فهدفنا إذن، هو الإهتداء إلىٰ طريقهم وطريقتهم ونهجهم في الحياة، حتّىٰ نتحرّك في نفس الطريق ولا ننحرف عنه يميناً أو شمالاً.

وبالجملة، فالاقتصاص يعني التتبُّع والبحث والمتابعة.

وقد ظهر ممّا ذكرنا أيضاً أنَّ آثار الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ قسمين:

الأوَّل: أقوال أُولئك الكرام، أي الروايات الواصلة إلينا عن الأئمَّة عليهم السّلام، فنحن نتتبع ونحقّق وندرس ونبحث فيها.

الثاني: السيرة العمليَّة لأهل البيت عليهم السّلام.أي إنَّنا نتتبع أفعالهم وسيرتهم العمليَّة، وكيفيَّة تعاملهم مع ما يحيط بهم في شتّىٰ مجالات الحياة.

وحينئذٍ، فإنَّنا سنصل إلىٰ طريقهم عن تحقيقٍ وفحصٍ وتتبُّع في الأقوال والأفعال والسيرة العمليَّة.

فإذا ما عرفنا ذلك وطبّقناه علىٰ سلوكنا وأقوالنا وأفعالنا، فسنكون ممّن

اقتصّ آثارهم وسلك سبيلهم، وبذلك تتحقّق إرادة اللّه من نصبهم عليهم السَّلام ومقاصد الشريعة الّتي جاء بها جدّهم صلّىٰ اللّه عليه وآله.

ومن هنا يلزم أن تكون الحركة بعد البحث ومعرفة الطريق المؤدّي إلىٰ المقصد. لا أن نعمل ونتحرّك بلا تحقيق وفحص، ولا أن نعلم ثم لا نعمل فنكون من العلماء غير العاملين، إذ لا فائدة في علمٍ لا يقترن بالعمل.

والحاصل، إنّنا مأمورون بمتابعة حضرات الأئمَّة المعصومين عليهم السّلام، وهذا لا يتحقَّق إلاّ بعد أن نعرف ما هي أقوال الأئمَّة عليهم السّلام وأفعالهم.

واتّباع آثار الأئمَّة عليهم السّلام لا يتحقَّق إلاّ بعد أن نتتبّع جميع آثارهم في سائر المعارف الدينيَّة فنأخذ بها، وكذا في سيرتهم الفرديَّة، والإجتماعيَّة فنطبّقها، كأنْ نعرف:

كيف: كانت الحياة الشخصيَّة للأئمَّة وتفاصيلها؟

كيف كانت حياتهم الإجتماعيَّة؟

كيف تعاملوا مع أصحابهم؟ وماذا قالوا في هذا المجال؟

كيف تعاملوا مع أعدائهم؟ وماذا قالوا في هذا المجال؟

كيف كانوا في زمن حكومتهم؟

ما هي أساليبهم في الحروب والمعارك؟

كيف كانوا في أيّام الصلح؟

نعم، كلُّ هذه الموارد وغيرها ممّا يجب تتبّعه، للوقوف علىٰ أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم، ثمَّ العمل بها وتطبيقها لنكون من شيعتهم الحقيقيّين والواقعيين. هذا من جهة.

ومن جهة أُخرىٰ، إذا ما قمنا بتتبّع آثار أهل البيت عليهم السّلام وعرفناها ثم أوصلناها إلىٰ أسماع الناس ونشرناها في الآفاق سنكون قد حُزنا مقاماً عالياً.

يقول معاوية بن عمّار:

« قلت لأبي عبد اللّه عليه السّلام: رجل رواية لحديثكم يبثّ ذلك إلىٰ الناس ويشدّده في قلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرّواية، أيّهما أفضل ؟

قال: راوية لحديثنا يبثّ في الناس ويشدِّد في قلوب شيعتنا، أفضل من ألف عابد. »(١)

ومن جهة ثالثة، وبمقتضىٰ: كَلامُكُمْ نُورٌ -كما سيأتي في فقرات الزيارة- فإنّ كلام حضرات الأئمّة عليهم السّلام يُحيي القلوب، لذا قالوا عليهم السّلام:

«إنّ حديثنا يُحيي القلوب»(٢)

وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُم ؛

سبيل أهل البيت

السبيل هو الطريق الذى يسلكه الإنسان للوصول إلىٰ مكان أو للحصول علىٰ غرضٍ له.

قال الراغب:

«ويستعمل لكلّ ما يتوصّل به إلىٰ شيء، خيراً كان أو شرّاً».(٣)

---

(١) الكافي: ١/٣٣، حديث ٩؛ بحار الأنوار: ٢/١٤٥، حديث ٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢/١٠٤، حديث ٦٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١٥٤.

وكيف كان سبيل أهل البيت عليهم السّلام؟

وهل إنَّ طريقهم وهديَهُم هو غير طريق وهدي رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم؟

يقول تعالىٰ في خطابه لرسوله الكريم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَىٰ اللّٰهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[1].

بل إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هم "السبيل إلىٰ اللّه".

ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«آل محمّد عليهم السّلام أبواب اللّه وسبيله والدعاة إلىٰ الجنَّة والقادة إليها والأدلّاء عليها إلىٰ يوم القيامة»[2]

بل إنَّهم هم "السبيل الأعظم" كما مرَّ بنا سابقاً.

وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُم ؛

حقّاً، إنَّ من يتَّبع الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام ويطيعهم ويسلك طريقهم ويأخذ بهداهم، يكون في طريق اللّه تعالىٰ الموصل إليه، لأنَّ طريقهم هو طريقُ اللّه، إذ إنَّهم لم يطلبوا شيئاً إلاّ للّه، ولم يقولوا إلاّ قوله، ولم يريدوا إلاّ ما أراده، وما يدعون لأنفسهم وإنَّما يدعون إلىٰ اللّه.

وهداية الأئمَّة عليهم السّلام مذكورة في القرآن المجيد، ولو جمعنا آيتين إلىٰ بعضهما فإنَّنا سنصل إلىٰ نتيجة مهمّة:

---

(١) سورة يوسف: (١٢): الآية ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢/١٠٤، حديث ٦٠.

الأولىٰ:

يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ وَجَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا ﴾ [1].

والروايات الواردة في تفسير هذه الآية الشريفة تصرِّح بأنَّ اللّه تعالىٰ قد جعل محمّداً وآل محمّد عليه السّلام أئمَّة لنا، وهداة يهدوننا بأمر اللّه تعالىٰ، "بأمرنا"، فهم منصوبون من قبله لا من قبل غيره، ولغرض هداية الأُمَّة بأمره.

الثانية:

ويقول عزَّوجلّ في القرآن الكريم:

﴿أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلاّٰ أَنْ يُهْدىٰ فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون ﴾ [2].

فإذا وضعنا هذه الآية إلىٰ جنب الآية السابقة، ورجعنا إلىٰ عقولنا السليمة وحكَّمناها بإنصاف، فإنَّنا سنجد أن لا طريق للنجاة في الآخرة إلاّ طريق أهل البيت عليهم السَّلام، إذ ليس أمامنا إلاّ طريقان لا ثالث لهما:

طريق الإمام الذي يدعو إلىٰ الجنَّة.

وطريق الإمام الذي يدعو إلىٰ جهنَّم.

تُرىٰ، من منهما الأحقّ بالإتّباع؟

إنَّ الجمع بين هاتين الآيتين له دلالة إثباتيَّة ودلالة سلبيَّة، فالإثبات هو

---

(١) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٧٣.

(٢) سورة يونس (١٠): الآية ٣٥.

وجوب متابعة أئمّة الحقّ وهم محمد وآل محمد عليهم السّلام، لأنّ اتّباعهم موجب للنجاة قطعاً. والنفي هو عدم جواز الإقتداء والمتابعة لغيرهم، أيّاً كان هذا الغير، لأنّ طريق الحقّ واحد، وكلُّ ما كان غير طريق الحقّ فهو الباطل.

ومن هذا المنطلق، فإنّا نطلب من أئمّتنا الأطهار عليهم السّلام أن يكونوا شفعاءَنا إلىٰ اللّه، فندعو في محضرهم ليؤمنوا علىٰ دعائنا، أنْ يا رب إجعلنا ممّن يهتدي بهدىٰ محمد وآل محمد عليهم السّلام.

هذا، ولا يخفىٰ أنّه قد ورد في الحديث الأمرُ بالإهتداء بهدي بعض الرّجال من غير أهل البيت عليهم السّلام، كما روي عن رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله أنّه قال في حقّ عمّار رضي اللّه عنه:

«إهتدوا بهدي عمّار»(١)

ولكنّ هذه الأهليّة واللّياقة إنّما اكتسبها عمّار من أهل البيت عليهم السّلام بسبب متابعته وانقياده المطلق لهم.

وهذا الإرشاد النبوي بالإقتداء بعمّار صدر عنه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله حينما كان يُخبر عن مستقبل المسلمين وما يقع فيما بينهم من الإختلاف والتفرّق، فأمرهم أن يتبعوا عمّاراً فيما يتبع، فجعل عمّار بن ياسر الميزان والمعيار لتمييز الحقّ عن الباطل، لأنّه كان يعلم بأنّ عمّاراً بكلّ جوارحه، ومن قرنه إلىٰ أخمص قدمه، مطيع لأمير المؤمنين عليه السّلام بإعتباره الفاروق بين الحقّ والباطل.

لقد بايع عمّار بن ياسر عليّاً عليه السّلام وبقي علىٰ بيعته إلىٰ أخر عمره الذي ناهز التسعين عاماً، حتّىٰ كان من أبرز المقاتلين في صفّ أمير المؤمنين يوم

---

(١) راجع كتاب: نفحات الأزهار: ٣/٥.

صفّين، ونال وسام الشهادة الرفيع بين يديه، وذلك قوله صلّىٰ اللّه عليه وآله له:

«يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلىٰ النّار».[١]

وقد عُدَّ إخباره عليه وآله السّلام هذا من جملة معاجزه.[٢]

إنَّ عمّاراً وسلمان وأباذر والمقداد كانوا من أنصار رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله الأوفياء، والذين عملوا بوصيَّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في حياة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وبعد رحيله، فتابعوا عليّاً عليه السّلام، حتّىٰ قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لعليٍّ عليه السّلام:

«الْجَنَّةُ تَشْتَاقُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ عَمَّارٍ وَإِلَىٰ سَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمِقْدَاد.»[٣]

بل وإنَّ الإمام الصادق عليه السّلام قد جعل ولاية هؤلاء وجابر وحذيفة من شرائع الدين، وأوجب ولايتهم، فقال:

«هَذِهِ شَرَائِعُ الدِّينِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهَا وَأَرَادَ اللَّهُ هُدَاه...

وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَشْقَىٰ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ شَقِيقِ عَاقِرِ نَاقَةِ ثَمُودَ قَاتِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السَّلام وَاجِبَةٌ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْ جَمِيعِ قَتَلَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السَّلام وَاجِبَة.

وَالْوَلَايَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يُبَدِّلُوا بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وَاجِبَةٌ، مِثْلِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَالْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَان....»[٤]

نعم، إنَّ هؤلاء وأمثالهم ممّن تربّىٰ في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، قد

---

(١) تاريخ الطبري ٨/١٨٦؛ شرح نهج البلاغة ١٥ / ١٧٧؛ المناقب للخوارزمي: ١٩٢؛ بحارالأنوار ٣٣/ ١٥.

(٢) الاستيعاب ٣ / ١١٤٠؛ راجع الغدير ٩ / ٢١ و ٢٢ معجزه الرسول في قتل عمار.

(٣) الخصال: ٣٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٢/٣٢٤-٣٢٥، حديث ٢٢ بتفاوت طفيف.

(٤) الخصال: ٦٠٣-٦٠٨؛ بحار الأنوار: ١٠١/٢٢٢-٢٢٧، حديث ١.

كسبوا أهليّة الإهتداء والإقتداء بهم، حتّىٰ صرَّح نفسُ الأئمَّة عليهم السّـلام بأنَّ ولاية هؤلاء من الدين، وأمروا الناس بالإقتداء بهم، وهذا مقام سامٍ وشامخ وصل إليه هؤلاء الأولياء.

وَيُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُم؛

الحشر مع أهل البيت عليهم السّلام

نعم، إذا إستطاع الإنسان المؤمن من الفحص الدقيق عن الطريق الحقّ وعثر عليه وسلكه إلىٰ النهاية فستكون عاقبته في عالم الآخرة أن يُحشر في زمرة الأئمَّة عليهم السّلام، كما جاء في صريح كلامهم عليهم السّلام حيث قالوا:

«شيعتنا معنا»؛

وفي الرواية: أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام رأىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في المنام فقال له:

«يا أبا الحسن! طالت غيبتك فقد إشتقت إلىٰ رؤياك، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك.

فقلت: يا رسول اللّه! وما الذي أنجز لك فيّ؟

قال: أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذريّتك في الدرجات العلىٰ في علّيين.

قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول اللّه! فشيعتنا؟

قال: شيعتنا معنا، وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا.

قلت: يا رسول الله! فما لشيعتنا في الدنيا؟

قال: الأمن والعافية.

قلت: فما لهم عند الموت؟

قال: يحكم الرجل في نفسه ويؤمر ملك الموت بطاعته.

قلت: فما لذلك حدّ يعرف؟

قال: بلىٰ، إنَّ أشدَّ شيعتنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتقع به القلوب، وإنَّ سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم علىٰ فراشه كأقر ما كانت عينه بموته»[1]

بل وأكثر من المعيَّة، فإنَّه ورد في الروايات:

«شيعتنا منّا»

يقول المفضل:

«سألت أبا عبد الله عليه السّلام:

مَا كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ؟

قَالَ عليه السَّلام: كُنَّا أَنْوَاراً حَوْلَ الْعَرْشِ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَنُقَدِّسُهُ حَتَّىٰ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: سَبِّحُوا!

فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا! لَا عِلْمَ لَنَا.

فَقَالَ لَنَا: سَبِّحُوا!

فَسَبَّحْنَا فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا.

أَلَا إِنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ، وَخُلِقَ شِيعَتُنَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ النُّورِ، فَإِذَا كَانَ يَـوْمُ

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٢/٦، حديث ٣٠ و ١٩٢/٣٢-١٩٥، حديث ١١.

الْقِيَامَةِ الْتَحَقَتِ السُّفْلَىٰ بِالْعُلْيَا.

ثُمَّ قَرَنَ عليه السّلام بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَقَالَ: كَهَاتَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُفَضَّلُ! أَ تَدْرِي لِمَ سُمِّيَتِ الشِّيعَةُ شِيعَةً؟

يَا مُفَضَّلُ! شِيعَتُنَا مِنَّا، وَنَحْنُ مِنْ شِيعَتِنَا، أَ مَا تَرَىٰ هَذِهِ الشَّمْسَ أَيْنَ تَبْدُو؟

قُلْتُ: مِنْ مَشْرِقٍ.

وَقَالَ: إِلَىٰ أَيْنَ تَعُودُ؟

قُلْتُ: إِلَىٰ مَغْرِبٍ.

قَالَ عليه السَّلام: هَكَذَا شِيعَتُنَا، مِنَّا بَدَءُوا وَإِلَيْنَا يَعُودُون.»(١)

وكما قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«سلمانٌ منّا أهل البيت»(٢)

وبناءاً علىٰ ما مرَّ، فإنَّ الشيعة سيحشرون في زمرة الأئمَّة عليهم السّلام، ويكونون معهم في يوم القيامة وفي الجنَّة.

ثمّ لا يخفىٰ، أن مراتب الشيعة هناك تختلف بحسب إختلاف معنويّاتهم فبعض الناس الذين كانت لهم حالات معنويَّة في هذا العالم ووصلوا إلىٰ مقامات، فإنَّهم -وطبقاً للروايات- سيكونون ممَّن لهم شأن ومقام في عالم الآخرة أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار: ٢١/٢٥، حديث ٣٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٧٠/١، حديث ٢٨٢؛ الإحتجاج: ٣٨٧/١؛ مناقب آل أبي طالب: ٧٥/١؛ بحار الأنوار: ١٩/١٨، ذيل حديث ٤٥؛ المستدرك على الصحيحين: ٥٩٨/٣؛ مجمع الزوائد: ١٣٠/٦؛ عمدة القاري: ١٦٧/٢٠؛ المعجم الكبير: ٢١٣/٦؛ الجامع الصغير: ٥٢/٢، رقم ٤٦٩٦.

مفهوم الزّمرة

وفي هذه الجملة من الزيارة نكتة لطيفة، إذ فيها إشارة إلىٰ قلّة المحشورين مع الأئمّة عليهم السَّلام بالنسبة إلىٰ أصحاب الجحيم المحشورين مع أعدائهم، لأن كلمة " زمرة " تطلق في اللغة علىٰ الفئة القليلة.

قال الراغب الإصفهاني:

« زمر: قال تعالىٰ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾ (١) جمع زمرة، وهي الجماعة القليلة » (٢)

فلقد كان أتباع أهل البيت عليهم السّلام علىٰ طول التأريخ وإلىٰ يومنا هذا، هم الأقليَّة، وذلك أنَّ الإهتداء إلىٰ الحقِّ والإستقامة عليه وعدم الإنحراف عنه، أمرٌ صعبٌ لا يوفّق إليه كلُّ أحدٍ من الناس.

فالشهوات، الرغبات، الغرائز واللّذّات الدنيويَّة هي لأهل الدنيا وهم غالباً ما يكونون من أهل الباطل.

فالدنيا ولذائذها وزخارفها تغري الناس فينخدع بها أكثرهم وينجذبون إليها فيتركون الحق، ولذا كان أهل الحقّ علىٰ طول الخطِّ أقليَّة، وكان أهل الباطل الأكثريَّة.

فلو أردتم رسم خط مستقيم من نقطة إلىٰ نقطة مقابلة علىٰ محيط الدائرة، فإنّكم لن تتمكنوا من رسم أكثر من خط واحدٍ، وأمّا لو أردتم رسم خطوط منحنية بين النقطتين فإنّكم ستتمكّنون من رسم عشرات الخطوط المنحنية والملتوية.

---

(١) سورة الزمر (٣٩): الآية ٧٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٢١٥.

ومن هنا، فمن جهةٍ فإنَّ أسباب الباطل متنوّعة وكثيرة، وإنَّ الشهوات والرغبات واللذائذ متوفّرة ثمَّ، ومن جهة أُخرىٰ فإنَّ النفس الإنسانيَّة تميل في أغلب الأحيان إلىٰ اللذَّة والدعة، فلا غرو أنَّ أهل الحقّ قليلون علىٰ عكس أهل الباطل، ومن ثَمَّ كان أكثرهم للحقّ كارهون.

وينبغي أن لا نحزن لأنَّنا أقليَّة، ولا أن نضطرب ونستوحش، فلو وردنا المسجد الحرام ووجدنا الأكثريَّة علىٰ باطل، ينبغي أن لا نهتزَّ أو نكترث ونشعر بالضعف، إذ لم يكن الكمُّ يوماً ملاكاً للحقّانيَّة، وحتّىٰ الغلبة، بل وطبقاً لصريح القرآن والروايات والتأريخ، فإنَّ أهل الحقِّ علىٰ طول التأريخ كانوا الأقليَّة في قبال أهل الباطل الذين يشكّلون الأغلبيَّة.

وفي مقايسة تأريخيَّة ومحاسبة بسيطة منذ زمن آدم عليه السّلام وإلىٰ يومنا هذا وإلىٰ يوم القيامة، نجد بأنَّ عدد الملحدين وعبدة الأوثان وعبدة الأبقار واليهود والنصارىٰ والمشركين و... يفوق عدد الذين يشهدون الشهادتين، والكلام الكلام في خصوص المسلمين، فَفِرَق الباطل في جسم المجتمع المسلم متعدّدة وكثيرة، وطريق الحقِّ واحد لا غير، فلا عجب أن يكون المؤمنون وأهل الحقِّ أقليَّة، ولكن، وكما أشرنا آنفاً فإنَّ الكثرة ليست مناطاً للحقّ أو الباطل.

هذا وإنَّ اللّه تعالىٰ قد وعد هذه الزمرة القليلة -مضافاً إلىٰ مقاماتها المعنويَّة في هذا العالم والمقامات المعنويَّة الّتي لهم في عالم الآخرة- بالنصر والغلبة والظهور والقدرة والرئاسة والحكومة في نفس هذا العالم، فهم ينتظرون ذلك اليوم:

وَيُكَرُّ فِي رَجْعَتِكُم؛

أي: جعلني اللّه تعالىٰ -في زمان رجعتكم إلىٰ هذا العالم- ممّن يرجع معكم.

وفي هذا الدعاء تلزم أيضاً عناية اللّه تعالىٰ ولطفه بنا، إذ كما مرَّ بنا في بحث الرجعة، فإنَّ من يرجع إلىٰ هذا العالم هم خُلَّص المؤمنين، وهم الأخيار المنتجبون الذين عبّر عنهم بـ"من خيار مواليكم"

وإذا ما إستجيب هذا الدعاء، بشفاعة الأئمَّة عليهم السّلام، فإنَّنا نتمنّىٰ أن نكون من أنصار الأئمَّة في ذلك الزمان ومن خدّامهم، لذا نقول:

وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ

وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُم؛

ما أعظم أن ينال الإنسان شرف الحضور في زمان وليِّ العصر والزمان -عجَّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف-، ولكنَّ الأعظم من ذلك هو أن يكون من أعوانه في حكومته وعمّاله في بلاده.

وينبغي أن تكون همَّتنا في الدعاء عالية، فإذا دعونا اللّه تعالىٰ أن يمنَّ علينا بأن نكون من شيعة الإمام الحجَّة -عجَّل اللّه تعالىٰ فرجه- وأن يرزقنا الحياة في زمن حكومته ودولته، فهذه اُمنية كبيرة في نفوسنا، فإنَّ آباءنا قد رحلوا عن الحياة ولم يصلوا إلىٰ مرادهم هذا، ولكن علينا أن نرفع من هممنا أكثر من ذلك ونطلب

أن نكون -ليس فقط ممَّن يحضر أيّامه ويشاهد نصره وغلبته وظهوره وانتقامه من الظالمين وأعدائه - من عمّاله في حكومته وأعوانه وناصريه، لأنَّ أيّام الأئمَّة هي أيّام اللّه فيوم رجعة الأئمَّة وحكومتهم هي أيّام اللّه تعالىٰ، لأنَّ اللّه عزَّوجل هو الذي ينتصر علىٰ أعدائه في ذلك اليوم.

يقول تعالىٰ في كلامه المجيد:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [١].

فاللّه تعالىٰ سينتصر علىٰ أعدائه في زمن وليِّ العصر عليه السّلام، وهو زمان الحقِّ المحض والعدل المحض والنور المحض.

يقول مثنّىٰ الحنّاط:

«سمعت الإمام الباقر عليه السّلام يقول:

أيّام اللّه عزَّوجل ثلاثة، يوم يقوم القائم ويوم الكرَّة ويوم القيامة» [٢]

وَتُقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُم؛

فنحن نسأل اللّه تعالىٰ أن يقرَّ عيوننا ويؤهّلها لشرف رؤية الأئمَّة عليهم السّلام، وتوفيق هذا اللقاء والرؤية لطف إلهيّ بالعباد.

وفي كلمة "غداً" إحتمالان:

الأوَّل: إنَّ المقصود منه هو يوم الظهور وحكومة الإمام المهديّ والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

---

(١) سورة المجادلة (٥٨): الآية ٢١.

(٢) الخصال: ١٠٨؛ بحار الأنوار: ٦١/٧، حديث ١٣.

الثاني: يوم القيامة.

ويمكن أن يكون المراد منه: ساعة الإحتضار.

ولكنَّ المؤكَّد والمحتوم هو مجيء هذا "الغد" لأنّه وعدٌ إلهيّ، واللّه تعالىٰ لا يُخلف وعده.

فلو أنَّ كلَّ الخلق إجتمعوا ليمنعوا تحقُّق هذا "الغد" فإنَّهم لن يتمكّنوا من ذلك، ولا أن يشكّكوا به أو يكذّبوه، لأنَّه مما "كتب اللّه".

فإن كان المقصود يوم حكومة الإمام المهدي عليه السّلام، فستكون هذه العبارة إشارة إلىٰ بعض الآيات القرآنيّة الدالَّة بصراحةٍ علىٰ هذا الأمر.

منها قوله تعالىٰ:

﴿ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١]

نعم، إنَّ وعد اللّه تعالىٰ لا يتخلَّف أبداً، وقد يتأخَّر في تحقُّقه ولكنَّه لا يتخلَّف.

ولذا، فإنَّ علينا أن نتهيّأ ونستعد لذلك اليوم، لإمكان تحقُّقه في أيِّ وقت، فكلُّ يوم يمكن أن يكون اليوم الموعود ويوم ظهور الإمام عليه وتأسيس حكومة الحقّ.

فنحن نطلب من اللّه تعالىٰ أن ندرك ذلك اليوم وأن نكون ممَّن يكون ذلك اليوم يومَ سعادتهم وسرورهم لا يوم همِّهم وغمِّهم وشقائهم.

---

(١) سورة النور (٢٤): الآية ٥٥.

وبعبارة أُخرىٰ، ندعوا اللّه تعالىٰ أن يجعلنا ممَّن يرضىٰ عنه حضرات الأئمَّة عليهم السَّلام لا ممَّن يغضبون عليه ويسخطون.

وأمّا إذا كان المراد من "غدا" يوم القيامة، أو حال الإحتضار الذي يقول عنه تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ﴾ (١)

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَني كُنْتُ تُرابا ﴾ (٢)

فنحن نطلب من اللّه تعالىٰ أن لا يجعلنا من الظالمين -سواء في ظلمنا لأنفسنا بإرتكاب المعاصي أو بظلمنا لأهل البيت عليهم السَّلام- فنكون ممَّن يستحقّون العقاب والعذاب، كما يقول تعالىٰ في كتابه:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون ﴾ (٣)

فائدة

صحيحٌ أنّا في هذا المقطع ذكرنا عدَّة من الأمور بصيغة الدعاء وقلنا: فثبّتني اللّه أبداً ما حييت... إلاّ أنّه لابدّ من العلم بأنّها من جملة وظائف الأُمّة تجاه الأئمَّة عليهم السّلام، وأنّ الحقيقة في خطابنا هذا هو طلب التوفيق من اللّه للقيام بتلك الوظائف:

(١) سورة فرقان (٢٥): الآية ٢٧.

(٢) سورة نبأ (٧٨): الآية ٤٠.

(٣) سورة الشعراء (٢٦): الآية ٢٢٧.

١-الثبات

ففي القرآن، وفي بيان وظائف الأنبياء وأتباعهم ورد الأمر بثلاثة مفاهيم:

أحدها: الإستقامة. قال تعالىٰ للرّسول الأعظم صلّىٰ اللّه عليه وآله:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ ﴾ (١)

والثاني: الصّبر. كقوله تعالىٰ له:

﴿ فَاصْبِرْ كَمٰا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٢)

والثالث: الثبات. والكلام الآن في توضيح هذا الأمر، فنقول:

أوّلاً: لقد ورد الأمر بالثبات في قوله تعالىٰ مخاطباً المؤمنين:

﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ (٣)

ثانياً: أفاد بعض الآيات أنّ الثبات علىٰ الحقّ صعب، فيحتاج إلىٰ الإستعانة باللّه، كما في:

﴿ رَبَّنٰا أَفْرِغْ عَلَيْنٰا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدٰامَنٰا ﴾ (٤)

فوعد اللّه بذلك وقال:

﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدٰامَكُم ﴾ (٥)

وثالثاً: أمر سبحانه المؤمنين أن يوصي بعضهم الآخر بالصبر، قال:

﴿ وَتَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٦)

---

(١) سورة هود (١١): الآية ١١٢.

(٢) سورة الأحقاف (٤٦): الآية ٣٥.

(٣) سورة الأنفال (٨): الآية ٤٥.

(٤) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٠.

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٤٧): الآية ٧.

(٦) سورة العصر (١٠٣): الآية ٣.

وعلىٰ الجملة، فإنَّ ثبات القدم من جملة وظائف أهل الإيمان، بل إنَّه من لوازم الإيمان.

٢-الطاعة

وهي علىٰ رأس وظائف أهل الإيمان بالنسبة إلىٰ أئمّتهم عليهم السَّلام.

٣-المتابعة

أي: الإطاعة العمليَّة والسّير علىٰ طبق سيرتهم المطهَّرة. وهذا من جملة الوظائف.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي

مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ

وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم

فداءاً لأهل البيت

وفي هذا المقطع نقول للمرَّة الثانية: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي.

ففي المرَّة السابقة قلنا ذلك عندما أردنا أن نعرض عقائدنا بمحضر الأئمَّة المعصومين عليهم السَّلام، حينما قلنا:

«بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي، أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِه ...»

وهنا، لمّا كنّا في مقام عرض الحوائج وطلبها لأنفسنا حيث ذُكرت بصيغة "جعلني"، حصلت خصوصيّة إضافيّة، من أجلها أُضيفت كلمة "ونفسي" فنقول: "بأبي أنتم وأمّي ونفسي".

حقيقة التفدية

إنَّ أعزَّ الأشياء عند الإنسان أبوه وأُمّه وماله وأهله وقبيلته وأسرته، وحينئذٍ فممّا لا شكَّ فيه أنْ يكون من وما يضحّىٰ ويفدىٰ لأجله بكلّ ما ذكر أعزّ وأغلىٰ، وإلاّ فإنَّ الإنسان العاقل لا يضحّي بشيء من ذلك في سبيل الحصول علىٰ شيء، بل الشرع والعقل والعقلاء يذمّونه علىٰ فعله كما هو واضح.

ولكن السؤال الوارد في الموضوع هو: إنَّ الفداء إنَّما يكون له معنىٰ فيما إذا كانت هذه الأشياء موجودة في الدنيا وله السّيطرة التامَّة عليها، فقولنا: «بأبي أنت وأمّي»، إنَّما يكون واقعيّاً:

١- فيما إذا كان الأبوان علىٰ قيد الحياة، فإنْ كانا ميّتين فما معنىٰ إعلان الإستعداد للتضحية بهما؟

٢- أفهل للولد حقّ الوكالة في الفداء بالأبوين عنهما، وهل للإنسان الحقّ في أنْ يفدي بأهله وعشيرته؟ لا، فليس له مثل هذا الحقّ، فلا ولاية ولا وكالة له علىٰ هذا الفداء.

إذن، فما معنىٰ "الفداء" هنا؟

يبدو إنَّ المعنىٰ الحقيقي غيرُ مراد في المقام، إذ مع عدم وجود الأبوين، أو عدم وجود المال، أو الأهل والعشيرة، لا يمكن أن يكون الكلام علىٰ نحو الحقيقة، فلا مفرَّ من حمله علىٰ المعنىٰ المجازي لهذه المفاهيم، وهو أن يكون المراد بيان غاية ومنتهىٰ درجة الإخلاص والإرادة والمحبَّة لهم عليهم السّلام، أو وإظهار الإستعداد للتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس وعزيز.

أو أن يكون المقصود إنَّه مستعدٌّ للفداء بكلِّ هذه الأُمور فيما لو كانت متوفّرة وميسّرة له.

ولا يخفىٰ، إنَّ للتفدية بالأب والأُمّ فيما يجوز ذلك في الشرع حكماً خاصّاً جاء في الروايات.

ففي وسائل الشيعة:

«سُئل أبو الحسن موسىٰ بن جعفر عليهما السّلام عن الرجل يقول لإبنه أو لإبنته: بأبي أنت وأُمّي، أو بأبواي أنت، أترىٰ بذلك بأساً؟

فقال: إنْ كان أبواه مؤمنين حيّين فأرىٰ ذلك عقوقاً، وإنْ كان قد ماتا فلابأس؛»[1]

وهذه الرواية تؤيّد أنَّ المراد من الفداء هو المعنىٰ المجازي لا الحقيقيّ.

---

(١) وسائل الشيعة: ٢/٤٤٠، حديث ٢٥٨٨؛ بحار الأنوار: ٧١/٦٩-٧٠، حديث ٤٤ نقلاً عن الخصال: ٢٦ و٢٧، حديث ٩٤.

مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُم ؛

الوصول إلىٰ اللّه

كلمة "من" تدلُّ علىٰ العموم.

وعبارة "أراد اللّه" بمعنىٰ إرادة معرفة اللّه والعبادة والعبوديَّة له، أو إرادة ايجاد الإرتباط باللّه تعالىٰ من أجل طلب الحاجات...

وبدأ بكم" بمعنىٰ عن طريقكم وبواسطتكم، وجملة "بدأ" إنشائيَّة وإنْ كانت إخباريَّة في الظاهر، أي يجب أن يكون عن طريقكم وبواسطتكم.

فكلُّ من أراد أو يريد أن يسير نحو اللّه، وفي أيِّ مرتبة كان، وبأيٍّ قصد كان، فأنتم طريقه إلىٰ اللّه، لا غيركم.

وهذا المقام ثابتٌ لرسول اللّه محمد ولآله الأطهار صلوات اللّه وسلامه عليهم في كلِّ النشآت، وقد رُوي ذلك في كتب الفريقين سنَّةً وشيعة.

وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم ؛

ومن البداهة بمكان أنَّ الإنسان إذا أراد أن يصل إلىٰ مقصدٍ معيَّن فعليه أنْ يتحرّك نحوه علىٰ الطريق المؤدّي إليه، كما أنَّ الدخول في أيّ مكان من الأمكنة لابدّ وأنْ يكون من الباب المعدّ له، ولكلّ حصار باب. يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[(١)].

وللوصول إلىٰ المراحل العالية في المسائل المعنويَّة والسير إلىٰ اللّه طريقٌ معيَّنٌ خاصّ، فالمراتب الرفيعة والمقامات المعنويَّة لها حصارٌ منيع لا يسمح لكلِّ أحد بإجتيازها، ما لم يكن مأذوناً ومرخّصاً.

ومن البديهي أن يكون الطريق وباب الورود لكلِّ مكان متناسباً مع ذلك المكان والمقام...

وحينئذٍ إذا أردنا أن نصل إلىٰ معرفة اللّه، أو أن نقترب إليه عن طريق العبادة، أو أن نرتبط به لجهة حاجاتنا، فهل يوجد طريق غير رسول اللّه وأهل بيته الأطهار عليهم السّلام للوصول إلىٰ ذلك؟

فمن الذي له وجاهة ومنزلة عند اللّه تعالىٰ غيرهم ليمكننا التوسل به لمعرفة اللّه، وللقرب منه تعالىٰ، وطلب الحاجات؟

وهذا هو الذي وُصِفَ به الأئمَّة عليهم السّلام في الروايات، والّذي عُبِّر عنه بألفاظ وتعابير مختلفة...

فقد عبِّر عن الأئمَّة عليهم السّلام في الروايات بأنَّهم "وجه اللّه"، "باب اللّه"، "السبيل"[(٢)]، "صراط اللّه"[(٣)]، "لسان اللّه"، "عين اللّه" و...[(٤)]

روىٰ الأسود بن سعيد، قال:

«كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السَّلام فَأَنْشَأَ يَقُولُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْأَلَ: نَحْنُ

(١) سورة البقرة (٢): ٩ الآية ١٨٩.

(٢) راجع كتاب بحار الأنوار: ٢٤/ ٢٤٨، حديث ٢ و١٣، حديث ٩.

(٣) عيون المعجزات: ٦٧.

(٤) المحتضر: ٢٢٦، حديث ٢٩٤.

حُجَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَنَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ»(١)

وفي حديث آخر عن سعيد الأعرج قال:

«دَخَلْتُ أَنَا وَسُلَيْمَانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السَّلام فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ:

يَا سُلَيْمَانُ! مَا جَاءَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السَّلام يُؤْخَذُ بِهِ وَمَا نَهَىٰ عَنْهُ يُنْتَهَىٰ عَنْهُ، جَرَىٰ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَىٰ لِرَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وَلِرَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله الْفَضْلُ عَلَىٰ جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ.

الْمُعَيِّبُ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُعَيِّبِ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَلَىٰ رَسُولِهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وَالرَّادُّ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَىٰ حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ.

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَىٰ إِلَّا مِنْهُ، وَسَبِيلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ.

وَبِذَلِكَ جَرَتِ الْأَئِمَّةُ عليهم السّلام وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ، وَالْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ عَلَىٰ مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَىٰ ...»(٢)

ولكنَّ معرفة الباري تعالىٰ، بكُنه المعرفة، ليست ميسّرة لأحدٍ من البشر، ولذا فقد ورد النهي في الروايات عن التفكُّر في ذات اللّه تعالىٰ.

---

(١) بصائر الدرجات: ٨١، حديث ١؛ الكافي: ١/١٤٥، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٢٦/٢٤٦، حديث ١٣.

(٢) الكافي: ١/١٩٧، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٢٥/٣٥٢، حديث ١ مع تفاوت طفيف نقلاً عن أمالي الطوسي: ٢٠٦، حديث ٣٥٢.

كما إنَّ الوصول إلىٰ القرب الإلهيّ ليس متيسّراً لأحدٍ أيضاً، إلاّ بالطاعة والعبوديَّة والعبادة، ولا شكَّ في أنَّ تحصيل المعرفة بالقدر الميسور والتعرُّف علىٰ طريق وأدب العبادة والعبوديَّة منحصر في طريق رسول اللّه وأهل بيته الأطهار عليهم السّلام، فلابدَّ من الرجوع إليهم والأخذ عنهم. ولذا قال تعالىٰ في كتابه العزيز:

﴿ وَمٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١).

ويقول في آية أُخرىٰ:

﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰه ﴾ (٢).

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«من أطاعَ عَليّاً فقد أطاعني» (٣)

إذن، فلابدَّ أن نعرف رسول اللّه والأئمَّة الأطهار أوّلاً ونؤمن بأنّهم أبواب اللّه ووجه اللّه الموصل إليه ونعرف أنَّ طاعتهم واجبة، وأنَّ نصغي جيداً لأقوالهم ونقتدي بسيرتهم وتعاليمهم.

فلو لم يتوفر مثل هذا الإيمان، لم تكن أقوالهم وأفعالهم حجَّة، فلا يتحرَّك الإنسان بإتجاه إمتثالها وتطبيقها، فلن يصل إلىٰ أيِّ نتيجة.

إذن، فالوصول إلىٰ اللّه تعالىٰ، يعني معرفة اللّه والقرب الإلهي، متوقِّف علىٰ معرفة الرسول والأئمَّة من أهل بيته عليهم السّلام أجمعين، ولذا نقول:

---

(١) سورة الحشر (٥٩): الآية ٧.

(٢) سورة النساء (٤): الاية ٨٠.

(٣) تقدَّم ذكر بعض مصادر هذا الحديث وسيأتي أيضاً.

وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم؛

وتوضيحه هو: إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام هُداة ومعلموا الخلق، وقد نصبهم اللّه تعالىٰ لكي يوصلونا إليه، فهم أدلّاؤنا عليه، فلو لم يعرف الإنسان الدليل، لما إهتدىٰ إلىٰ المقصد.

وهل يصل الإنسان إلىٰ المحلّ المعيَّن المقصود له إلاّ بالسّير علىٰ الطريق الخاصّ الممهَّد للوصول إلىٰ ذلك المحلّ بدلالة الدليل العارف به والمنصوب للهداية إليه؟

إذن، فنحن محتاجون في قصد اللّه إلىٰ معرفة الدليل عليه، ثمّ التوجّه به إليه، وهذا هو شأن الأئمَّة عليهم السّلام في الأُمَّة.

وعليه، فالأئمَّة عليهم السّلام هم في مبدأ ذلك الطريق الموصل إلىٰ معرفة اللّه تعالىٰ، وعلينا أن نبدأ حركتنا من هذا المبدأ.

وقد وردت روايات كثيرة تفيد هذا المعنىٰ تحديداً.

ففي رواية معاوية بن عمّار، في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾ [١]، قال:

«قال الصادق عليه السّلام:

نحن -واللّه- الأسماء الحُسنىٰ التي لا يقبل اللّه من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا» [٢]

وفي رواية أُخرىٰ عن بُريد عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٨٠.

(٢) الكافي: ١٤٣/١، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٤/٢٥، حديث ٧ و٩١/٦، حديث ٧.

«بنا عُبد اللّه وبنا عُرف اللّه وبنا وُحِّد اللّه ومحمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم حجابُ اللّه» [١]

والرويات في هذا المجال كثيرة إلىٰ درجة تغني عن البحث في أسانيدها مضافاً إلىٰ وجود اليقين بصدورها وصحّة بعض الأسانيد بحسب الإصطلاح.

ولذا نكتفي بالروايتين الآنفتين كدليل علىٰ إنَّ معرفة اللّه عزَّوجلّ منحصرة في طريق أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام.

ومن رواية أُخرىٰ عن عبد الرحمن بن كثير قال:

«سمعت الإمام الصادق عليه السّلام يقول:

نحن ولاة أمر اللّه، وخزنة علم اللّه، وعيبة وحي اللّه، وأهل دين اللّه، وعلينا نزل كتاب اللّه، وبنا عبد اللّه، ولولانا ما عرف اللّه، ونحن ورثة نبي اللّه وعترته» [٢]

وفي رواية سدير عن الباقر عليه السّلام قال:

«سمعته يقول:

نحن خزّان اللّه في الدنيا والآخرة، وشيعتنا خزّاننا، ولولانا ما عرف اللّه» [٣]

إذن، فكلُّ من عرف اللّه، كانت معرفته تلك بواسطة أهل البيت عليهم السّلام، وإنْ عَبَدَ اللّه شخصٌ فإنَّ عبادته فرع معرفته، ولكن أيُّ عبادة؟

العبادة الحقيقيَّة الّتي تُقبل من قبله تعالىٰ، وتكون سبباً للقرب الإلهي.

وهنا يُطرح هذا السؤال: ما هو مفهوم "الباء" في قوله عليه السّلام:

---

(١) بصائر الدرجات: ٨٤، حديث ١٦؛ بحار الأنوار: ١٠٢/٢٣، حديث ٨.

(٢) بصائر الدرجات: ٨١، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٢٦، حديث ١٤.

(٣) بصائر الدرجات: ١٢٥، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ١٠٦/٢٦، حديث ٥.

«بنا عُرف اللّه وبنا عُبد اللّه»؟

هل هي سببيَّة؟ أم أنَّها باء إستعانة؟ أم إبتدائيَّة؟

فعلىٰ القول بأنَّها إبتدائيَّة، ستكون بمعنىٰ "مِنْ".

هذا وقد ورد في الروايات ما يشهد لكلٍّ واحدٍ من هذه المعاني.

فأوَّل معنىٰ يتبادر إلىٰ الذهن هو أنَّ الباء هنا سببيَّة. وهذا إنَّما يكون في حال كون المراد من "من أراد اللّه" هو المعرفة والقرب الإلهي، والذي يحصل عادة أو غالباً عن طريق العبادة. ومن هنا، كانت العبادات مشروطة بقصد القربة.

وطبقاً للروايات الواردة عن طريق كلا الفريقين، فإنَّ رضا اللّه تعالىٰ منوطٌ برضا أهل البيت عليهم السّلام، وقد أشرنا في البحث المرتبط بالصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السّلام إلىٰ الحديث المعتبر المنقول في المدارك المعتمدة لأهل السنَّة، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال لفاطمة عليها السَّلام:

«إنَّ اللّه يرضىٰ لرضاك ويغضب لغضبك»[1]

وهذا الكلام من رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مهمٌ جدّاً، لأنَّه الصادق الأمين، وهو في مقام بيان حقيقةٍ من الحقائق الإلهيَّة.

وعليه، فمن لم يرض عنه أهلُ البيت عليهم السّلام، فمحال أن يرضىٰ عنه اللّه، ولذا فإنَّه لن يصل إلىٰ أيِّ معرفة وأيِّ قرب إلهيّ، بل سيكون من المطرودين.

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٨٢ و٨٣؛ اسد الغابة: ٢٢٤/٦؛ المستدرك على الصحيحين: ١٦٧/٣، حديث ٤٧٣٠؛ بحار الأنوار: ٣٤٧/٣٠، حديث ١٦٤؛ الإصابة: ٢٦٥/٨؛ علل الدارقطني: ١٠٣/٣، رقم ٣٠٥؛ تهذيب الكمال: ٢٥٠/٣٥ وينابيع المودَّة: ٥٨/٢، حديث ٤٠؛ الإصابة: ٢٦٥/٨؛ أسد الغابة: ٢٢٤/٦؛ ذخائر العقبىٰ: ٨٢ و٨٣.

ومن هنا، فإنَّ أُولئك الذين تخلّفوا عن أهل البيت ولم يطيعوهم وأطاعوا غيرهم، لن يكونوا ممّن رضي اللّه عنهم ورسوله.

فأهل البيت عليهم السّلام لم يطلبوا شيئاً لأنفسهم، وكلّ ما أرادوه من الناس فهو ما أراده اللّه منهم. وهو الإتيان بالواجبات والإنتهاء من المحرَّمات.

وعليه، فإنّنا إذا لم نكن مرضيّين من قبل الأئمّة عليهم السّلام، وحتّىٰ لو لم نكن ممّن آذاهم وحاربهم، فلن نكون مرضيّين من قبل اللّه تعالىٰ، لوجود الملازمة بين رضا اللّه ورضاهم.

وإذا كان المراد من "من أراد اللّه بدأ بكم" هو لطف وعناية اللّه تعالىٰ، فالإنسان يطلب من اللّه أن يتلطّف عليه ويمنَّ عليه في المشكلات ومصاعب الحياة، فهنا هو أيضاً يبدأ بأهل البيت عليهم السّلام ويتّخذهم شفعاء ووسطاء بينه وبين اللّه تعالىٰ، فلابدَّ أن يعرف أهل البيت ويؤمن بهم أوّلاً، ثمَّ يحاول طلب الحوائج من خلالهم ووسيلتهم.

فبناءاً علىٰ هذه المعاني، فإنَّ كلَّ البركات والفيوضات، الماديَّة منها والمعنويَّة، لابدَّ أن تكون بواسطة أهل البيت عليهم السّلام.

وسنبيِّن لاحقاً، بأنَّ أحد مقامات أهل البيت عليهم السّلام هو إنَّهم الواسطة في الفيض الإلهي.

إذن، فإذا ما أردنا أن ندعوا اللّه تعالىٰ وبأيِّ معنىً من المعاني، فلابدَّ أن يكون ذلك عن طريق أهل البيت عليهم السّلام، وهذا يستدعي الإرتباط المسبق بهم عليهم السّلام، والإرتباط يعني معرفة الأئمّة عليهم السّلام وإطاعتهم.

هذا وقد تقدَّم منّا بأنّه لم يكن بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إلاّ خطّان،

خطّ أهل البيت عليهم السّلام وهو خطّه، وخطّ الآخرين وطريقهم.

فبالحصر العقلي، يكون الوصول إلىٰ رسول اللّه ومنه إلىٰ اللّه منحصراً إمّا في طريق أهل بيت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أو في غيرهم.

تُرىٰ، من غير أهل البيت عليهم السّلام يمكنهم إيصالنا إلىٰ الرسول الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وإلىٰ اللّه تعالىٰ؟

معرفة اللّه في الروايات

في هذا المجال ثلاث طوائف من الروايات.

الطائفة الأولى تفيد بأنَّ معرفة اللّه وعبادته تكون من خلال الأئمَّة عليهم السّلام، وبواسطتهم.

فلولا أهل البيت عليهم السّلام لم تكن هناك معرفة وعبادة.

وقد أشرنا آنفاً إلىٰ بعض هذه الروايات.

الطائفة الثانية من الروايات ما ورد في مقام بيان أنَّ المعرفة هي الهدف من الخلقة والوجود.

يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(١)].

فكلمة "يعبدون" في الآية الكريمة، بمعنىٰ "يعرفون" وفي غير هذه الصورة تكون المعرفة شرطاً في العبادة، فتعود "ليعبدون" إلىٰ "ليعرفون" أيضاً.

وفي الحديث القدسي:

---

(١) سورة الذاريات (٥١): الآية ٥٦.

«كنت كنزاً مخفيّاً، فأحببت لأن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف»[١]

ومن جهة أُخرىٰ، وكما أشرنا، فإنَّ معرفة ذات اللّه تعالىٰ مستحيلة، ولذا مُنعنا عن التفكُّر في كنه ذاته، يقول سليمان بن خالد:

«قال الصادق عليه السّلام:

إيّاكُم والتفكُّر في اللّه، فإنَّ التفكُّر في اللّه لا يزيد إلاّ تيهاً، إنَّ اللّه عزّوجلّ لا تدركه الأبصار، ولا يوصف بمقدار»[٢]

وفي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«تكلموا في خلق اللّه ولا تتكلّموا في اللّه، فإنَّ الكلام في اللّه لا يزداد صاحبه إلاّ تحيُّراً»[٣]

لكن إنتبهوا إلىٰ هذه الرواية جيّداً:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَطَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السَّلام قَالَ:

خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السَّلام ذَاتَ يَوْمٍ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ عزَّوجلّ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! فمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟

قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُه.»[٤]

---

(١) رسائل الكركي: ١٥٩/٣ و١٦٢.

(٢) أمالي، الشيخ الصدوق: ٥٠٣، حديث ٦٩٠؛ وسائل الشيعة: ١٩٧/١٦، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٢٥٩/٣، حديث ٤.

(٣) الكافي: ٩٢/١، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٩٦/١٦، حديث ٧.

(٤) علل الشرائع: ٩/١، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٩٦/٦، حديث ٧.

وعلىٰ العموم، إنَّ اللّه تعالىٰ لم يخلق الخلق إلاّ ليعرفوه، ثمّ تصل النوبة إلىٰ العبادة، فإنَّها فرع المعرفة.

إنَّ العبد إذا صار عبداً للّه فلن يكون عبداً لغيره، فلا يمكن للإنسان أن يكون عبداً للّه وللشيطان في آن واحد، فلا يمكن أن تكون نصفُ العبوديَّة للّه والنصف الآخر للشيطان، بل ولا يمكن حتّىٰ أن يكون ٩٩٪ منها للّه و ١٪ للشيطان، فهذه ليست معرفة ولا هي عبادة، بل هي شرك.

وما هي معرفة اللّه؟ وكيف هي المعرفة؟ قَالَ:

«مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُه.»

إنَّه لابدّ من التأمّل في هذه الرواية، ليتّضح لنا أمران:

الأوَّل: إنَّه عليه السّلام قال:

«ما خلق اللّه العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه»

وهذا هو نفس ما إستفدناه من الآية المباركة من أنَّ المراد من "يعبدون" هو "يعرفون"، لأنَّ المعرفة شرط في العبادة.

الثاني: إنَّ السائل سأل الإمام عن "معرفة اللّه"، فأجابه الإمام عليه السّلام:

«معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته»

وقوله "تجب عليهم طاعته" يشتمل علىٰ ثلاثة نقاط:

الأولىٰ: إنَّ طاعة الإمام الحق واجبة علىٰ جميع الخلق إطاعة مطلقة، لأنَّ لفظ "الطاعة" في الرواية مطلق.

الثانية: إنَّ الطاعة المطلقة مساوية للعصمة.

الثالثة: إنَّ معرفة الإمام هي معرفة اللّه تعالىٰ.

وبناءاً علىٰ إنَّ المراد من "من أراد اللّه بدأ بكم" هو "القرب". فسيكون معنىٰ الرواية أنَّ الإنسان كلّما كان أقرب إلىٰ أهل البيت عليهم السّلام كان أقرب إلىٰ اللّه تعالىٰ.

إذن، فمعرفة الأئمَّة واجبة علىٰ كلِّ شخص بقدر إستعداده وأهليَّته.

وهذه الرواية فيها إطلاق من جهة المراتب، أي إنَّ المعرفة واجبة علىٰ جميع المكلَّفين وعلىٰ كلِّ المراتب والإستعدادات. فعلىٰ الجميع التفكُّر والتأمُّل في معرفة الأئمَّة.

الطائفة الثالثة من الروايات هي الروايات الواردة في ذيل الآية المباركة التي تتحدّث عن الأسماء الحسنىٰ وهي قوله تعالىٰ:

﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾ [١].

ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السّلام في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾، قال:

«نحن -واللّه- الأسماء الحسنىٰ التي لا يقبل اللّه من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا» [٢]

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا علىٰ اللّه، وهو قول اللّه عزَّوجلّ: ﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا ﴾ [٣]» [٤]

---

(١) سورة الأعراف (٧): الآية ١٨٠.

(٢) الكافي: ١/١٤٣-١٤٤، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٥/٥، حديث ٧.

(٣) سورة الأعراف (٧): الآية ١٨٠.

(٤) الإختصاص ٢٥٢؛ تفسير العيّاشي: ٢/٤٢؛ بحار الأنوار: ٩١/٥-٦، حديث ٧ و ٩١/٢٢، حديث ١٧.

وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم ؛

الأئمّة وبدء التوحيد

بناءاً علىٰ ما مضىٰ، فإنَّ كلَّ حقائق الإسلام، من التوحيد، المعارف، المباني الدينيَّة، العلوم الإسلاميَّة، الأحكام الشرعيَّة، التعليمات الأخلاقيَّة، وكلّ ما عند أُمَّة الإسلام، فهو من بركات وجود أهل البيت عليهم السّلام وبواسطتهم.

إنَّ اللّه الخالق الحكيم الذي يعرّفه أهل البيت عليهم السّلام كما في الروايات المنقولة عنهم، يختلف تماماً عن الذي يُعرّفه الآخرون، كما في أقوالهم المنقولة عنهم في كتبهم.

وإنَّ النبيّ الّذي يعرّفه أهل البيت عليهم السّلام في صفاته وحالاته، والنبوّة المطروحة في الروايات الواردة عنهم، تختلف عمّا يذكره الآخرون إختلافاً عظيماً.

وكذا فيما يرتبط بمعاني النبوّة التي بيَّنها أهل البيت عليهم السّلام مع تلك الّتي ذكرها غيرهم، فإلتفاوت في معناها وفي صفات النبي كبير.

ولو قيست روايات وأقوال الآخرين إلىٰ روايات وأقوال الأئمَّة عليهم السّلام، فسيتبيَّن بوضوح من هو المتعيَّن للمرجعيَّة في معارف الدين.

والمعاد المبيَّن في كلمات الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام معادٌ برهانيٌّ متطابق مع الأدلَّة العقليَّة والنّصوص القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة، لم يرد مثله بل ولا أقلَّ منه في كلمات الآخرين.

ففي كلمات الآخرين، أباطيل من قبيل التجسيم في حقّ اللّه تعالىٰ، ومنقّصات للأنبياء وحتّىٰ لنبيّنا الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم.

وكذا كلماتهم في باب الإمامة، بل كانوا عملياً أيضاً يلتزمون بهذه الأباطيل. فوصل الأمر إلىٰ قبول إمامة الفاسقين والفجرة.

وكذا الأمر في سائر العلوم الإسلاميَّة.

وقد أثبتنا في محلّه بأنّ العلوم الإسلاميَّة قد انتشرت في زمن أمير المؤمنين عليه السّلام في أرجاء البلاد الإسلاميَّة التي كانت تشمل جغرافياً الحجاز، اليمن، العراق والشام عن طريق أمير المؤمنين عليه السّلام وتلامذته البارزين، فلم تكن البلاد الإسلاميَّة تعرف العلوم القرآنيَّة، العلوم الفقهيَّة، الحديث وسائر العلوم الأخرىٰ إلاّ بواسطة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.

ثم وصلت النوبة إلىٰ عهد الإمام الصادق عليه السّلام ومجلس درسه.

ففي رواية عن الأصبغ بن نباتة قال:

«لَمَّا جَلَسَ عَلِيٌّ عليه السَّلام فِي الْخِلَافَةِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ مُتَعَمِّماً بِعِمَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، لَابِساً بُرْدَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، مُتَنَعِّلًا نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، مُتَقَلِّداً سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ مُتَحَنِّكاً، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَوَضَعَهَا أَسْفَلَ بَطْنِهِ، ثُمَّ قَالَ:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، هَذَا سَفَطُ الْعِلْمِ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، هَذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله زَقّاً زَقّاً، سَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِي وِسَادَةٌ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ حَتَّى تَنْطِقَ التَّوْرَاةُ فتَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ، وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّىٰ يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ، وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الْقُرْآنُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ.

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرْآنَ لَيْلًا وَنَهاراً، فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا نَزَلَ فِيهِ؟

وَلَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ وَبِمَا هُوَ كَانَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ يَمْحُوا اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ ﴾.

ثُمَّ قَالَ عليه السّلام: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ آيَةٍ، فِي لَيْلٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهَارٍ أُنْزِلَتْ، مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا، سَفَرِيِّهَا وَحَضَرِيِّهَا، نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا، وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا، وَتَأْوِيلِهَا وَتَنْزِيلِهَا، إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ....»[1]

وعليه، فالتوحيد الذي هو علىٰ رأس الأمور هو من عند أهل البيت عليهم السّلام، وكلُّ من إعتقد بالتوحيد بشكل صحيح فهو قد أخذه عن مدرسة أهل البيت عليهم السّلام.

روىٰ المفضّل بن عمر أنَّ ثابت الثمالي روىٰ عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السّلام قال:

«لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ حُجَّتِهِ حِجَابٌ، فَلَا لِلَّهِ دُونَ حُجَّتِهِ سِتْرٌ، نَحْنُ أَبْوَابُ

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٤٢٢-٤٢٣، حديث ٥٦٠؛ التوحيد: ٣٠٥، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٠/١١٧-١١٨، حديث ١.

اللّهِ، وَنَحْنُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِهِ، وَنَحْنُ أَرْكَانُ تَوْحِيدِهِ، وَنَحْنُ مَوْضِعُ سِرِّهِ»(١)

وقد ذكرنا في الكتاب أنَّ للناس في الوصول إلىٰ المعارف الحقَّة عدَّة طرق:

فبعض اختار طريق الذّكر.

وبعض طريق العبادة وأداء النوافل والصلوات المستحبَّة.

وطائفة أرادوا الوصول من خلال التهذيب والتزكية.

ونحن لا ننكر شيئاً من هذه الطرق إنْ تحقَّقت الشرائط والضوابط اللازمة، ولكن وبمقتضىٰ الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة، وحتّىٰ من خلال التجربة، فإنَّنا وجدنا أنَّ أفضل الطرق وأقربها للوصول إلىٰ المعارف الحقَّة هو طريق التوسل بأهل البيت والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، وقد نقلنا فيما سبق نصّ الرسالة الّتي كتبها جدُّنا سماحة آية اللّه العظمىٰ الميلاني رحمه اللّه في هذا المضمار.(٢)

وعلىٰ أيٍّ حال، فإنَّ عند الأئمَّة عليهم السّلام كلّ ما يحتاجه الإنسان المسلم في حياته، فلنطلب ما نريد منهم عليهم السّلام، وبطبيعة الحال، بالشروط المعيَّنة، فينبغي علينا قبل التوسل بهم في طلب الحوائج المعنويَّة أن نجهد أنفسنا في طاعتهم، ومن الواضح أنَّ التعبُّد فرعُ المعرفة.

والأمر الآخر هو أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام لهم مقام الولاية والوساطة في

---

(١) معاني الأخبار: ٣٥، حديث ٥.

(٢) وقد جاء في هذه الرسالة إنَّه يتقوّم الكمال بأربعة أمور:

الأوّل: المعارف. الثاني: التقوىٰ. الثالث: الفقه والأصول. الرابع: مكارم الأخلاق.

وإجتماع هذه الأركان الأربعة مهمٌّ جداً... وبطبيعة الحال فإنَّ الدعاء والتوسّل بمقام الولاية والتوجّه إلىٰ حضرة ولي العصر أرواحنا فداه هو من أعظم الوسائل لنيل هذه الأركان الأربعة إنْ شاء اللّه.

الفيض، فهم عليهم السّلام الواسطة حتّىٰ في وصول الفيض إلىٰ غير أهل المعرفة بهم من الناس.

وسنبيِّن لاحقاً بأنَّ الكون أيضاً إنّما وُجد ببركتهم ولأجلهم، ولكنَّ بحثنا الآن كان في المعارف خاصّة، وطريق الوصول إليها.

مَوَالِيّ لاأُحْصِي ثَنَاءَكُمْ وَلا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُم؛

العجز عن ثناء الأئمّة

قد بيّنا باختصار أنَّ الأئمّة منصوبون لهداية الخلق إلىٰ اللّه، فلا جرم تجب معرفتهم قبل التوجّه بهم إليه.

فمعرفتهم واجبة ولازمة، ولكن هل يمكن الوصول إلىٰ حقّ معرفتهم ومنتهىٰ درجتها؟

وهل نقدر علىٰ وصف قدرهم ومنزلتهم عند اللّه؟

إنّنا عاجزون عن الوصول إلىٰ معرفة حقائق أحوالهم والإهتداء إلىٰ أبعاد محاسنهم، ومهما قلنا في مدحهم وبيان منزلتهم، فإنّنا لن نصل إلىٰ كنه ذواتهم، ومهما قلنا في وصفهم فإنّنا لن نقدر علىٰ بيان حقّ وصفهم.

وقد روىٰ الخطيب الخوارزمي حديثاً لطيفاً عن علماء أهل السنّة في كتاب "مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام"، عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«لو أنَّ البحر مداد، والغياض أقلام، والإنس كتّاب، والجنّ حسّاب، ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن!»(١)

وفي حديث آخر نقلته المصادر الشيعيّة أنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«يا علي! ما عرف اللّه إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ اللّه وأنت، وما عرفك إلاّ اللّه وأنا»(٢)

وقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في كلامٍ آخر له:

«يا علي! ما عرف اللّه حقّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حقّ معرفتك غير اللّه وغيري»(٣)

هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، فمعرفة اللّه بالمرتبة التي عرفها رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم وعرفها أمير المؤمنين عليه السّلام، مختصّة بهما، وهكذا معرفة رسول اللّه ومعرفة عليٍّ عليهما السّلام.

إذن، لابدَّ من المعرفة بقدر القدرة والإستعداد، ولذا تفاوتت معرفة أخصّ أصحاب أمير المؤمنين بالنسبة إليه، فهذا سيّدنا أبوذر الغفاري رضوان اللّه تعالىٰ عليه، قد ورد في بعض الروايات أنَّ معرفته ومرتبته دون مرتبة ومعرفة سلمان رضوان اللّه تعالىٰ عليه، فقد روىٰ مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السّلام عن أبيه إنَّه قال: جرىٰ ذكر التقيَّة يوماً في محضر الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السّلام فقال الإمام:

---

(١) المناقب للخوارزمي: ٣٢٨، حديث ٣٤١؛ نقل هذا الحديث بتفاوت طفيف في: مائة منقبة: ١٧٥-١٧٦، المنقبة ٩٩؛ كنز الفوائد: ١٢٩؛ ميزان الإعتدال: ٣ / ٤٦٦ رقم ٧١٩، لسان الميزان: ٥ / ٦٢ رقم ٢٠٥.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥؛ المحتضر: ٧٨، حديث ١١٣؛ مدينة المعاجز: ٢/٣٤٩، حديث ٦٣٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/٦٠؛ بحار الأنوار: ٨٤/٣٩.

«وَاللَّهِ، لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ، وَلَقَدْ آخَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بَيْنَهُمَا. فَمَا ظَنُّكُمْ بِسَائِرِ الْخَلْقِ؟

إِنَّ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ.

قَالَ: وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لِأَنَّهُ امْرُؤٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلِذَلِكَ نَسَبْتُهُ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ»(١)

نعم، فهذه الرواية هي إحدىٰ الروايات المشكلة الّتي كان للعلماء فيها أقوال متعدّدة، وقد حار فيها البعض.

والقدر المتيقّن المفهوم من هذه الرواية هو وجود التفاوت الكبير بين مرتبة إيمان أبي ذر الغفاري ومرتبة إيمان سلمان المحمّدي مع كونهما من خلّص أصحاب رسول اللّه والملازمين له، وقد كانا من أصحاب أمير المؤمنين الخلّص بعد رحيل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وممّن تشتاق الجنّة إليهم كما في الحديث الصحيح.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ هذين الصحابيّين كانا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام في حياة رسول اللّه وبعد رحيله، ومع ذلك فإنَّ بينهما التفاوت في مرتبة الإيمان والمعرفة.

لقد كان حول أمير المؤمنين عليه السّلام رجال من قريش، بني هاشم، وأهل الكوفة، ولكنّنا نجد بأنَّ رشيد الهجري، ميثم التمّار و... كانوا

(١) الكافي: ١/٤٠١، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ١/١٩٠، حديث ٢٥.

ممتازين عن سائر أصحابه، وكانت لهم مراتب وحالات ومعارف وأسرار من أمير المؤمنين عليهم السّلام، لم يصل إلىٰ مقامهم إبن عبّاس وهو إبن عمٍّ أمير المؤمنين ومن أصحاب رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰهُ عليه وآله المحترمين عند عامّة المسلمين.

فبطبيعة الحال، لابدَّ من حثّ الخُطىٰ والتفكُّر والمطالعة والبحث والتحقيق، وعلىٰ كلٍّ واحدٍ منّا أن يسعىٰ بقدر إستعداده وتحمُّله، لأنّنا ذكرنا سابقاً بأنَّ معرفة الأئمّة عليهم السّلام لها طريقيّة إلىٰ معرفة اللّٰه أيضاً مضافاً إلىٰ موضوعيّتها.

ففي رواية طويلة عن الإمام الرضا عليه السّلام حول الإمامة، جاء فيها:

«...فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ وَيُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ؟!

هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! ضَلَّتِ الْعُقُولُ وَتَاهَتِ الْحُلُومُ وَحَارَتِ الْأَلْبَابُ وَحَسَرَتِ الْعُيُونُ وَتَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ وَتَحَيَّرَتِ الْحُكَمَاءُ وَتَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ وَحَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ وَجَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ وَعَجَزَتِ الْأُدبَاءُ وَعَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، فَأَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ.

وَكَيْفَ يُوصَفُ لَهُ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يُقَامُ مَقَامَهُ وَيُغْنِي غِنَاهُ، لَا كَيْفَ وَأَنَّىٰ وَهُوَ بحيث النَّجْمُ مِنْ أَيْدِي الْمُتَنَاوِلِينَ وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ!»[1]

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٢/١٩٧، حديث ١؛ كمال الدين: ٦٧٨، حديث ٣١؛ بحار الأنوار: ٢٥/١٢٠، حديث ٤.

وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَار ؛

نور الأخيار

هذه "الواو" حاليَّة.

أي: كيف يمكن الوصول إلىٰ معرفة مراتب الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام والوقوف علىٰ كنه حقائقهم، والحال أنَّهم نور وأنَّهم هداة الأبرار، وإذا كان الأخيار والأبرار محتاجون إلىٰ نورهم وهدايتهم في طريق المعرفة، فكيف بسائر الناس؟

ما معنىٰ الأخيار؟

الأخيار من الناس هم زبدتهم.

وبتعبير آخر، هم أفضل الناس وخيرهم.

فالأئمَّة عليهم السّلام هم نور مثل هؤلاء الناس في طريقهم، ذلك الطريق الذي لا يمكن حتّىٰ للأخيار والأبرار سلوكه والوصول إلىٰ مقاصدهم إلاّ من خلال نور الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وهؤلاء الأبرار هم الذين قال عنهم تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[1].

فكيف يمكن بيان مقام هداة الأبرار الذين كتابهم في علّيين، فضلاً عن أنْ يحاول الوصول إليه؟

---

(١) سورة المطففين (٨٣): الآية ١٨.

هذا هو حال الأخيار والأبرار في دار الدنيا.

وأمّا حالهم في عالم الآخرة، فهم خلف محمد وآل محمد عليهم السّلام ومعهم، وهذا ما يصفه القرآن الكريم:

﴿ يَوْمَ تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

وحينئذٍ، فمن كان قالياً لآل محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في دار الدنيا، سالكاً غير سبيلهم متّبعاً غيرهم، كان في يوم القيامة من الخاسرين، ويقول كما حكىٰ ذلك القرآن عنهم:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُم ﴾ (٢).

فيقال في جوابهم:

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورا ﴾ (٣).

ولكن هيهات هيهات؛

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَاب ﴾ (٤).

والحاصل: الأئمّة الأطهار عليهم السّلام نور الأخيار وهداة الأبرار في طريق المعرفة، وهذه منزلة من منازل الأئمّة عليهم السّلام.

---

(١) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٢.

(٢) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٣.

(٣) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٣.

(٤) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٣.

وَحُجَجُ الجَبَّارِ ؛

الحُجَج

والمنزلة الأُخرىٰ للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هي أنَّهم حُجَج الجبّار.

و" الحُجَج " جمع الحُجَّة.

والإحتجاج هو إقامة الحجَّة والأخذ بها لإثبات شيء أو نفيه. فإذا ما أراد الإنسان أن يُلزم أحداً بأمرٍ ما ويقنعه به، عليه أن يقيم الدليل والبرهان الذي لا يقبل الردّ، ويكون مقنعاً وملزماً له وذلك هو الحجَّة.

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام حججٌ وأدلَّة للّه تعالىٰ علىٰ الخلق.

فاللّه سبحانه وتعالىٰ يحتجّ علىٰ الخلق بالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، من غير فرق بين أهل الطاعة وأهل المعصية، أمّا أهل المعصية، فواضح، وأمّا أهل الطاعة، فعلىٰ قلَّة العمل أو ضعفه.

إنَّ من آثار عدم خلوّ الأرض من الإمام، ووجوده في كلّ زمان، هو قطع عذر العصاة، فليس لهم أنّ يعتذروا بالجهل وعدم وجود من يعلّمهم ويرشدهم، بل للّه الحجَّة القاطعة عليهم بوجوده، فيردّ عليهم: هلّا تعلّمتم منه وعملتم؟!

يقول القرآن الكريم في هذا المضمار:

﴿ وَقالُوا لَوْ لا يَأْتينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ ۞ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ

مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدىٰ ﴾ (١).

وفي دعاء الندبة إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ أيضاً، حيث ورد فيه:

« ...وكلّاً (كلّ خ ل) شرعت له شريعة، ونهجت له منهاجاً، وتخيَّرت له أوصياء، مستحفظاً بعد مستحفظ، من مدّة إلىٰ مدّة، إقامة لدينك، وحجَّة علىٰ عبادك، ولئلّا يزول الحقّ عن مقرّه، ويغلب الباطل علىٰ أهله، ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً فتتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » (٢)

وعلىٰ الجملة، فإنَّه لمّا كانت الحكمة من الخلق المعرفة والعبوديَّة للّه، كان مقتضىٰ اللّطف نصب من يتولّىٰ الهداية إلىٰ ذلك، فإذا نُصب جازت المؤاخذة علىٰ المعصية والمخالفة كما قال عزَّوجلّ:

﴿ وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ (٣).

وقد ذكر العلماء بتفسير الآية المباركة، إنَّ المقصود من "الرسول" فيها هو "الحجَّة"، أي: الأعمّ من الرسول والإمام. (٤)

وأمّا لو لم ينصب الهادي الحجَّة، فليس له أن يعاقب، لأنَّه من العقاب بلا بيان، وهو قبيح.

وعليه، فإنَّ وجود الإمام حجَّة للّه علىٰ الخلق ولو كان مسجوناً -كالإمام موسىٰ بن جعفر عليه السّلام- بفعل الظّالمين.

---

(١) سورة طه (٢٠): الاية ١٣٣-١٣٥.

(٢) المزار (محمد بن المشهدي) ٥٧٥؛ إقبال الأعمال: ٥٠٥/١؛ بحار الأنوار: ١٠٥/٢٩.

(٣) سورة الإسراء (١٧): الآية ١٥.

(٤) راجع بحار الأنوار: ١٨٣/٥ و٢٩٣.

وإذا ما هجر الناس بقيَّة الأئمَّة عليهم السّلام ولم يستضيئوا بنور هدايتهم ولم يأخذوا بتعاليمهم، بل اقتدوا بغيرهم وعملوا بفقهه، فإنَّ اللّه تعالىٰ سيحتجُّ عليهم يوم القيامة علىٰ كلِّ ذلك.

ولو قصَّرنا نحن في زمن الغيبة ولم نؤدّ حقَّ وليِّ العصر عليه السّلام، وكانت غيبته بسبب تقصيرنا، فإنَّنا سنؤاخذ علىٰ ذلك بلا شك.

الجبّار

و"الجبّار" وصف إن وصف به الإنسان كان ذمّاً، وإنْ وصف به اللّه أفاد إصلاح الخلق مع الجبر والقهر، قال الراغب:

«أصل الجبر: إصلاح الشيء بضربٍ من القهر»[١]

وقال ابن فارس:

«الجبر أصل واحد، وهو جنس من العظمة والعلوّ والإستقامة.»[٢]

ولمّا اُضيفت كلمة "حُجَج" إلىٰ "الجبّار"، ولأنَّ الإحتجاج هو إقامة البرهان بنحوٍ من القدرة والقهر، أمكننا تفسير "الجبّار" بهذا المعنىٰ.

فهذا الإحتجاج هو بالدرجة الأولىٰ للعاصين، خاصَّة وإنَّ هذه العبارة جاءت بعد عبارة "نور الأخيار وهداة الأبرار"، أي إنَّ "حجج الجبّار" لغير الأخيار والأبرار، ولكنّه جائز بالنسبة إلىٰ هؤلاء أيضاً فيما لو كان المطلوب منهم القيام بأفضل الطّاعات والعبادات لقدرتهم عليها.

وبعبارة أخرىٰ: يكون الإحتجاج علىٰ العصاة من باب المؤاخذة، وعلىٰ الأخيار والأبرار من باب العتاب. فتأمّل.

---

(١) المفردات في غريب القرآن.

(٢) معجم مقاييس اللغة.

وعلىٰ كلٍّ حالٍ، فإنَّ اللّه سيحتجُّ علىٰ العباد في يوم القيامة بقوَّةٍ وسيلزمهم بها كما قال:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَة﴾ [1].

وهذا من جملة منازل الأئمَّة الخاصَّة بهم، لأنّ اللّه لا يحتجّ علىٰ الناس إلاّ بأهل العصمة، لعدم كون أقوال غيرهم وأفعالهم حجَّة علىٰ الإطلاق.

ومن هنا نقول بعدم جواز إطلاق عنوان "حجَّة اللّه" علىٰ غير المعصوم.

ومن الواضح، أنَّهُ لو كان للّه تعالىٰ في الأُمَّة الإسلاميَّة حججٌ أقوىٰ وأوضح من الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، لجعلهم هم الحجج علىٰ الأُمَّة.

وكذا فيما يتعلّق الأمر بنا، فلو أنَّنا كنّا نعرف شخصاً -أو أشخاصاً- أوجه وأقرب إلىٰ اللّه تعالىٰ من الأئمَّة الأطهار -ولا أقرب وأوجه منهم- لجعلناهم شفعاءَنا إلىٰ اللّه تعالىٰ في قضاء حوائجنا، ولكنّنا لم ولا نجد غيرهم، فكانوا هم الشفعاء لنا عنده.

بِكَمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكَمْ يَخْتِمْ؛

بدء الوجود وختامه بالأئمَّة

ومن خصائص النبي الأكرم والصدّيقة الطاهرة والأئمَّة المعصومين عليهم السَّلام أنَّ البداية والنهاية للخلق كانت بواسطتهم أو لأجلهم.

---

(١) سورة الأنعام (٦): الاية ١٤٩.

قال الراغب الإصفهاني في كتابه المفردات، في معنىٰ "فَتَحَ":

«وفاتحة كلِّ شيءٍ مبدؤه الّذي يفتح به ما بعده، وبه سمّي فاتحة الكتاب»(١)

فإذا إعتبرنا "الباء" في "بكم" سببيَّة، فسيكون المعنىٰ بسببكم فتح اللّه، وبسببكم يختم.

وحاصل ذلك: إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام علَّة الوجود، وأنَّهم سبب خلق كلِّ عالم الإمكان.

وإنْ كانت "الباء" في "بكم" باءُ المصاحبة، فسيكون المعنىٰ أنَّكم مبدأ ومنتهىٰ الخلقة، فأنتم أوَّل مخلوق، وبذهابكم يكون أخر هذا العالم.

ومن هنا، فإنَّنا نقرأ في زيارة صاحب الزمان عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف، أي زيارة آل ياسين:

«أنتم الأوَّل والآخر»(٢)

وقد ورد في حديث ليلة المعراج أنَّ الملائكة خاطبت النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقالت:

«مَرحباً بالأوَّل ومرحباً بالآخر، ومرحباً بالحاشر، ومرحباً بالناشر، محمد خير النبيّين وعليٌّ خيرُ الوصيّين...»(٣)

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام:

«نحن الأوَّلون والآخرون، ونحن الآمرون ونحن النور...»(٤)

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٧٠.

(٢) الإحتجاج: ٣١٧/٢؛ المزار: ٥٧٠؛ بحار الأنوار: ١٧٢/٥٣.

(٣) الكافي: ٤٨٤/٢، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٥٦/١٨، حديث ٦٦، نقلاًعن علل الشرائع: ٣١٤/٢، حديث ١.

(٤) دلائل الإمامة: ١٦٨، حديث ٨٢؛ ينابيع المعاجز: ٨١.

فأنتم يا أهل بيت النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، مبدأ الخلقة والوجود والخيرات والبركات، وبكم يختم الوجود والخيرات والبركات، كما كان رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله خاتم الأنبياء، وبه ختمت النبوّات.

واللطيف في العبارة، إنَّ فعل "فتح" جاء بصيغة الماضي، أي إنَّ الفتح قد تحقَّق، وإنَّ فعل "يختم" جاء بصيغة المضارع، والذي سيكون في وقت لاحق، فأنتم المبدأ والمنتهىٰ والأوَّل والآخر.

وهذا واقع حالٍ شهدت به الروايات الشيعيَّة والسنيَّة معاً.

أي إنَّه حتّىٰ أُولئك الذين لم يؤمنوا بأهل البيت عليهم السّلام -بما نعتقده نحن- قد نقلوا هذه الروايات ورووها بأسانيدهم في كتبهم المشهورة، وسنذكر بعضها لاحقاً إنْ شاء اللّه.

إذن، فالخلقة والوجود، ومن بعد الخلقة والوجود كلُّ الخيرات والبركات المعنويَّة من العلوم والمعارف، والبركات والخيرات الماديَّة، بما يُحيط به فكرنا وما لا يحيط به، فإنَّ مبدأه النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وبهم يُختم كلُّ ذلك.

تمعَّنوا بهذه الرواية التي نقلتها مصادر العامَّة:

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسبّح اللّه عزَّوجلّ في يمنة العرش قبل خلق الدنيا، ولقد سكن آدم الجنَّة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه.

فلم نزل يقلّبنا اللّه عزّوجلّ من أصلاب طاهرة إلىٰ أرحام طاهرة، حتّىٰ إنتهىٰ بنا إلىٰ عبد المطّلب، فجعل ذلك النور بنصفين، فجعلني في صلب عبد اللّه، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيَّ النبوّة والرّسالة، وجعل في عليّ الفروسيّة والفصاحة، واشتقّ لنا اسمين من أسمائه، فربّ العرش محمود وأنا محمَّد، وهو الأعلىٰ وهذا عليّ.»(١)

وفي رواية أُخرىٰ:

«كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نُوراً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَأَلْفَ عَامٍ. فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالىٰ آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جُزْءَيْنِ فَجُزْءٌ أَنَا وَجُزْءٌ عَلِي»(٢)

نعم، فالنبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول بأنّه وعليّاً نورٌ واحد، خلقه اللّه قبل أن يخلق آدم، ثمَّ شعَّب ذلك النور إلىٰ شعبتين، فشعبة منه إستقرت في صُلب عبد اللّه عليه السّلام، وشعبة منه إستقرّت في صلب أبي طالب عليه السّلام.

وهذا الموضوع ثابت في الروايات المعتبرة عندنا كذلك:

فقد رُوي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام أنَّ اللّه تعالىٰ خاطب نبيَّه الأكرم محمداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقال:

---

(١) كتاب زين الفتىٰ في تفسير هل أتىٰ، ومع تفاوت طفيف في علل الشرائع: ١٣٤/١، حديث ١؛ معاني الأخبار: ٥٦، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ١١/١٥، حديث ١٢.

(٢) الطرائف: ١٥، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٤/٣٥، حديث ١٨؛ نظم درر السّمطين: ٧؛ ينابيع المودّة: ٤٩٠/٢، حديث ٣٧٩؛ للمزيد من الإطّلاع علىٰ اسناد ودلالة هذا الحديث المشهور بـ" حديث النور" راجع: نفحات الأزهار، المجلد الخامس.

«يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيّاً نُوراً -يَعْنِي رُوحاً بِلَا بَدَنٍ- قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي، فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلُنِي وَتُمَجِّدُنِي.

ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً فَكَانَتْ تُمَجِّدُنِي وَتُقَدِّسُنِي وَتُهَلِّلُنِي، ثُمَّ قَسَمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَقَسَمْتُ الثِّنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ، فَصَارَتْ أَرْبَعَةً مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِنْتَانِ.

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحاً بِلَا بَدَنٍ، ثُمَّ مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَىٰ نُورَهُ فِينَا»(١)

والآن، دقّقوا النظر جيداً في هذه الرواية -التي إهتمٌ بها الأعاظم في معارف أهل البيت عليهم السّلام- عن محمد بن سنان قال:

«كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السَّلام فَأَجْرَيْتُ اخْتِلَافَ الشِّيعَةِ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بِوَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ فَمَكَثُوا أَلْفَ دَهْرٍ.

ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا وَأَجْرَىٰ طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا وَفَوَّضَ أُمُورَهَا إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يُحِلُّونَ مَا يَشَاءُونَ وَيُحَرِّمُونَ مَا يَشَاءُونَ، وَلَنْ يَشَاءُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هَذِهِ الدِّيَانَةُ الَّتِي مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا مُحِقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ.

خُذْهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ!»(٢)

---

(١) الكافي: ١/ ٤٤٠، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٥/ ١٨-١٩، حديث ٢٨.

(٢) الكافي: ١/ ٤٤١، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ١٥/ ١٩، حديث ٢٩.

فبناءاً على ما في هذه الرواية، فإنَّ اللّه تعالىٰ قد أشهد أهل البيت عليهم السّلام خلق كلّ الأشياء، وجعل الأشياء مطيعة لهم، وجعل مشيئتهم مشيئته. وهذا مقام لم يجعله اللّه تعالىٰ لأحد من الخلق إلاّ لمحمّد وآل محمد عليهم السّلام.

بل إنَّ ذلك هو الدّين.

فمن مثل هذه الروايات، يستفاد بأنَّ خلق هذا العالم إنَّما هو من أجل أهل البيت عليهم السّلام.

وفي رواية نقلتها المصادر السنيَّة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إنَّه قال:

«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعالىٰ أبا البشر وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، الْتَفَتَ آدَمُ يَمْنَةَ الْعَرْشِ فَإِذَا خَمْسَةُ أَشْبَاحٍ سجّداً وركّعاً.

قَالَ آدم: يَا رَبِّ! هَلْ خَلَقْتَ أَحَداً من طِينٍ قَبْلِي؟

قَالَ: لَا، يا آدَم.

قَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الخمسَة الَّذِينَ أَرَاهم في هيئَتي وَصُورَتِي؟

قَالَ: هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ مِنْ وُلْدِكَ، لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُك، وَلَولاهُمْ مَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا الْعَرْشَ وَلَا الْكُرْسِيَّ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا الْإِنْسَ وَلَا الْجِنَّ.

هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ شَقَقْتُ لَهُمْ خَمسَةَ أسْماءَ مِنْ أَسْمَائِي فَأَنَا الْمَحْمُودُ وَهَذَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا الْعالي وَهَذَا عَلِيٌّ، وَأَنَا الْفَاطِرُ وَهَذِهِ فَاطِمَةُ، وَأَنَا الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحَسَنُ، وَأَنَا الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ.

آلَيْتُ بعزَّتي أَنَّهُ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ بِمِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ بغض أَحَدِهِمْ إِلَّا أَدْخَلْتُهُ ناري ولا أُبالي.

يا آدم! هؤلاء صَفوتي من خلقي بهم أنجيهم وأهلكهم، فإذا كان لك إلي حاجة فبهؤلاء توسّل.

فقال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا ومن حادّ عنها هلك، فمن كان له إلىٰ اللّه حاجة فليسأل بنا أهل البيت؛»(١)

نعم، ومن ثمّ عُبِّر عن النبي الأكرم والأئمّة الأطهار عليهم السّلام بأنّهم العلل الغائيّة للوجود.

وفي رواية أُخرىٰ أنّ آدم عليه السّلام لمّا نظر إلىٰ ساق العرش رأىٰ مكتوباً عليه: «محمّد رسول اللّه» إلىٰ جنب «لا إله إلاّ اللّه»، سأل قائلاً:

«من المقرون بإسمك؟»

فجاء الجواب:

«محمّد خير من أخرجته من صلبك، إصطفيته بعدك من وُلدك. ولولاه ما خلقتك»(٢)

وفي رواية أُخرىٰ رواها الشيخ المفيد، ذلك العالم الجليل رحمه اللّه، عن محمد بن الحنفيّة أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يَقُولُ: قَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ: لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ دَانَتْ بِطَاعَةِ إِمَامٍ لَيْسَ مِنِّي، وَإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي نَفْسِهَا بَرَّةً، وَلَأَرْحَمَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ دَانَتْ بِإِمَامٍ عَادِلٍ مِنِّي وَإِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ غَيْرَ بَرَّةٍ وَلَا تَقِيَّة»

وجاء في ذيل هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ثمّ قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم:

---

(١) فرائد السمطين: ١/٣٦؛ وفي بحار الأنوار: ٢٧/٥، حديث ١٠ بتفاوت طفيف.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥، ذيل الحديث ٤٦.

« يَا عَلِيُّ! أَنْتَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي، حَرْبُكَ حَرْبِي وَسِلْمُكَ سِلْمِي وَأَنْتَ أَبُو سِبْطَيَّ وَزَوْجُ ابْنَتِي وَمِنْ ذُرِّيَّتِكَ الْأَئِمَّةُ الْمُطَهَّرُونَ.

وَأَنَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْتَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، وَأَنَا وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، لَوْلَانَا لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا الْأَنْبِيَاءَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ »(١)

إذن، فأهلُ البيت عليهم السّلام هم مبدأ ومنتهىٰ هذا الوجود والخلقة، ولأجلهم كان الوجود، وأنَّ اللّه تعالىٰ قد بدء الوجود بهم، ولولاهم لم تكن الخلقة.

كما إنَّ ختم ومنتهىٰ العالم سيكون بهم عليهم السّلام. فكما إنَّ ختم النبوّات كان بنبوَّة رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم، فإنَّه سيكون ختم الولاية والوصاية بمولانا حضرة بقيَّة اللّه وليِّ العصر عجَّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف.

نعم، لا يمكن أن يخلو نظام الكون من حجَّة، وآخر الحُجج هو الإمام المهدي عليه السّلام.

ماذا بعد زمن المهدي ؟

وهنا يأتي هذا البحث، وهو ما يطرحه الكثيرون من التساؤل عمّا يكون بعد زمان حضرة ولي العصر عليه السّلام.

هل ستنقرض الدنيا بانتهاء أمد الإمام المهدي عليه السّلام أو يستمر عالم الدنيا من بعده ؟

---

(١) كفاية الأثر: ١٥٧-١٥٨؛ بحار الأنوار: ٣٤٩/٢٦، حديث ٢٣.

إنَّه يمكن تقسيم ما يتعلّق بالإمام المهدي عليه السّلام وحكومته إلىٰ ثلاثة أقسام:

١- مايكون قبل ظهوره وتشكيل حكومته من الحوادث المهمَّة، خاصَّة ما يمهّد للظهور، ويكون علامةً له.

٢- ما يتعلَّق بزمن ظهوره وحكومته الكريمة، وهي مسائل كثيرة، ومن ذلك ما يقع السؤال عنه عند أغلب الناس، من قبيل:

ما هو نوع حكومة الإمام المهدي عليه السّلام؟

ما هي الأسلحة التي يستعملها الإمام عليه السّلام للحفاظ علىٰ دولته والدفاع عنها؟

هل إنَّ للإمام عليه السّلام أعداء في ذلك الزمان؟ أم إنَّهم سيؤمنون به ويخضعون لحكومته؟

هل سيكون للإمام عليه السّلام نوّاب وعمّال وولاة في البلاد المختلفة؟

كيف ستدار أُمور المملكة الإسلاميَّة ماليّاً وإقتصاديّاً؟

ماذا سيحدث في العالم في زمان حكومته؟ وهل ستقع الحروب؟

أين سيكون مركز إمامة وحكومة الإمام المهدي عليه السّلام؟

٣- المسائل المرتبطة بما بعد زمان حضرة وليِّ العصر والزمان عجَّل اللّٰه تعالىٰ فرجه. وبعبارة أُخرىٰ، إذا ما ظهر الإمام عليه السّلام وأسَّس الحكومة الكريمة، وبطبيعة الحال فإنَّ عمره الشريف سينتهي ويرحل عن هذه الدنيا، فما الذي سيحدث بعد ذلك؟

فهذه مباحث وتساؤلات طرحت من قديم الزمان في الكتب، وقد وردت روايات في هذا المجال أيضاً.

وللإطّلاع أكثر على هذه المباحث يمكن الرجوع إلى كتاب "بحار الأنوار" من تأليف العلّامة المجلسي رحمه اللّه، وكتاب "الإيقاظ من الهجعة" تصنيف الشيخ الحرّ العاملي رحمه اللّه.

فهذان العلمان هما من كبار المحدّثين والفقهاء الشيعة، وقد أفردا عنواناً خاصّاً في كتبهما فيما يرتبط بمجريات الأُمور بعد حياة الإمام الحجَّة عجَّل اللّه تعالى فرجه الشريف.

ولمّا كان هذا الموضوع من القضايا المستقبليَّة الغائبة عنّا فعلاً، فلا يجوز التكلّم عنه بصيغة الحتم والجزم إلاّ بالدليل المفيد لذلك، فلابدَّ من التحقيق في الأخبار بصورةٍ كاملة.

فإنْ كان عمر الدنيا ينتهي بانتهاء زمن الإمام عليه السَّلام، وأنَّه تقوم القيامة بعد ذلك، فلا بحث ولا كلام.

وإنْ كان عمر الدنيا باقياً والتكليف مستمرٌّ، فلابدَّ من الحجَّة، فيقع الكلام في من هو الحجَّة في ذلك الزمان؟

إنَّ الأئمَّة الحجج بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله إثنا عشر، لا يزيدون ولا ينقصون، فهل يتولّون الإمامة مرّةً أخرى وتستتبُّ لهم الأمور وتخضع لهم الدنيا ويحكمون العالم؟ أو تكون الحكومة ووجوب الطّاعة بعد المهدي لغيرهم؟ فمن هو ذلك الغير؟ هل هو من أولاد المهديّ أو من غيرهم؟ وهل تعتبر فيه العصمة أوْ لا تعتبر وتجب طاعته مطلقاً مع عدم عصمته؟ كيف؟

إنَّ هذه قضايا غيبيَّة والإخبار عن الغيب شأن الإمام المعصوم عليه السّلام، فلابدّ من دليل قطعي. وهي قضايا عقائديَّة لا يجوز الأخذ فيها بالظنّ فضلاً عن غيره.

إذن، فإن الأولىٰ والأحوط هو التوقّف في المسألة حتّىٰ يأتي الدليل اليقينيّ الواجب الأخذ به والإعتقاد بمضمونه.

وعلىٰ كلّ حال، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام هم الأوّل لهذا العالم والآخر له.و اللّه العالم.

نكتة مهمّة

والمهمُّ في المقام، والذي له أثرٌ عمليٌّ علىٰ حياتنا، هو القسم الأوَّل، أي ما يرتبط بما قبل الظهور من أحداث واُمور في عالمنا هذا الذي نحيا فيه، ومعرفة وظائفنا وما يجب علينا فعله لنكون علىٰ إستعداد للظهور، ولنصرة الإمام عليه السّلام، فلابدَّ من مطالعة هذه الأبحاث ودراستها لما لها من الآثار العمليّة، وأمّا ما سيحصل بعد الظهور أو بعد رحيل الإمام عن عالم الدنيا، فلا نتصور له أثراً عمليّاً في هذا الوقت.

نعم، والأفضل أن نبحث في المطالب التي لها أثر عمليّ مباشر، للإستعداد لزمان الظهور، خاصّة بعد إمكان تحقُّق أوان الظهور في كلِّ يوم. ففي التوقيع الشريف الصادر عن الناحية المقدَّسة لإمام الزمان عليه السّلام إلىٰ الشيخ المفيد رحمه اللّه في أواخر شهر صفر سنة ٤١٠:

«... فإنَّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجّيه من عقابنا ندم علىٰ حوبة ...»[(١)]

---

(١) الإحتجاج: ٣٢٤/٢؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٥٣، حديث ٧.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ زماننا الحاضر، زمن الفتن الإختلاف والإضطراب، فلو لم يقم كلٌّ واحد منّا بتقوية مبانيه الإعتقاديَّة، فإنَّه سوف يواجه المشكلات والشبهات، فوسائل الإفساد والفساد قد تنوّعت وتعددت، وسبل الضلال والإضلال قد كثرت، ومع كلِّ ما دخل إلىٰ البيوت من وسائل إثارة الشبهات والمضلاَّت، علىٰ الإنسان أن يعمل بوظيفته ليمنع تأثير هذه الوسائل من التشكيك في معتقداته وإثارة الشبهات في فكره، فإنَّ زماننا زمن حسّاس، فإنَّ كلّ فرق الضلال والكفر في العالم قد إجتمعت ضدَّنا لإضعاف إعتقاداتنا وديننا وإيماننا، بترويجهم للأفكار الضالَّة المضلّلة والمنحرفة.

ومن هنا، فإنَّ وظيفتنا الأساسيَّة اليوم حسّاسة ودقيقة، بأن نصون أنفسنا بالدرجة الأولىٰ، ونسلّحها بالعقائد الراسخة، ونقوّي مبانينا الفكريَّة، ثمَّ نهتمّ بشبابنا ومن يهمّنا أمره من ذوينا ومتعلّقينا.

إنَّ من يهتمّ لأمر مدرسة إبنه فيحاول تسجيله في أرقىٰ المدارس لينال الدرجات العالية، ثمَّ يوفّر له الدفاتر والأقلام والكتب، ويسعىٰ لتهيئة المأكل والمشرب والمركب له لكي لا ينشغل عن الدراسة بشيء، عليه قبل ذلك أن يهتمَّ بعقائد هذا الولد ومبانيه الدينيَّة والأخلاقيَّة والإيمانيَّة في هذه البرهة الَحسّاسة من الزمن، حيث تكثر وسائل وسبل الإضلال والتشكيك والإنحراف.

نعم، علينا أوّلاً أن نهتمّ لهذه الأُمور لأنَّها حياتيَّة، وهي أهمّ الجهات الّتي لابدَّ من الإهتمام بها.

كان ذلك بيانٌ لهذا المقطع من الزيارة.

الولاية والوساطة في الفيض الإلهيّ

وهناك بيانٌ آخر، وهو بحاجة إلىٰ تأمّلٍ ودقّة أكثر.

إنَّ أهل البيت عليهم السّلام لهم مقام العصمة والوساطة في الفيض الإلهيّ، أي إنَّ كلّ ما يصل من ناحية اللّه تعالىٰ إلىٰ الخلائق، وكلُّ البركات والخيرات النازلة منه تعالىٰ إلىٰ عباده، إنّما تصلهم بواسطة مقام العصمة، والذي هو أحد شئون الأئمّة الأطهار عليهم السّلام ومنازلهم.

إنَّ الأئمّة عليهم السّلام هم واسطة الفيض من جهة الأحكام الدينيّة، العلوم الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، وسائر القضايا المعنويّة، وفي كلّ الأمور الماديّة والدنيويّة الأُخرىٰ.

وذلك: لاحتمال أنْ تكون هذه الجملة إشارةً إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ مٰا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنّٰاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاٰ مُمْسِكَ لَهٰا وَمٰا يُمْسِكْ فَلاٰ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾ (١)

فإنَّ الآية وإنْ كانت ظاهرة في أنَّ "الفتح" و"المسك" بيد اللّه، لكنّ الأدلّة دلّت علىٰ أنَّ ذلك بواسطة مقام العصمة.

إنَّ ما عندهم من المقامات والمنازل يفوق ما عند كلّ الأنبياء والرسل من المنازل والمقامات، وهذا المطلب ثابت في الروايات بشكل واضحٍ وصريح.

وكمثال علىٰ ذلك، فإنَّ اللّه تعالىٰ قد أعطىٰ نبيَّه سليمان بن داود عليه السّلام مقاماً جليلاً في هذا العالم، فمكّنه من تسخير الحيوانات والجنّ وحتّىٰ السحاب والرياح. يقول تعالىٰ في كتابه الكريم:

---

(١) سورة فاطر (٣٥): الآية ٢.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالاَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۞ وَحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُون ﴾ (١).

لكنّ الشيخ الصدوق عليه الرّحمة روىٰ في علل الشرائع عن عليّ بن يقطين عن الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، قال:

« قد -والله- أُوتينا ما أُوتي سليمان وما لم يؤت سليمان وما لم يؤت أحدٌ من الأنبياء الماضين » (٢)

إذن، فكما حصل لسليمان عليه السّلام هذا المقام بصريح القرآن الكريم، كذلك هو حاصل لرسول الله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، بل وعندهم أكثر من ذلك، كما دلَّت عليه الروايات العديدة.

وأخرج الكليني في الكافي، بإسناده عن موسىٰ بن أشيم عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السّلام، أنّه قال له في حديثٍ:

« يَا ابْنَ أَشْيَمَ، إِنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ فَوَّضَ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَقَالَ: ﴿ هٰذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ (٣) وَفَوَّضَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فَقَالَ: ﴿ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٤) فَمَا فَوَّضَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا » (٥)

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآيات ١٥-١٧.

(٢) علل الشرائع: ١/٧٧، باب ٦٢، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٦/١٩٥، حديث ١.

(٣) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

(٤) سورة الحشر (٥٩): الآية ٧.

(٥) الكافي: ١/٢٢٦، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٤٧/٥٠، حديث ٨٢.

فصريح الآية المذكورة أن اللّه تعالىٰ قد أعطىٰ سليمان عليه السّلام أنْ يعطي من يشاء ما يشاء، ويمنع ما يشاء عمّن يشاء، فكان الإعطاء والإمساك للأشياء مفوّضاً إليه وهو مخيَّر فيه.

فدلّت الرواية علىٰ ثبوت هذه المنزلة لرسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله، فله أن يعطي وله أن يمسك، وأنّ جميع ما عند الناس فهو لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله. فما آتاهم وجب عليهم أخذهُ وما نهاهُم عنه وجب عليهم الإنتهاء عنه، فله أن يأمر وله أن ينهىٰ، فهو بالخيار في التصرُّف في جميع الشؤون، وعلىٰ الناس الإطاعة والقبول وإمتثال ما يطلب منهم، والرضا بما يمنح ويمنع بلا إعتراض منهم. وهذه هي الولاية العظمىٰ، الولاية التكوينيّة من جهة، والتشريعيّة من جهة أُخرىٰ، يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم ﴾ (١).

أي إنّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أولىٰ بالتصرُّف في كلِّ شؤون الناس حتّىٰ في أنفسهم وأموالهم.

وهذه المنزلة ثابتة من بعده لأهل بيته، ومن ثمَّ يقول الإمام الصادق عليه السّلام بأنَّ اللّه تعالىٰ قد أعطىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآلهما أعطاه لسليمان عليه السّلام، وإنَّ ما وصل إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد وصل إلىٰ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وعن زيد الشحّام عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام في تفسير قوله تعالىٰ:

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٦.

﴿ هٰذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ [١]؛

قال عليه السَّلام:

«أَعْطَى سُلَيْمَانَ مُلْكاً عَظِيماً، ثُمَّ جَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فَكَانَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَا شَاءَ مَنْ شَاءَ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَعْطَي سُلَيْمَانَ...» [٢]

نعم، إنَّ اللّه تعالىٰ قد أعطىٰ سليمان عليه السّلام ملكاً عظيماً، كما قاله عزَّوجلّ في كتابه:

﴿ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيما ﴾ [٣].

وقد فسَّرت الروايات هذا الملك العظيم بالإطاعة المطلقة، كما سنبيِّن ما هو المراد من ذلك في شرحنا لبعض فقرات الزيارة الجامعة.

وظاهر "لَهُ" في الرواية الآنفة هو إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كان مأذوناً من قبل اللّه تعالىٰ في أن يعطي لمن يشاء وكيف يشاء بمقدار لياقة الأشخاص وإستعداداتهم، مالاً أو علماً أو أيَّ شيءٍ آخر، فكما إنَّ اللّه تعالىٰ قد أذن لنبيّه الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بالتصرُّف بكلِّ ما في الكون، كذلك أذن له في أن يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ما يشاء ومتىٰ يشاء.

ومن هنا، فإنَّ الإمام عليه السَّلام كان قد لا يجيب عن سؤال بعض الناس، فكان إذا طالبه السائل بالجواب، ذكّره بقوله تعالىٰ:

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

(٢) الكافي: ١/٢٦٨، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ١٧/٧، حديث ٨.

(٣) سورة النساء (٤): الآية ٥٤.

﴿ هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰاب ﴾[١].

ومن الأخبار في ذلك ما ورد عن زرارة قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السّلام: قول اللّه تبارك وتعالىٰ: ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لٰا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] من المعنون بذلك؟

قال: نحن.

قال: قلت: فأنتم المسئولون؟

قال: نعم.

قال: قلت: ونحن السائلون؟

قال: نعم.

قلت: فعلينا أن نسئلكم؟

قال: نعم.

قلت: وعليكم أن تجيبونا؟

قال: لا، ذاك إلينا إنْ شئنا فعلنا وإنْ شئنا لم نفعل.

ثمَّ قال:

﴿ هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰاب ﴾[٣].»[٤]

وتلخّص:

دلالة الجملة من الزيارة علىٰ أنَّ النبيّ وآله الأطهار عليهم الصَّلاة والسّلام هم العلّة للخلق وأنَّهم الأوّل في الخلقة وبهم ختم العالم.

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

(٢) سورة النحل (١٦): الآية ٤٣، سورة الأنبياء (٢١): الآية ٧.

(٣) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

(٤) بصائر الدرجات: ٦٢، حديث ٢٤؛ بحار الأنوار: ٢٣/١٧٤، حديث ٣.

ودلالتها أيضاً علىٰ أنَّ اللّه عزَّوجلّ فوّض أمر الخلق إليهم، فكانوا الواسطة في جميع الفيوضات، فهم يعطون ويمنعون كما يروون ويشاؤون، ونسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا مؤهّلين لبركاتهم وفيوضاتهم فإنّه إذا حُرمنا منها كان لنقصٍ فينا دونهم.

وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْث ؛

نزول المطر

"الغيث" هو المطر، قال تعالىٰ:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُه﴾ (١).

وهذا أيضاً أحد موارد وسطيّة الأئمّة عليهم السّلام في الفيض الإلهي، وإفراد الغيث بالذكر من بين سائر النعم والفيوضات للإشارة إلىٰ أن وجود الإمام عليه السّلام قوام الحياة كما أنَّ الماء مادّة حياة كلِّ الموجودات الحيّة، كما يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَي﴾ (٢).

إذن، فهذه العبارة في الزيارة، إشارة إلىٰ أنَّ وجود الموجودات وبقاءها مرهون ببركة وجود حضرات الأئمّة عليهم السّلام، فلو خليت الأرض من الإمام عليه السّلام لم يبق من الحياة عليها عينٌ ولا أثر.

هذا بالنظر إلىٰ الحياة الماديّة للبشريّة وغيرها.

---

(١) سورة الحديد (٥٧): الآية ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٣٠.

وأمّا بالنظر إلىٰ الحياة المعنويّة الخاصّة بالإنسان، وهي الحياة الحقيقيّة -كما في غير واحدٍ من آي الكتاب الحكيم- فإناطتها بوجود الإمام من الأمور القطعيّة القائم عليها الدليل من الكتاب والسنّة والعقل السّليم.

وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلّٰا بِإِذْنِه ؛

وهذه الجملة إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في القرآن المجيد:

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِلاّٰ بِإِذْنِه ﴾[١].

و"الباء" سببيّة، أي: إنَّ اللّه يمسك السّماء بسبب النبيّ وآله وبركة وجودهم ويمنعها من الوقوع علىٰ الأرض.

وسواءٌ أُريد من مسك السّماء ما هو ظاهر اللّفظ أو كان كنايةً عن بقاء العالم واستمراره، فإنَّ النتيجة واحدة، والمعنىٰ المقصود ما ورد في الحديث المتّفق عليه، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«النُّجوم أمنة لأهل السماء وأهل بيتي أمنة لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي أتىٰ أهل الأرض ما يوعدون»[٢]

وعن الإمام السجّاد عليه السّلام قال:

«ونحن أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء. ونحن الذين بنا يمسك اللّه السماء أن تقع علىٰ الأرض إلاّ بإذنه»[٣]

---

(١) سورة الحج (٢٢): الاية ٦٥.

(٢) راجع كتاب نفحات الأزهار: ١٢٩/٣.

(٣) كمال الدّين: ٢٠٧/١.

ولكن، ما كلٌ ذلك «إلاّ بإذنه».

فهذه الجملة أيضاً، إشارة إلىٰ مقام العصمة، الولاية، والوسطيَّة في الفيض الإلهيّ.

وَ بِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَم ؛

إزاحة الهمّ

والإنسان في هذا العالم بين خوفٍ وحزنٍ دائمين، أمّا الخوف، فلفقده الشيء أو فواته منه، وأمّا الحزن، فلاهتمامه بالحصول علىٰ الشيء بعد الشيء...

ومن هنا فسّروا الهمّ بالحزن، ومنهم من خصّه بما يذيب الإنسان:

قال الراغب الإصفهاني:

«الهمّ: الحزن الذي يذيب الإنسان...»[١]

وكلمة "يُنَفِّس" بمعنىٰ حصول الفَرَج.

قال الراغب:

«وقوله عليه الصلاة والسّلام «لا تسبّوا الريح فإنّها من نفس الرّحمن» أي ممّا يفرّج بها الكرب، يقال: اللهمّ نفّس عنّي، أي فرِّج عنّي. وتنفّست الريح إذا هبّت طيبة»[٢]

ثمّ إنّ "الباء" في "بكم" سببيَّة، والفعل "ينفّس" مضارعٌ وهو ظاهر في الإستمرار.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٥.

(٢) نفس المصدر: ٥٠١.

فأهل البيت عليهم السّلام هم السّبب والوسيلة لفرج الهموم في جميع الأوقات وبالنسبة إلىٰ كلّ المهمّات.

وَيَكْشِفُ الضُّر:

قد وردت مادَّة "الكشف" متعلِّقة بـ"الضرّ" في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء﴾ (١).

إنَّ هذا الخطاب للّه، والهمزة للنداء أو إستفهاميَّة، واللّه عزَّوجلّ هو المدعوّ لكشف الضرّ كما قال:

﴿وَإِذٰا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعٰانٰا﴾ (٢).

و"الضرّ" ضدّ النفع، قال الخليل:

«فإذا جمعت بين الضرّ والنفع فتحتَ الضاد وإذا أفردت الضرّ ضممت الضّاد، إذا لم تجعله مصدراً...» (٣)

فصحيح أنَّ المجيب للمضطرّ والكاشف للسّوء هو اللّه سبحانه، لكنّ النبيّ وآله الأطهار عليهم السَّلام هم الواسطة والسّبب. فإنَّ هذه الآية الكريمة، تُقرأ في المهمّات الصعاب ومشكلات الحوائج، فيتوسّل الناس بالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام إلىٰ اللّه تعالىٰ لكشف الضرِّ، فيفرّج الباري عزَّوجلّ عنهم ويكشف الضرَّ

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ٦٢.

(٢) سورة يونس (١٠): الآية ١٢.

(٣) كتاب العين: ٦/٧.

ببركة الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، ويقضي حوائجهم، لاسيّما إذا علمنا بأنّ "المضطرّ" من ألقاب الإمام المهدي المنتظر[١]، فذكرنا الآية المباركة راجين إجابة دعائه في تعجيل فرجه، فحينئذٍ سيدعو لنا ويطلب من اللّه حوائجنا، ودعاؤه مستجابٌ بلا ريب.

ثمّ إنّ كشف الأئمّة الضرّ عن المؤمنين، يكون تارةً بنحو الدفع، كأنْ يكون من المقرَّر في قضاء اللّه أن يصاب المجتمع ببلاء أو وباء عام، فيدفع اللّه ذلك البلاء عن الناس ويكشفه قبل وقوعه ببركة الأئمّة عليهم السّلام.

ويقول تعالىٰ في القرآن الكريم مخاطباً سيّد الخلائق الحبيب المصطفىٰ صلّىٰ اللّه عليه وآله:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِم ﴾[٢].

فببركة وجود النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يدفع اللّه تعالىٰ العذاب عن اُمّته، ولم يُبلها بما إبتلىٰ به الأمم السابقة، فالنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسيلة لدفع البلاء والعذاب.

وقد يكون بنحو الرفع، كأنْ يكون البلاء قد وقع وابتلي به الناس، وعليهم أن يلجأوا إلىٰ أهل البيت ويتوسّلوا بهم لرفع تلك الحادثة والبلاء أو الوباء ببركتهم.

نعم، فببركة الأئمّة الأطهار عليهم السّلام يُدفع الكثير من البلايا والحوادث والمصائب، ولكنّنا لا نلتفت إلىٰ ذلك، بل ليس عندنا خبرها.

وإذا وقعت تلك الحوادث، فإنّ الأئمّة الأطهار عليهم السّلام هم باب الفَرَج

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٤ / ٢٢٥.

(٢) سورة الأنفال (٨): الآية ٣٣.

وكشف البلايا، ورفعها يكون ببركة وجودهم عليهم السّلام.

والبلايا والحوادث علىٰ قسمين:

البلايا الخاصَّة والشخصيَّة، بأن يبتلىٰ الشخص بمرض أو مشكلةٍ أو حادثة خاصَّة.

والبلايا الجماعيَّة، كإبتلاء كلّ المجتمع ببليَّة عامَّة كالأوبئة وما شاكل ذلك.

وفي القسم الثاني، علىٰ أفراد المجتمع أن يذكِّر أحدُهم الآخر ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فإنَّ ذلك مؤثّر في رفع البلاء، وكما جاء في القرآن المجيد:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾ [١].

فإذا ما إستغفر الناس وندموا علىٰ الذنوب والمعاصي التي إرتكبوها، وتابوا منها إليه عزَّوجلّ، فإنَّ اللّه تعالىٰ سيرفع عنهم البلاء الخاصّ والعام، لأنَّ الكثير من البليّات والأمراض والبلاء إنَّما يكون بسبب إرتكاب المعاصي والذنوب.

وقد وردت في هذا المعنىٰ روايات كثيرة عن الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، بل في بعضها تصريح بنوع المرض الذي يظهر علىٰ أثر نوع معيّن من الذنوب والمعاصي، وهذا مقرَّر بحسب التقديرات الإلهيَّة للإرتباط بين الأشياء في هذا الكون.

وما نراه اليوم من الأمراض الجديدة الصعبة العلاج، والذي لم يكن ليسمع به آباؤنا وما لم نسمع بوقوعه وإنتشاره في سابق الزمن، ما هو إلاّ أثرٌ للذنوب والمعاصي المستحدثة التي لم يسبق لها مثيل في الأزمنة الماضية.

---

(١) سورة الأنفال (٨): الآية ٣٣.

ففي الخبر عن عباس بن هلال الشامي، غلام الإمام الكاظم عليه السّلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السّلام يقول:

«كُلَّمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُون»[١]

وعليه، فإنَّ وجود الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، دافعٌ للبلايا كما إنَّه رافع أيضاً.

هذا، وقد لا ينفع التوسّل ولا يستجيب الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام لتوسلات بعض الناس، فلا يشفعون ولا يتوسطون لهم عند اللّه تعالىٰ لدفع أو رفع البلاء، وذلك بسبب كثرة الذنوب والمعاصي التي يرتكبها هؤلاء، وليس من وظيفتهم عليهم السّلام الشفاعة هنا، وعلىٰ العاصين أن يتحمّلوا وزر ذنوبهم ومعاصيهم في الدنيا، وآثارها الوضعيَّة، وهنا يأتي دور الإستغفار والتوبة من الذنوب، وكذلك دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو دور أساسيٌّ ومهمّ.

وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُه؛

علم الأئمَّة بما تنزل به الملائكة

وهذه الجملة الوجيزة تعظيم لأهل البيت عليهم السّلام وتنويه بمقامهم العلميّ...

---

(١) الكافي: ٢/٢٧٥، حديث ٢٩؛ بحار الأنوار: ٧٠/٣٤٣، حديث ٢٦.

تقول: عندكم ما نزلت به رسله، هذا شأن جليل لا يدانيه شأن، فإنَّ كلّ ما نزلت به رسل اللّه علىٰ الأنبياء والمرسلين موجود عند الأئـمَّة الطّـاهرين وهـم يعلمون به.

وقد إختلفت نسخ الزيارة، ففي "عيون أخبار الرضا عليه السّـلام" وردت الجملة بلفظ: «وعندكم ما ينزل به رُسُلُه»(١)

أمّا في كتاب "المزار" وغيره فقد وردت:

«و عندكم ما نزلت به رسله»(٢)

والظاهر -بقرينة كلمة "نزلت" - أنَّ المراد من "الرُّسل" هنا هم المـلائكة المقرَّبون مثل جبرائيل و... حيث كانوا ينزلون بالرسالات الإلهـيَّة عـلىٰ الأنـبياء الماضين وعلىٰ رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم، كما في غير واحدٍ من الآيات كقوله تعالىٰ:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣) وغيره.

وعليه، فيكون المراد من "ملائكته" الملائكة الأدون في المرتبة من الرسل، وهم الملائكة المأمورون بتنفيذ بعض الأوامر الإلهيَّة، فـينزلون إلىٰ الأرض لأداء تلك المهامّ، ولعلّ في التعبير عن هؤلاء بـ"الهبوط" إشارةً إلىٰ ذلك، بناءً عـلىٰ الفرق بينه وبين "النزول".

إذن، فالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام عندهم العلم بكلٍّ ما نزل علىٰ الأنبياء بما

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٣٠٨/١.

(٢) المزار: ٥٣٢؛ المحتضر: ٢١٩؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٩٩.

(٣) سورة العنكبوت (٢٩): الآية ٣١.

فيهم النبي الأكرم محمَّد بن عبد اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وبكلٍّ الأمور التي أرسلها اللّه تعالىٰ بواسطة الملائكة إلىٰ الأرض.

وقد نزل من قبله تعالىٰ كتب علىٰ الأنبياء السابقين، كما نزل القرآن الكريم علىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف و... بواسطة الملائكة المقرَّبين.

كما نزلت الملائكة بالمعارف، الأسرار، الحقائق وغير ذلك، من العالم العلويّ، وكلُّ ذلك مخزون محفوظ عند الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، والأفضل من كلِّ ذلك، هو القرآن المجيد، فإنَّ كلَّ أسراره وحقائقه ورموزه هي عند الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وهذا أيضاً من مقامات الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، والتي لا يشاركهم فيها أحدٌ من العالمين إلاّ جدّهم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولا عجب في ذلك ولا غرابة،لأنَّ كلَّ ما في الكتب السماويَّة السابقة هو موجود في القرآن الكريم، ولا يقدر أحدٌ أن يدَّعي بأنَّ حقائق القرآن الكريم غير موجودة عند أهل البيت عليهم السّلام. كما ليس لأحدٍ أن ينكر وجود كلِّ الحقائق في القرآن الكريم، فإنَّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه:

﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْء ﴾ [1].

فمن جهة، فإنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول: «عليٌّ مع القرآن القرآن مع عليّ، لا يفترقان» [2]

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٨٩.

(٢) مجمع الزوائد: ٩/١٣٤؛ المعجم الصغير: ١/٢٥٥؛ الإكمال في أسماء الرجال: ١٥٦.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو القرآن، أي، إنَّ كلَّ أسرار وحقائق القرآن الكريم، موجودة عند أمير المؤمنين عليه السّلام.

وفي هذا المجال حديث لطيف جدّاً نقل في كتبنا وكتب أهل السنَّة، عن أمير المؤمنين عليه السّلام، قال:

«علّمني رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ألفَ باب من العلم يفتح لي من كلِّ باب ألف باب»(١)

وفي رواية أُخرىٰ: إنَّه عليه السّلام قال علىٰ منبر مسجد الكوفة:

«سلوني قبل أن تفقدوني، فواللّه إنّي لأعلم بطرق السماء من طرق الأرض»(٢)

وهذا المطلب صادقٌ أيضاً في حقِّ سائر الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، فإنَّ لهم نفس هذا المقام.

أضف إلىٰ ذلك، إنَّه قد ثبت في محلّه أنَّ جبرئيل والملائكة المقرَّبين مطّلعون علىٰ الحقائق، أفليس الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هم أفضل من جبرئيل والملائكة المقرَّبين؟

فقد ورد في الروايات الشيعيَّة والسنيَّة بأنَّ رسول اللّه والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هم أساتذة الملائكة.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٣٥؛ بحار الأنوار: ١٨٣/٦٩؛ نظم درر السمطين: ١١٣؛ فتح الملك العلي: ٤٩؛ تفسير الرازي: ٢٣/٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٥/٤٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢٤/٨؛ كنز العمّال: ١١٤/١٣، حديث ٣٦٣٧٢؛ ينابيع المودَّة: ٢٢٢/١، حديث ٤٣.

(٢) وهذا الكلام منه عليه السّلام ورد بصياغات متعدّدة في:
نهج البلاغة: ١٣٠/٢، خطبة ١٨٩؛ مختصر بصائر الدرجات: ١٩٨؛ مناقب آل أبي طالب: ٣١٨/١؛ الفضائل: ١٦٤؛ بحار الأنوار: ١٢٨/١٠، حديث ٧.

ففي حديث عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«... فسبَّحنا فسبَّحت الملائكةُ بتسبيحنا....»[١]

وفي حديث عبد السّلام بن صالح الهروي، عن الإمام الرضا عليه السّلام عن آبائه الكرام عن جدِّه أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً أَفْضَلَ مِنِّي وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي.

قَالَ عَلِيٌّ عليه السَّلام: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ جَبْرَئِيلُ؟

فَقَالَ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: يَا عَلِيُّ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ! وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ؛ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخُدَّامُنَا وَخُدَّامُ مُحِبِّينَا.

يَا عَلِيُّ! الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِوَلَايَتِنَا.

يَا عَلِيُّ! لَوْ لَا نَحْنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَلَا الْحَوَّاءَ، وَلَا الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ، وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ، فَكَيْفَ لَا نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ سَبَقْنَاهُمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّنَا عزَّوجلّ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَقْدِيسِهِ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَرْوَاحُنَا، فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُوراً وَاحِداً اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا، فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّا خَلْقٌ مَخْلُوقُونَ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَت الملائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا وَنَزَّهَتهُ عَنْ صِفَاتِنَا...»[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ٨٨/٢٤ و ٨٩، ٦/٢٥ و ٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٢٣٧/٢، حديث ٢٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٨، حديث ٥٦.

وقد تقدَّم منّا ذكر بعض الروايات التي تدلُّ على أنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هم العلَّة الغائيَّة لخلق الدنيا بما فيها الملائكة، فأصل خلقة الملائكة إنَّما كان ببركة أهل البيت عليهم السّلام.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه الكريم:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[١].

وقد وردت روايات عديدة عن الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام في أنَّ المقصود من "الإمام المبين" هو الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

فعن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ قَامَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِمَا، فَقَالا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ التَّوْرَاةُ؟

قَالَ: لَا.

قَالا: فَهُوَ الْإِنْجِيلُ؟

قَالَ: لَا.

قَالا: فَهُوَ الْقُرْآنُ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَأَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السَّلام فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: هُوَ هَذَا، إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَىٰ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ.»[٢]

---

(١) سورة يس (٣٦): الآية ١٢.

(٢) معاني الأخبار: ٩٥، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٥/٤٢٧-٤٢٨، حديث ٢.

إذن، فعلم كلِّ شيءٍ هو عند الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

كما إنَّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه المجيد:

﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ ﴾ (١).

وقد جاءت روايات معتبرة في ذيل هذه الآية الكريمة تدلُّ علىٰ إنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام لهم إرتباط مباشر باللوح المحفوظ.

وكنموذج لهذه الروايات، حديث طويل نقله العلّامة المجلسي في بحار الأنوار، جاء فيه:

« فَضَرَبَ عليه السّلام بِيَدِهِ عَلَىٰ أُخْرَىٰ وَقَالَ: صَارَ مُحَمَّدٌ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله صَاحِبَ الْجَمْعِ وَصِرْتُ أَنَا صَاحِبَ النَّشْرِ، وَصَارَ مُحَمَّدٌ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله صَاحِبَ الْجَنَّةِ وَصِرْتُ أَنَا صَاحِبَ النَّارِ، أَقُولُ لَهَا: خُذِي هَذَا وَذَرِي هَذَا.

وَ صَارَ مُحَمَّدٌ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله صَاحِبَ الرَّجْفَةِ، وَصِرْتُ أَنَا صَاحِبَ الْهَدَّةِ، وَأَنَا صَاحِبُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَلْهَمَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عِلْمَ مَا فِيهِ... » (٢)

كان هذا نبذة ممّا ورد في علم الإمام عليه السّلام، وهو أحد مقامات ومنازل الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

---

(١) سورة البروج (٨٥): الآية ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦ / ٤.

وَإِلَىٰ جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِين ؛

أبناء رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه و آله وسلّم

فأنتم أبناء من بعث اللّه إليه الروح الأمين.

قيل: إنَّ "الروح الأمين" من أسماء المَلَك العظيم جبرائيل، وقد ورد في روايات كثيرة وصف جبرائيل بالروح الأمين.(١)

وهذا المقطع من الزيارة إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِين ﴾(٢).

فالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هم أبناء هذه الشخصيَّة العظيمة.

تُرىٰ، أبناء من هم أُولئك الذين وقفوا بوجه الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام وإعتبروا أنفسهم قرناءَ لهم أو أفضل منهم؟!

فبعضهم لا يُعرف له أصلٌ ونسب أبداً. وبعضهم يُعزىٰ إلىٰ غير أبيه، ولسنا الآن بصدد التحقيق في هذا الباب.

نعم، فإحدىٰ خصائص الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هو أنَّهم أبناء رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وذريَّته...

ثمّ إنه إلىٰ جدّهم -لا إلىٰ جدّ غيرهم من الناس المعروفة أنسابهم وأجدادهم- بعث الروح الأمين، وهذا وجه تقدّم الجار والمجرور وإفادته

---

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق: ٣٤٤، حديث ٤١٥؛ أمالي الشيخ الطوسي: ٥٨٩، حديث ١٢٢٠؛ بحار الأنوار: ٢٩٦/٧٠، حديث ٣.

(٢) سورة الشعراء (٢٦): الآية ١٩٤.

للحصر، وإنَّ هذا المقام ينحصر بالأئمّة الأطهار عليهم السّلام. أي إنَّ أرباب المذاهب الأُخرىٰ وأئمّتهم لا يتمتّعون بهذه المنزلة والخصوصيّة.

كما إنَّ نزول جبرئيل علىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وهو نزول الوحي عليه، وإنْ انقطع برحيله صلّىٰ اللّه عليه وآله من هذه الدّنيا، لكنّه كان ينزل من بعده علىٰ بضعته الطّاهرة عليها السّلام فيحدّثها، كما أنّه ينزل في كلِّ ليلةِ قدر مع الملائكة علىٰ إمام العصر والزمان عليه السّلام.

كما أنَّ أئمّتنا الأطهار عليهم السّلام هم محدَّثون، كما في الروايات[1]، فالملائكة تنزل عليهم وتحدِّثهم ويحدِّثونها.

إنَّ مقام البعثة ونزول الوحي بالمعنىٰ الأخصّ مختصٌّ برسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولكنَّ نزول الملائكة، بعد النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، علىٰ الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، مما لا يمكن إنكاره، وهو مقام من مقاماتهم عليهم السّلام أيضاً.

قالوا: إذا وصل الزائر إلىٰ هذه الفقرة وكان قاصداً كلّ الأئمّة أو زيارة واحدٍ منهم غير الأمير عليه السّلام فإنّه يقول: «وإلىٰ جدِّكم»، وإنْ كان قاصداً زيارة أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «وإلىٰ أخيك بعث الروح الأمين» بدلاً عن «وإلىٰ جدّكم».

وهذا صحيح، لأنَّ سائر الأئمّة عليهم السّلام هم أبناء رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فهو أخوه.

---

(١) الكافي: ١/ ٢٧٠.

إختصاص الزيارة بالأئمَّة

هـــل الزيـــارة الجـامعة مـختصَّة بـالأئمَّة الأطـهار عـليهم السّـلام، أم يصحّ زيارة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والصدِّيقة الطاهرة عـليها السّـلام، بها أيضاً؟

وهل إنَّ هذه الزيارة خاصَّة بالأئمَّة الأحد عشر عـليهم السّـلام وإنَّ الإمـام المهدي عليه السّلام له زيارة خاصَّة به، أم يمكن زيارته بها أيضاً؟

أمّا بالنسبة إلىٰ النبيّ والزهراء الطّاهرة، فـإنَّ المـانع جـملة "وإلىٰ جـدّكـم بـعث الرّوح الأمـين". وأمّـا بـالنسبة إلىٰ الإمـام المـهدي المـنتظر عـجّل اللّـه فرجه، فالمانع جملة "لائذ عائذ بقبوركم" لأنّه عليه السَّلام حيّ مـوجود نـنتظر ظهوره وأيّامه لتكتحل أبصارنا برؤية طلعته الرّشيدة وغرَّته الحميدة ونحيا بكنف أيّامه. فنقول:

إنَّه وإنْ كان أهل البيت المعصومون كلّهم مشتركين في الفضائل والمناقب والمنازل والشئون المذكورة في الزيـارة الجـامعة، لكـنَّ خـطاب النبيّ بـ"وإلىٰ جدّكم" وكذا الزهراء عليها السّلام غير صحيح، كما لا يصحُّ خطاب الإمام الحجَّة بـ"لائذٌ عائذ بقبوركم"، فلا تصحّ زيارة النبيّ أو الزهراء أو الحجَّة منفرداً بـهذه الزيارة. نعم، للزائر أن يخاطب الجميع في مقام زيارة أحدهم. من باب التغليب. واللّه العالم.

آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِين ؛

العنايات الخاصّة

ولتوضيح هذه الجملة، ينبغي الإشارة إلىٰ بعض الأمور:

الأمر الأوّل:

إنّ كلّ ما عند الأئمّة عليهم السّلام فهو من عند اللّه تعالىٰ.

وقد أكّدنا مراراً علىٰ هذه القضيّة، فليس ما عندهم من مقامات ومراتب إلاّ وهو عطاءٌ إلهيٌّ إستحقّوه أو تفضل عليهم بحُسن عبوديّتهم للّه.

ومن هنا، كان قوله تعالىٰ:

﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُون ... ﴾ [1].

من أفضل وأحسن ما يوصف به الأئمّة الأطهار عليهم الصّلاة والسّلام.

نعم، فالأئمّة الأطهار عبادٌ مخلوقون للّه تعالىٰ ، قد عبدوا اللّه حقّ عبادته، ومن ثمّ صاروا مكرمين عند اللّه عزّوجلّ، فحصلوا علىٰ مقام القرب الإلهيّ، ذلك القرب الذي لم ينله أحدٌ من الأوّلين والآخرين سواهم، فكانوا المقدّمين علىٰ كلّ المقرّبين.

ومن هنا فإنّنا نقرأ في الزيارة الجامعة:

---

(١) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٢٦.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْـمُكَرَّمِينَ وَأَعْـلَىٰ مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ ؛

والجدير بالذكر ورود نفس هذا المعنىٰ في زيارة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فقد جاء فيها:

«فبلغ اللّه بك أشرف محلِّ المكرّمين وأعلىٰ منازل المقرَّبين وأرفع درجات المرسلين»[١]

نعم، فاللّه تعالىٰ قد رفع مقام الأئمّة عليهم السّلام إلىٰ هذه المرتبة، فهم عليهم السّلام عبادٌ، لكنْ عبادٌ مكرمون عند اللّه بهذه المثابة.

نعم، قد آتاهم اللّه ببركة عبوديّتهم وطاعتهم له، ما لم يؤت أحداً من العالمين، فكانوا كما تقدّم في الزيارة:

حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِق ...

فلم يبقَ أحدٌ من العالمين إلاّ عرّفهم شأنهم كما تقدّم في الزيارة:

---

(١) المزار للشهيد الأوّل: ١٣؛ إقبال الأعمال: ٣/ ١٢٥؛ بحار الأنوار: ٩٧/ ١٨٤.

إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَه؛

هذا، وليس لأحد أن يعتبر ذلك غلوّاً، لأنَّ هؤلاء الأطهار عليهم السّلام عبادٌ للّه، أطاعوه وعبدوه فوصلوا إلىٰ هذه المنازل وحصلوا علىٰ هذه المقامات، وقد عرَّف الأئمّة عليهم السّلام أنفسهم بمثل هذه الخصوصيّات، كما جاء في الروايات.

ففي رواية عن الأصبغ بن نباتة، قال:

«كُنَّا نَمْشِي خَلْفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السّلام وَمَعَنَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَدْ قَتَلْتَ الرِّجَالَ وَأَيْتَمْتَ الْأَوْلَادَ وَفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عليه السّلام وَقَالَ: اخْسَأْ.

فَإِذَا هُوَ كَلْبٌ أَسْوَدُ، فَجَعَلَ يَلُوذُ بِهِ وَيُبَصْبِصُ، فوافاهُ برحمة حتّىٰ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ كَمَا كَانَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ تَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا وَيُنَاوِيكَ مُعَاوِيَةُ؟

فَقَالَ: نَحْنُ عِبَادٌ اللّه مُكْرَمُونَ لَا نَسْبِقُهُ بِالْقَوْلِ وَنَحْنُ بِأَمْرِهِ عَامِلُون»(١)

وفي رواية أُخرىٰ عن صالح بن سهل، قال:

---

(١) الخرائج: ٢١٩/١، حديث ٦٣؛ بحار الأنوار: ١٩٩/٤١، حديث ١٢؛ تفسير نور الثقلين: ٤٢٢/٣، حديث ٤٤.

«كُنْتُ أَقُولُ فِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَدَخَلْتُ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: يَا صَالِحُ! إِنَّا وَاللَّهِ عَبِيدٌ مَخْلُوقُونَ، لَنَا رَبٌّ نَعْبُدُهُ إِنْ لَمْ نَعْبُدْهُ عَذَّبَنَا»(١)

الأمر الثاني:

إنَّ المقامات العالية والمنازل الرفيعة التي أعطاها اللّه تعالىٰ للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هي مختصّة بهم دون من سواهُم.

وهذا صريح العبارة:

«ما لم يؤت أحداً من العالمين»

فهي مرتبةٌ لم يؤْتَها أحدٌ غيرهم. وهذا لا ينافي أنْ يدانيهم أو يشاركهم بعض الأنبياء والمرسلين في بعض المراتب، كما لا يخفىٰ.

الأمر الثالث:

في كلمة "العالمين"، فإنَّها ظاهرة في أنَّ مرتبة كلِّ المقرَّبين من الأنبياء والمرسلين والملائكة ومن دونهم هي أقلّ من مرتبة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام. لأنَّ "العالمين" جمعٌ يعمّ كلّ العوالم، كما لا يخفىٰ.

ولكن، يجب أن لا نغفل بأنَّ لرسول اللّه محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مقاماً لا يدانيه مقام، إلىٰ درجة أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام، ومع كلِّ ما له من منازل ومقامات، يقول في حقِّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

---

(١) بحار الأنوار: ٣٠٣/٢٥، حديث ٦٩، نقلاً عن رجال الكشّي: ٢١٨، وجاء في "مناقب آل أبي طالب: ٣٤٧/٢: «قال صالح بن سهل: كنت أقول في الصادق عليه السّلام ما تقول الغلاة، فنظر إليَّ وقال: ويحك يا صالح!...»

«أنا عبدٌ من عبيد محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله،»

قال أبو عبد اللّه الصادق عليه السّلام:

«جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَتَىٰ كَانَ رَبُّكَ؟

فَقَالَ لَهُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَمَتَىٰ لَمْ يَكُنْ حَتَّىٰ يُقَالَ: مَتَىٰ كَانَ؟! كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَيَكُونُ بَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ، وَلَا غَايَة وَلَا مُنْتَهَىٰ لِغَايَتِهِ، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عَنْهُ فَهُوَ مُنْتَهَىٰ كُلِّ غَايَةٍ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَنَبِيٌّ أَنْتَ؟

فَقَالَ: وَيْلَكَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.»(١)

وعليه، فلا يقولنَّ أحدٌ بأنَّ الشيعة يفضّلون أئمّتهم علىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فإنَّ هذه فرية قد تثار أحياناً من قِبَل أعداء أهل البيت وشيعتهم للنيل منهم والطعن فيهم.

بل لقد ذكرنا فيما سبق جملةً من الروايات في أنّ كلَّ ما وصل إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وغيره من الأنبياء الماضين، فقد وصل إلىٰ أهل البيت عليهم السّلام من رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فهم ورثة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأوصياؤه.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ١٧٤و١٧٥، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٥٤/١٦٠، حديث ٩٦، نقلاً عن الكافي: ١/٨٩، حديث ٥.

الأمر الرابع:

إنَّ قولنا: "آتاكم اللّه ما لم يؤتِ" يشمل بعمومه العلوم والمعارف، فيدلُّ علىٰ أعلميّتهم من كلّ أحدٍ من العالمين عدا رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله الذي بواسطته وصلت إليهم تلك المعارف والعلوم. فقد ثبت أنَّ كلَّ ما عند رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فهو عند أمير المؤمنين عليه السّلام ومنه إنتقل إلىٰ الأئمَّة من ولده، فيكون ماعندهم قد وصل إليهم عن طريق رسول اللّه الذي وصفه اللّه تعالىٰ بقوله:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾[1].

وهذا العطاء يعود إلىٰ اللّه تعالىٰ، فهو منه وبواسطة نبيِّه الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد وصل إلىٰ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وكما ذكرنا آنفاً، فإنَّ الملائكة كانت تنزل علىٰ الأئمَّة عليهم السّلام وتحدِّثهم، فهُم محدَّثون.

والطريق الآخر هو الإلهام، فعن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السّلام يقول:

«الأئمَّة علماء حلماء صادقون مفهَّمون محدَّثون»[2]

وعن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«كان عليٌّ عليه السّلام يعمل بكتاب اللّه وسنة رسوله، فإذا ورد عليه شيء والحادث الّذي ليس في الكتاب ولا في السنَّة ألهمه اللّه الحقّ فيه إلهاماً وذلك واللّه من المعضلات»[3]

---

(١) سورة النجم (٥٣): الآية ٣-٤.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٤٥، حديث ٤٢٧؛ بحار الأنوار: ٦٦/٢٦، حديث ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٥٤، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٥٥/٢٦، حديث ١١٣.

طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُم ؛

الولاية التكوينيّة للأئمّة عليهم السَّلام

وهذا المقطع من الزيارة يتضمَّن بيان شأنٍ جليل ومقامٍ رفيعٍ من مقامات الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، وهو مقام الولاية المطلقة والعامَّة لهم عليهم السّلام.

و"الولاية" تعني الإذن بالتصرُّف.

فمثلاً: للأب الولاية علىٰ ولده، فيقال: "فلانٌ وليُّ فلان"، بمعنىٰ أنَّ اللّه تعالىٰ قد أذن لهذا الأب بالتصرُّف بأمور هذا الولد، كأمواله مثلاً، سواءاً علم الولدُ بذلك أم لم يعلم، رضي بذلك أم لم يرضَ.

وكمثال آخر للولاية، تولي أُمور المسجد فيقال: "فلانٌ متولّي أُمور المسجد الفلاني" أو "فلان متولّي الحسينيَّة الفلانيَّة"، أي إنَّه مأذون في التصرُّف وإدارة أمور المسجد أو الحسينيَّة، بالنحو الذي يرىٰ فيه المصلحة.

إذن، فالولاية تعني الإذن للوليّ في التصرُّف، من ناحية اللّه تعالىٰ، المالك والوليّ المطلق لكلِّ شيء.

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، لهم الإذن المطلق في التصرُّف والولاية المطلقة كجدّهم رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله، وذلك لأنَّه قد إجتمع في الإمام:

العصمة، فالولاية تُعطىٰ لمن كان منزَّهاً عن الذنب، الخطأ والإشتباه.

والعلم بالمصالح والمفاسد وبحقائق الأُمور.

وعليه، فالإمام هو ذلك الشخص الذي لا يصدر منه التصرّف غير المناسب، ولا يتصرَّف بما يخالف المصلحة والصلاح.

فالإذن في التصرُّف إنَّما يُعطىٰ لمثل هذا الإنسان الذي يتَّصف بهاتين الخصوصيَّتين. فإذا كان معصوماً، وكان عارفاً بحقائق الأمور والمصالح والمفاسد الموجودة وراء الأُمور في كلِّ موردٍ من الموارد، فلابحث ولا نقاش في إستحقاقه الولاية بكلِّ أقسامها.

نعم، فالمعصومُ لا يتصرَّف بما يخالف المصلحة، فكلُّ ما يراه صالحاً في مورد من الموارد، يكون مطابقاً للمصلحة الواقعيَّة، لأنَّه يرىٰ حقائق الأُمور وواقعها.

فكلُّ شخص يرىٰ حقايق الأُمور، ولم يكن ممَّن تصدر عنه المخالفة، سيكون له الولاية المطلقة.

لقد أثبت علماؤنا العصمة والعلم لأئمّتنا عليهم السّلام في الكتب المعدّة لتلك المباحث، وبناءً علىٰ ذلك لا نتّهم بالغلوّ إذا ما اعتقدنا بالولاية المطلقة لهم، ولا يبقىٰ مجال للمناقشة في هذه العقيدة، إلاّ لمن ينكر مقام العصمة للأئمَّة أويقول: ليس للإمام العلم بحقائق الأمور وواقعها! ففي هذه الصورة لا يمكن إستنتاج تلك النتيجة، وإنَّما يستنتج تلك النتيجة من يعتقد بتوفر الجهتين في الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وبناءاً علىٰ ذلك، فكلّما أراد الإمام المعصوم والعالم بحقائق الأمور شيئاً، كانت إرادته نافذة ولازمة، ولا أثر لأيِّ إرادة في مقابل إرادته، سواءاً في عالم التكوين أو التشريع أو الأحكام أو غيرها، كما سيأتي -كما تتقدّم إرادة الأب

الرؤوف الشفيق الحكيم علىٰ إرادة ولده، لأنّ الأب له الولاية، وهو أولىٰ بالتصرُّف في شؤون الولد من نفسه - وهذا هو مراد العلماء من قولهم في الكتب الكلاميَّة بشرح حديث الغدير، من أنّ "المولىٰ" هو "الأولىٰ بالتصرُّف"[(١)]

وحديث الغدير من جملة الأدلَّة الواضحة الدالة علىٰ هذه العقيدة، وسيأتي بعض الكلام حوله. لكنّ ثبوت تلك المنزلة للإمام لا يلازم إعمالها من قبله، كما لا يخفىٰ، ولتفصيل البحث عن ذلك مجال آخر.

والمقصود الآن أنّ الجملة المذكورة إشارة إلىٰ قسمين من أقسام ولاية الأئمَّة عليهم السّلام.

أقسام الولاية

وقد ذكر علماؤنا الأعلام أربعة أقسام للولاية:

١- الولاية علىٰ الكون، ويعبِّرون عنها بـ"الولاية التكوينيَّة".

٢- الولاية علىٰ الأموال والأشخاص، ويعبِّرون عنها بـ"الولاية التشريعيَّة".

٣- الولاية علىٰ الأحكام الشرعيَّة، ويعبّرون عنها بـ"الولاية علىٰ الأحكام" أو "تفويض الأحكام" أو "الولاية علىٰ التشريع".

٤- الولاية علىٰ الأمور الشخصيَّة.

ونحن نبيّن -باختصار- القسمين الثالث والرابع، ثمّ نشرح الجملة ودلالتها علىٰ القسمين الأوّلين.

---

(١) انظر: نفحات الأزهار.

الولاية على الأحكام

ويدلُّ على ثبوت هذا القسم من الولاية للمعصومين، بعض الآيات القرآنيَّة والروايات.

أمّا للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله، فالآية المباركة:

﴿ وَمٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [١].

أي: إنَّ على الناس إمتثال كلِّ ما أمر به النبيّ الأكرم صلّى اللّهُ عليه وآله، والإنتهاء عن كلِّ ما نهى عنه وإجتنابُه.

فبحكم هذه الآية المباركة، وآيات أُخرى، تكون أوامر ونواهي الرسول صلّى اللّهُ عليه وآله واجبة الإمتثال ونافذة على الجميع، وليس لأحد أن يناقش في ما أتى به من حليَّة أو حُرمة أو طهارة أو نجاسة شيء من الأشياء أو أيّ حكم آخر، بل عليه الإمتثال حتّى لو لم يعرف الدليل.

وأمّا لسائر أهل العصمة الأطهار عليهم السّلام، فقد ثبت أنّهم ورثة جدّهم في كلِّ مقاماته ماعدا النبوّة، فإنَّ رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وآله خاتم النبيّين.

مضافاً إلى الأدلَّة العامَّة الواردة في كتب الشيعة والسنَّة، كقول النبيّ صلّى اللّهُ عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ إنَّه لا نبيَّ بعدي» [٢]

قال الحاكم الحسكاني:

---

(١) سورة الحشر (٥٩): الآية ٧.

(٢) هذا حديث المنزلة المتواتر عند الفريقين، أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، وأخرجه غيرهما من كبار حفاظ أهل السنّة بالأسانيد، وهو من أحاديث كتاب نفحات الأزهار، حيث بحث عنه سنداً ودلالةً بالتفصيل، فليراجع.

«هذا هو حديث المنزلة الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول: خرَّجته بخمسة آلاف إسناد»[١]

وقال الحافظ إبن عبد البرّ:

«وروىٰ قوله: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ"، جماعة من الصحابة وهو من أثبت الآثار وأصحها...، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جدّاً»[٢]

إذن، فكلُّ مقامات رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله -ما عدا النبوّة- ثابتةٌ لأمير المؤمنين عليه السّلام، وهذا المعنىٰ ثابتٌ للأئمّة الأطهار عليهم السّلام مِن بعد أمير المؤمنين وإلىٰ وليّ العصر عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف.

وقد جاء في بعض الروايات أنَّ المهديّ عليه السّلام عندما يظهر يبيِّن بعض الأحكام التي لم يبيِّنها آباؤه ولا جدّه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من قبل.[٣]

وقد بحثنا عن هذا القسم في الكتاب بشيء من التفصيل.

الولاية في الأمور الشخصيَّة

ووقع الكلام بين العلماء في أنَّه لو كان المؤمن مشغولاً بعملٍ -مثلاً- فاستدعاه الإمام وأمره بالقيام بعملٍ معيَّن يخصّه عليه السّلام، فهل يجب علىٰ الشخص أن يترك عمله ويبادر لامتثال الأمر. وبعبارة أخرىٰ: هل تتقدّم إرادة الإمام في أُموره الشخصيَّة علىٰ إرادة المكلّف، أو أن ذلك يختصّ بالأغراض الشرعيَّة والأحكام الإلهيَّة؟

---

(١) شواهد التنزيل: ١٩٥/١.

(٢) الإستيعاب: ١٠٩٧/٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣٠٩/٥٢، باب ٣٧.

استدلَّ القائلون بثبوت هذا القسم من الولاية بقوله تعالىٰ:

﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾ [١].

فإنَّ اللّه تعالىٰ قد أوجب إطاعة أُولي الأمر، كما أوجب طاعته وطاعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

كما إنَّ هذه الآية فيها إطلاق لوجوب الطاعة في الأوامر والنواهي كلِّها وتنفيذها حتّىٰ في الموارد الشخصيَّة.

الولاية التكوينيَّة

والقسمان الأوَّل والثاني من الولاية، أعني الولاية التكوينيَّة والولاية التشريعيَّة، لهما الأدلَّة الخاصَّة بهما، كما يستفاد ذلك أيضاً من هذه الفقرة من الزيارة الشريفة، حيث نقرأ فيها:

طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ؛

و"طأطأ" تعني خفض الرأس. قال في لسان العرب:

«طأطأ: الطأطأة مصدر طأطأ رأسه طأطأة: طامنه. وتطأطأ: تطامن. وطأطأ الشيء: خفضه. وطأطأ عن الشيء: خفض رأسه عنه. وكلّ ما حطّ فقد طؤطىء. وقد تطأطأ إذا خفض رأسه.» [٢]

ومعنىٰ العبارة كما هو واضح، إنَّ كلَّ ذي شرف ورفعة يتصاغر لكم، لأنّ شرفكم أعلىٰ من كلّ شرفٍ.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٥٩.

(٢) لسان العرب: ١/١١٣؛ كتاب العين: ٧//٤٧٥؛ تاج العروس: ١/١٩٨.

وَبَخعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ ؛

قال الراغب الإصفهاني في "بخع":

«وبخع فلانٌ بالطاعة وبما عليه من الحق: إذا أقرّ به وأذعن مع كراهة شديدة»(١)

إذن، فكلُّ متكبّر متغطرس يتغطرس علىٰ الناس، خاضع مذعن لطاعتكم وتنفيذ أوامركم ونواهيكم، حتّىٰ لو كان كارهاً لذلك، شاقّاً عليه، فإنَّ اللّه تعالىٰ هو الذي أعطاكم مثل هذه العظمة.

وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ ؛

فكلُّ جبّار توفّرت لديه وسائل التجبُّر والتكبُّر، خاضعٌ لمقامكم وفضلكم. هذا، وإذا كان الشريف والمتكبّر والجبّار كذلك، فغيرهم بطريق أولىٰ.

وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُمْ ؛

أيْ أنَّ كلَّ الأشياء في عالم الإمكان مذلَّلة لكم تكويناً وتشريعاً.

وجاء في كتب اللغة في مادَّة "ذل":

«ذلَّ: الذل مصدر الذلول أي المنقاد من الدوابّ، ذلّ يذلّ، ودابة ذلول: بيّنة الذل، ومن كلّ شيء أيضاً، وذلّلته تذليلاً. ويقال للكرم إذا دليت عناقيده قد ذلل

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٣٨.

تذليلاً. والذلّ: مصدر الذليل، ذلّ يذلّ وكذلك الذلّة.»(١)

وقال الراغب الإصفهاني:

«ذلَّ: الذُّل ما كان عن قهر، يقال: ذلّ يذلّ ذلّا، والذِّلُّ ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر، يقال: ذلّ يذلّ ذلّا، وقوله تعالىٰ ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾(٢) أي كن كالمقهور لهما، وقرىء: ﴿جَنَاحَ الذِّلِّ﴾ أي لِن وانقد لهما.»(٣)

وعليه، فالذليل يعني التابع، المطيع، المؤتمِر. يقال: فلانٌ ذليل فلانٍ، أي هو منقادٌ له وطيِّع.

فمقام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هو أنَّهم مطاعون من قبل كلِّ الأشياء، ذَلّلَ لهم اللّه الكون وأخضع الجبابرة والمتكبّرين لفضلهم.

نعم، فكلُّ عظماء العالم هم صغار أمام عظمة أهل البيت عليهم السّلام، مطيعون لهم مؤتمرون بأوامرهم.

وهذه الجملة تفيد ثبوت الولاية التكوينيّة للأئمَّة عليهم السّلام، كما تفيد أيضاً الولاية التشريعيَّة لهم، أي نفوذ تصرّفهم وتقدُّم حكمهم علىٰ كلِّ الحكّام والجبارين والسّلاطين.

وهذا المعنىٰ له جذور قرآنيَّة، فقد ورد في الآي الحكيم:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾(٤).

---

(١) كتاب العين: ٨/١٧٦.

(٢) سورة الإسراء (١٧): الآية ٢٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١٨٠.

(٤) سورة النساء (٤): الآية ٥٤.

والمراد من آل إبراهيم، أولاد نبيّ اللّه إبراهيم عليه السّلام -النبيّ الأكرم محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأهل بيته- والكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة النبويَّة والشريعة والعلم بحقائق الأمور، وأعطاهم تعالىٰ ملكاً عظيماً، وهو غير النبوَّة وسائر خصائصهم ومقاماتهم عليهم السّلام.

وقد تكرَّرت كلمة "آتينا" مرَّتين في هذه الآية الكريمة ﴿ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾.

وجاء في تفسيرها في روايات كثيرة -وبعضها معتبر سنداً- عن الأئمَّة الطاهرين عليهم السّلام، بأنَّ المراد من الملك العظيم، نفوذ إرادتهم وأوامرهم ونواهيهم، أي وجوب الطاعة المطلقة لهم علىٰ كلِّ الخلق، والإذن لهم من اللّه بالتصرُّف في كلِّ الموجودات.

فعن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السّلام في معنىٰ هذه الآية المباركة قال: «الطاعة المفترضة»[1]

أي: إنَّه قد فُرِضَ وكُتِبَ علىٰ جميع الخلق بأنَّ للنبيّ الأكرم والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام جميعاً الطاعة المطلقة ونفوذ أوامرهم ووجوب متابعتهم وقبول ما يأتون به بلا مناقشة.

وفي كتاب لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام إلىٰ معاوية:

«إنّا صنائع ربِّنا والنّاسُ صنائعنا»

وقد يصعب علىٰ بعض الناس فهم مراد أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا الكلام أو قبوله، ولكنَّ إبن أبي الحديد المعتزلي -العالم بالكلام والأديب اللامع-

---

(١) بصائر الدرجات: ٥٥، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/٢٨٧، حديث ٨.

شرح هذا الكلام في شرحه لنهج البلاغة في عدّة أسطر ننقل نصَّ كلامه، يقول:

«هذا كلام عظيم عالٍ على الكلام، ومعناه عال على المعاني....

يقول الإمام عليه السّلام: "ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل اللّه تعالىٰ هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنعائنا، فنحن الواسطة بينهم وبين اللّه تعالىٰ."

وهذا مقام جليل، ظاهره ما سمعت، وباطنه إنَّهم عبيد للّه وأنّ الناس عبيدهم»(1)

ويقول آية اللّه الخوئي في هذا السياق:

«وأمّا الولاية التكوينيَّة، فلا إشكال في ثبوتها، وأنَّ المخلوقات بأجمعها راجعة إليهم، وإنَّما خلقت لهم، ولهم القدرة علىٰ التصرُّف فيها، وهم وسائط التكوين. ولعلّ ذلك من الوضوح بمكان ولا نحتاج إلىٰ إطالة الكلام»(2)

كان ذلكم مختصر بيان حول الولاية التكوينيَّة للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

والآن نشير بإختصار إلىٰ معنىٰ الولاية التشريعيَّة.

الولاية التشريعيَّة

والمقصود من "الولاية التشريعيَّة" هو أنَّ مقام العصمة له أولويَّة التصرُّف في أموال وأنفس المؤمنين.

وهذا المعنىٰ مستفاد من القرآن الكريم، حيث يقول تعالىٰ:

---

(1) شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١٥/١٩٤.

(2) راجع مصباح الفقاهة: ٣/٢٧٩.

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [١].

فهذه الآية تدلُّ علىٰ وجوب الطاعة المطلقة والإنقياد التامّ للنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله سواءاً في الأنفس، كما لو أمر جماعة بالخروج إلىٰ الحرب، أو أمر بالصلح، فيجب عليهم الإمتثال والإطاعة، أو فيما يرتبط بالأموال، فلو رأىٰ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله المصلحة في أن يبيع زيدٌ داره لعمرو، أو أن يهبها له، وجب علىٰ زيد الإطاعة، وليس له الخيار في الإمتثال وعدمه.

وذلك لأنَّ أموالهم وأنفسهم تحت إختيار وتصرّف المعصوم، ولمّا كان المعصوم لا يأمر ولا ينهىٰ إلاّ عن علم مسبق بملاكات الأمور والمصالح والمفاسد الكامنة في الأشياء وحقائقها، وجبت علىٰ الجميع إطاعة أوامره ونواهيه.

وقد صرَّح بهذا المعنىٰ كلُّ العلماء، سنَّة وشيعة، في تفسيرهم للآية المذكورة، ولا خلاف بينهم في ثبوت هذا المعنىٰ للمعصوم.

قال الزمخشري في الكشّاف عن حقائق التنزيل:

« ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، في كلِّ شيء من أُمور الدين والدنيا ﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ ولهذا أطلق ولم يقيّد، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقّه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها » [٢]

وقد ضرب البيضاوي -وهو من كبار علماء أهل السنَّة- مثالاً لطيفاً في المقام [٣] وأخذه غير واحدٍ منهم، وذكروه في شرح بعض الأحاديث النبويَّة، فقد

(١) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٦.

(٢) الكشّاف: ٢٥١/٣.

(٣) تفسير البيضاوي.

جاء بشرح الجامع الصغير:

«أي في الأمور كلّها، فإنّه لا يأمرهم ولا يرضىٰ منهم إلاّ بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس، فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم...

فمن خصائصه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: إنّه كان إذا إحتاج إلىٰ طعام أو غيره وجب علىٰ صاحبه المحتاج إليه بذله له صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وجاز له أخذه، وهذا وإنْ كان جائزاً لم يقع... وأنا ولي المؤمنين.أي متولي أُمورهم»[1]

هذا وقد أشار بقوله "لم يقع" إلىٰ ما تقدّم منّا سابقاً، من أنَّ بحثنا إنَّما هو في ثبوت أصل هذا المقام، وأمّا الإستفادة منه عمليّاً وإعماله ميدانيّاً، فهذا أمرٌ آخر، فلم يرد في الروايات أبداً بأنَّ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أمر أحداً أن يبذل ما عنده من شيء لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

ففي القرآن الكريم:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُم ﴾[2].

وقد استفيد من هذه الآية الكريمة، أنَّ من عقد عليها النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فلا يحقّ لأحد من المسلمين الزواج بها بعد رسول اللّه، ولا يحقّ لها أن تتزوَّج من بعده، لأنَّها بحكم الأُمّ لجميع المسلمين.

وقال الطبرسي في تفسيره:

« ﴿ وَأَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُم ﴾ المعنىٰ: إنّهن للمؤمنين كالأمّهات في الحرمة،

---

(١) السراج المنير في شرح الجامع الصغير: ١/٣٢٠.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الاية ٦.

وتحرم النكاح. ولسن أمّهات لهم علىٰ الحقيقة؛ إذ لو كنّ كذلك لكانت بناته أخوات المؤمنين علىٰ الحقيقة، فكان لا يحلّ للمؤمن التزويج بهنّ.

فثبت أنّ المراد به يعود إلىٰ حرمة العقد عليهم لا غير؛ لأنّه لم يثبت من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن، سوىٰ هذه الواحدة.

ألا ترىٰ أنّه لا يحلّ للمؤمنين رؤيتهنّ، ولا يرثن المؤمنين، ولا يرثونهنّ.

ولهذا قال الشافعي: ﴿ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُم ﴾ في معنىٰ دون معنىٰ، وهو: أنّهن محرمات علىٰ التأبيد، وما كنّ محارم في الخلوة والمسافرة.»[1]

وقال القمّي في تفسيره:

«وأمّا قوله ﴿ وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظيماً ﴾[2] فإنّه كان سبب نزولها أنّه لما أنزل اللّه ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُم ﴾[3] وحرّم اللّه نساء النبي علىٰ المسلمين، غضب طلحة فقال: يحرّم محمّد علينا نساءه ويتزوّج هو نساءنا، لئن أمات اللّه محمّداً لنفعلن كذا وكذا....

فأنزل اللّه ﴿ وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظيماً ۞ إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّٰهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليماً ﴾[4]...»[5]

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٨/١٢٢؛ بحار الأنوار: ٢٢/١٧٣.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٥٣.

(٣) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٦.

(٤) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٥٣ و ٥٤.

(٥) تفسير القمّي: ٢/١٩٥.

الولاية يوم الغدير

وبناءاً علىٰ ما مرَّ، فإنَّ الولاية بالمعنىٰ المذكور ثابتة لرسول اللّه.

ثمَّ إنَّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم، لمّا فرغ من حجَّته المعروفة بحجَّة الوداع ووصل في طريق عودته إلىٰ المدينة إلىٰ غدير خم، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجَّة، نزل عليه الأمر الإلهيّ بضرورة إبلاغ ولاية علي وخلافته من بعده، وأخذ البيعة له بذلك من جميع الحاضرين معه.

روىٰ علقمة بن محمد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام أنَّه قال: «حجَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من المدينة وقد بلّغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية...»[1]

فقام صلّىٰ اللّه عليه وآله فيهم خطيباً، فوعظهم وذكّرهم وأخبرهم بكثيرٍ من الأمور التي ستكون من بعده، وكان ممّا قال وهو آخذ بيد علي:

ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلىٰ.

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه.

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...

وكان قوله: ألست أولىٰ بكم... إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم ﴾[2].

---

(١) الإحتجاج: ١/٦٦؛ بحار الأنوار: ٣٧/٢٠١، حديث ٨.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٦.

وأثبت تلك الأولويَّة لعلي بقوله:

«فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»

وحينئذٍ بايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السّلام، فجاءَ الشيخان أبوبكر وعمر أيضاً وبايعا علياً عليه السّلام وقالا له:

«بخٍ بخٍ لك يا علي! أصبحت مولاي ومولىٰ كلِّ مؤمن ومؤمنة»[١]

وكان لعليٍّ عليه السّلام -بحكم حديث الغدير- نفس مقام الولاية الثابتة لرسول اللّه بحكم القرآن الكريم.

ومن هنا أصبح يوم الغدير عيد اللّه الأكبر عند أهل البيت وشيعتهم.

وما زال علماء الإماميَّة يستدلّون بحديث الغدير علىٰ إمامة أمير المؤمنين وولايته بعد رسول اللّه بلا فصل، ومن شاء فليرجع إلىٰ الكتب.[٢]

حديث جيش اليمن

ومن جملة الأدلَّة علىٰ إمامة الأمير وولايته التشريعيَّة حديث جيش اليمن، فيما رواه كبار علماء أهل السنّة بالأسانيد الكثيرة والصحيحة عند الجميع عن بريدة بن الخصيب أنَّه قال رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله:

«يا بريدة، إنَّ عليّاً وليّكم بعدي، فأحبّ عليّاً فإنّما يفعل ما يؤمر.

---

(١) كتاب سليم بن قيس ٣٥٦، حديث ٣٩؛ مسار الشيعة: ٢٠؛ الطرائف: ١٤٧، حديث ٢٢٢؛ المحتضر: ١١٤؛ كنز الفوائد: ٢٣٢؛ مناقب آل أبي طالب: ٢/٢٣٧؛ العمدة: ١٤١/١٠٦؛ كشف الغمَّة: ١/٢٣٨؛ بحار الأنوار: ٢١/٣٨٧-٣٨٨؛ شواهد التنزيل: ١/٢٠٣، حديث ٢١٣؛ تاريخ بغداد: ٨/٢٨٤، حديث ٤٣٩٢؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٢٣٣، المناقب للخوارزمي: ١٥٦، حديث ١٨٤؛ البداية والنهاية: ٧/٣٨٦.

(٢) منها: كتاب نفحات الأزهار، الأجزاء ٦-٩.

والحديث هو:

«بعث رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله علي بن أبي طالب وخالد بن وليد، كلّ واحد منهما علىٰ حدة، وجمعهما فقال: إذا إجتمعتما فعليكم علي.

قال: فأخذنا يميناً أو يساراً. قال: وأخذ علي عليه السّلام فأبعد، فأصاب سبياً، فأخذ جارية من الخمس.

قال بريدة: وكنت أشدّ الناس بغضاً لعليّ عليه السّلام وقد علم ذلك خالد بن الوليد، فأتىٰ رجل خالداً فأخبره أنّه أخذ جارية من الخمس، فقال: ما هذا؟

ثمّ جاء آخر، ثمّ أتىٰ آخر، ثمّ تتابعت الأخبار علىٰ ذلك.

فدعاني خالد فقال: يا بريدة! قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فأخبره، وكتب إليه.

فانطلقت بكتابه حتّىٰ دخلت علىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكان كما قال اللّه عزّوجلّ لا يكتب ولا يقرأ، وكنت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسي حتّىٰ أفرغ من حاجتي، فطأطأت أو فتكلمت، فوقعت في علي حتّىٰ فرغت.

ثمّ رفعت رأسي فرأيت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قطّ إلاّ يوم قريظة والنضير.

فنظر إليّ فقال: يا بريدة! إنّ عليّاً وليّكم بعدي، فأحبّ عليّاً فإنّما يفعل ما يؤمر.

قال: فقمت وما أحد من الناس أحبّ إليّ منه ....»[1]

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٢٤٩-٢٥٠، حديث ٤٤٣؛ بحار الأنوار: ١١٥/٣٨، حديث ٥٥؛ مجمع الزوائد: ١٢٨/٩؛ المعجم الأوسط: ١١٧/٥، تاريخ مدينة دمشق: ١٩١/٤٢، أُنظر: نفحات الأزهار: ٩ / ٣٠٠.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُم ؛

نور الأئمّة في الأرض

يمكن أنْ تكون هذه الجملة كنايةً عن كون الأئمّة عليهم السّلام علّة الوجود، فالمعنىٰ أنّه بسبب وجودكم أشرقت الأرض، أي: وُجدت، ووُجد ما عليها، فأنتم علّة وجود ودوام العالم.

وفي هذا المعنىٰ وردت روايات تشير إلىٰ الأثر الوجودي للإمام في هذا العالم. مثل:

«لو بقيت الأرض يوماً واحداً بلا إمام منّا لساخت الأرض بأهلها»[١]

ويمكن أنْ تكون كناية عن هداية الأُمَّة، بأنْ يكون المراد من "النور" نور الهداية وإخراج الأُمّة من الضلالة، نظير تشبيه الإمام عليه السّلام في الرواية بالشمس، فعن الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«الإمام الشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار»[٢]

وقال تعالىٰ:

﴿أَ وَمَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَجَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّٰاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكٰافِرِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٣٦.

(٢) الكافي: ١/١٩٨.

(٣) سورة الأنعام (٥): الآية ١٢٢.

قال عليه السّلام في تفسير ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً ﴾:

«إمامٌ يؤتمُّ به»[١]

ويمكن أن تكون إشارة إلىٰ الآية الكريمة:

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[٢].

فإن هذه الآية وإنْ كانت متعلّقة بعالم الآخرة بحسب سياقها، فإنَّها:

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾.

فاللّه تعالىٰ يُخبرنا عن أحوال يوم القيامة حيث تشرق الأرض وعالم القيامة بنور اللّه تعالىٰ ويؤتىٰ بالكتاب.

وقد يكون المراد من "الكتاب" القرآن الكريم، ويأتي الأنبياء الإلهيّون والشهداء ويحضرون في ذلك المقام، وتقام المحكمة الإلهيَّة ويقضىٰ بين الناس بالحقّ.

نعم، ففي ذلك اليوم يُحضر القرآن، الأنبياء، الشهداء وينظرون ويشاهدون محكمة القيامة، ويحاسب الناس علىٰ أعمالهم، فينال المحسن والمسيء جزاءَهم بالحقّ.

ومن المعلوم أنَّ ذلك العالم، عالمٌ أظلم، فلا شمس ولا قمر، ولا نور إلاّ نور اللّه تعالىٰ، وهذا النور الإلهيّ يتجلّىٰ في الرجال والنساء المؤمنين الذي يسعىٰ نورهم الإلهيّ بين أيديهم.

---

(١) الكافي: ١/١٨٥.

(٢) سورة الزمر (٣٩): الآية ٦٩.

يقول القرآن الكريم:

﴿ يَوْمَ تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِم ﴾ (١).

والشّهداء أيضاً لهم نورٌ يضيئون عالم القيامة كما قال سبحانه:

﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُم ﴾ (٢)

فإذا كان للشهداء وللمؤمنين والمؤمنات نورٌ، فبطريق أولىٰ يكون للأئمّة الأطهار عليهم السّلام نورٌ أكبر في يوم القيامة، ويشرق عالم القيامة بنورهم، وهذا المطلب واضحٌ جدّاً.

لكنْ في تفسير القمي بذيل الآية المباركة عن المفضّل بن عمر أنّه سمع أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: في قوله تعالىٰ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ قال: ربّ الأرض يعني إمام الأرض.

قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذن يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام. (٣)

---

(١) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٢.

(٢) سورة الحديد (٥٧): الآية ١٩.

(٣) تفسير القمي.

وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُم ؛

الفوز بولاية الأئمَّة

قال الراغب الإصفهاني:

«الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، قال: ﴿ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِير ﴾[1] ﴿ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[2] ﴿ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِين ﴾[3]»[4]

لقد دلَّت الأدلَّة علىٰ أنَّ الفوز في الآخرة بالجنَّة والرضوان منوط بولاية أهل البيت عليهم السّلام، فهم الباب والوسيلة لفوز الفائزين، وللظفر يوم القيامة والفلاح، فكلُّ من نال في يوم القيامة مقاماً عالياً وكان من الفائزين المفلحين، فقد ناله ببركة ولاية الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

وأي فوز أعظم من دخول الجنَّة كما قال عزَّوجلّ:

﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[5].

وتوضيح ذلك: إنَّ ولاية أهل البيت عليهم السّلام تدعو إلىٰ طاعتهم وطاعتهم طاعة اللّه وتوجب القرب منه، لأنَّ ولايتهم ولاية رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأنَّ طاعتهم ومتابعتهم طاعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

ذلك، لأنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام أرادوا منّا إطاعة اللّه ورسوله، ولم

---

(١) سورة البروج: الآية ١١.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣): الاية ٧١.

(٣) سورة الأنعام (٦): الآية ٣٠.

(٤) مفردات غريب القرآن: ٣٨٧.

(٥) سورة آل عمران (٣): الآية ١٨٥.

يطلبوا منّا إلاّ ما رسمه القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة من أوامر ونواهي في أُصول الدّين وفروعه، فهم أرادوا منّا العمل بالدّين لا غير.

أجل، إنَّ الأئمّة الأطهار إنّما ساقونا نحو الإسلام، القرآن والنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ولا شكَّ في أنّه إذا التزم أحدٌ بالدقّة بأحكام الإمام وعمل بها، وعبد اللّه تعالىٰ، وأطاع النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فإنَّه سيزحزح عن النار ويدخل الجنَّة ويفوز فوزاً عظيماً.

ومن ثمَّ، كان الظفر والفوز بالجنَّة يوم القيامة، أحدَ بركات ولاية أهل البيت عليهم السّلام، وهذا هو الطريق الوحيد لذلك.

وقد ذكرنا مراراً بأنَّه ليس بعد رحيل رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إلاّ طريقان لا ثالث لهما، إمّا طريق أهل البيت عليهم السّلام، وإمّا طريق الآخرين.

وقد ثبت بالأدلّة القرآنيّة وبالحديث أنَّ الصراط المستقيم وطريق النجاة ينحصر في طريق الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، فهم الذين يوصلون الناس إلىٰ رضوان اللّه تعالىٰ.

وعلىٰ هذا الأساس، فإنَّ أهلَ الولاية في هذا العالم، وفي ساعة الموت، وفي العقبات بعد الموت، سيكونون من الراضين المرضيِّين للّه عزَّوجلّ، وسيكونون من الفائزين في يوم القيامة. نسأل اللّه عزَّوجلّ أنْ نكون كذلك بمنّه وكرمه.

والجدير بالذكر: أنَّ الفوز بواسطة ولاية أهل البيت عليهم السّلام، قد ورد في روايات أهل السنّة أيضاً، وهذا أمرٌ في غاية الأهميَّة. ففيما يرتبط بقوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[1].

---

(١) سورة البيّنة (٩٨): الآية ٧.

ذكرت المصادر السنيَّة المعتبرة عن النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إنَّه خاطب علياً عليه السّلام بقوله:

«يا عليّ خيرُ البريَّة شيعتك»

وعن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال:

«كنّا عند النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فأقبل علي بن أبي طالب عليهما السّلام، فقال النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أتاكم أخي.

ثمّ إلتفت إلىٰ الكعبة فضربها بيده، ثمَّ قال: والّذي نفسي بيده، إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» (١)

وهناك أحاديث أُخرىٰ وردت في كتب أهل السنَّة في نفس هذا المضمار، أحجمنا عن نقلها رعاية للإختصار.

هذا وإنَّ من جملة الأحاديث المتسالم عليها عند الجميع، ما ورد في أنَّه:

«عليٌّ قسيم النار والجنّة» (٢)

نعم، فأمير المؤمنين عليه السّلام هو الذي يُقسِّم الناس في يوم القيامة بمحضر رسول اللّه وبأمر من اللّه، فيُدخل أصحاب اليمين إلىٰ الجنَّة، وأصحاب الشمال النار.

وهذا معنىٰ هذا الحديث، وإنْ اختلفت ألفاظ شرّاحه:

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٥١، حديث ٤٤٨؛ بحار الأنوار: ٥/٣٨؛ فتح القدير: ٤٧٧/٥، تاريخ مدينة دمشق: ٣٧١/٤٢.

(٢) الخصال: ٤٩٧، ذيل الحديث ٥؛ أمالي الشيخ الصدوق: ١٥٠، حديث ١٤٦؛ بحار الأنوار: ٩٥/٣٨، حديث ١١؛ ينابيع المودّة: ٢٤٩/١، حديث ١ و٢.

فعن أحمد بن حنبل أنَّه قال لمن سأله عن معنىٰ هذا الحديث:

«وما تنكرون من هذا الحديث؟ أليس روينا أن النبيّ صلّىٰ اللّه عليه وآله قال لعلي: لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق؟

قلنا: بلىٰ.

قال: فأين المؤمن؟

قلنا: في الجنَّة.

قال: فأين المنافق؟

قلنا: في النار.

قال: فعلي قسيم النار.[١]

ثمَّ إنَّه ينبغي الإنتباه إلىٰ أنَّ مقتضىٰ العموم في "الفائزون" عدم الإختصاص بأُمَّة محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، بل إنَّ كلَّ أهل النجاة من الأُمم السابقة، سيدخلون الجنَّة ببركة ولاية رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السّلام، لأنَّ الولاية قد عُرضت علىٰ الأُمم السّابقة عن طريق أنبيائهم، والأدلَّة علىٰ هذه الحقيقة كثيرة، من جملتها الحديث المعتبر المرويّ في ذيل الآية المباركة:

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾[٢]

وقد ذكرناه في الكتاب.[٣]

---

(١) كفاية الطالب: ٧٢.

(٢) سورة الزخرف (٤٣): الآية ٤٥.

(٣) صصصص ١٨٩ عربي.

بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَىٰ الرِّضْوَان ؛

إلىٰ الرضوان

أي: فأنتم -يا أهل بيت النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله- السبب الوحيد الموصل إلىٰ رضوان اللّه سبحانه، وهذا مما لا شك فيه ولا ريب، لأنَّ طاعتهم ومتابعتهم توصل إلىٰ الرضوان، وهذا ما دلَّت عليه الأدلَّة المتظافرة، بل قام عليه الإجماع.

وفي المراد من "الرضوان" إحتمالان:

فيمكن أن يكون مصدراً، بمعنىٰ كثرة الرضا، كما جاء ذلك في كلام الراغب الإصفهاني حيث قال:

«الرضوان: الرضا الكثير، ولمّا كان أعظم الرضا رضا اللّه تعالىٰ خصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من اللّه تعالىٰ، قال عزَّوجلّ: ﴿ وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّه ﴾ [١]» [٢]

فولاية أهل البيت عليهم السّلام وإطاعتهم توصل الإنسان إلىٰ الرضا الكثير والرضوان الإلهيّ الذي وعدهم اللّه تعالىٰ به، كما جاء في قوله عزَّوجلّ:

﴿ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ﴾ .

---

(١) سورة الحديد (٥٧): الآية ٢٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٨٠.

وقال تعالىٰ [١]:

﴿ يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلي في عِبٰادي ۞ وَادْخُلي جَنَّتي ﴾ [٢].

نعم، فأتباع أهل البيت عليهم السّلام لا يتعمّدون الذنب، وإذا إرتكبوا ذنباً جهلاً فإنّهم يستغفرون واللّه تعالىٰ يغفر لهم ذلك ببركة أهل البيت عليهم السّلام، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، قال عزّوجلّ:

﴿ إِنَّ الَّذينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَلاٰ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣].

ويمكن أن يكون المراد من "الرضوان" الجنَّة التي يقال لخازنها "رضوان"، فالوصول إليه يعني الوصول إلىٰ الجنَّة.

وقد جاء في الروايات بأنَّ خازن الجنَّة في عالم الآخرة، مطيعٌ ومؤتمر بأوامر مقام الولاية.

وَعَلَىٰ مَنْ جَحَدَ وَلَايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَن ؛

منكرو الولاية

ولفظة "جَحَد" تُستعمل عند العرب في مورد من يعلم الشيء وينكره، كأنْ يعلم بوجود اللّه ويشكُّ فيه.

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ٧٢.

(٢) سورة الفجر (٨٩): الآية ٢٧-٣٠.

(٣) سورة فصّلت (٤١): الآية ٣٠.

وفي المفردات:

«جَـحَدَ: الجـحود نـفي ما فـي القـلب إثباتُه، وإثبات ما فـي القـلب نفيُه» (١)

نعم، فمثل هؤلاء الأشخاص الذين ينكرون ولاية أهل البيت عليهم السّلام بعد علمهم بوجوب الإيمان بها، سيحلُّ عليهم غضب اللّه الرحمن.

ولا تخفىٰ النكتة في إضافة "الغضب" إلىٰ "الرحمن"!

وفي الحديث المرويّ في كتب أهل السنَّة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عـليه وآله إنَّه قال لأمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنَّكَ ستقدم علىٰ اللّه وشيعتك راضين مرضيِّين ويقدم عليك عدوّك غضاباً مقمحين»

وقد روىٰ هذا الحديث: الطبراني وجلال الدّين السيوطي وإبن حجر الهيثمي المكّي والديلمي والآلوسي وآخرون، وهم من كبار علماء العامَّة. (٢)

فمن الواضح إذن، أنَّ فقرات الزيارة الجامعة لها أُصولٌ قرآنيَّة وحديثيَّة.

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨.

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٣١؛ المعجم الأوسط: ٤/١٨٧؛ مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٧؛ النهاية في غريب الحديث: ٤/١٠٦؛ نظم درر السمطين: ٩٢؛ الصواعق المحرقة (ط القاهرة): ١٥٤؛ شواهد التنزيل: ٢/٤٦٠، حديث١١٢٦.

بِـــأَبِي أَنْـتُمْ وَأُمِّــي وَنَـفْسِي وَأَهْـلِي وَمَــالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِين ؛

ذكر الأئمَّة

ويمكن شرح هذه الجملة علىٰ وجهين:

الأوّل: إنّكم يا أهل البيت من الذاكرين، وقد تقدَّم في أوصاف الأئمَّة عليهم السَّلام في نفس هذه الزيارة:

«وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَه» (١)

الثّاني: هو إنَّ اللّه تعالىٰ قد جَعَل ذكركم باقياً بين الناس فيما يـذكرون، كما قال:

﴿ وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَك ﴾ (٢).

فهم يذكرونكم دائماً بكلّ تعظيم وإجلال ولو كره ذلك أعداؤكم، كما قال عزَّ من قائل في كتابه الكريم:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُون ﴾ (٣).

وتوضيح المطلب هو:

إنَّ الأئمَّة عليهم السّلام علىٰ رأس الذين يذكرون اللّه تعالىٰ في كلِّ الأحوال كما قال تعالىٰ:

---

(١) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب، صفحة صصص؟؟؟

(٢) سورة الإنشراح (٩٤): الآية ٤.

(٣) سورة الصف (٦١): الآية ٨.

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِم ﴾ (١).

فقد كان الأئمَّة ذاكرين للّه تعالىٰ، قياماً وقعوداً، في كلِّ حال وظرف، وكلُّ من دقّق النظر في حالاتهم يجدُ بأنَّهم أفضل مصاديق العاملين بذكر اللّه تعالىٰ، ذلك الذكر الكثير الذي أمر به عزَّوجلّ:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرا ﴾ (٢).

ومن كان دائم الذكر للّه تعالىٰ، ذكراً كثيراً جامعاً لجميع شرائطه وقيوده، فإنَّ اللّه تعالىٰ سيذكره كذلك، كما قال عزَّوجلّ:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم ﴾ (٣).

فلينظر الإنسان إلىٰ هذه العظمة، وليتأمّل في هذه المنزلة!

ثمَّ إنَّ الأئمَّة عارفين باللّه أحسن من غيرهم، فهذا من جهةٍ.

ومن جهةٍ، كانوا كلّما رفع اللّه ذكرهم وأعلىٰ شأنهم، ازدادوا خشوعاً للّه وتواضعاً لعظمته، كما ذكرنا ذلك بشرح «فعظّمتم جلاله وأكبرتم شأنه...»

فزادهم اللّه عظمةً وجلالةً وعزاً لا يدانيهم في ذلك أحد، حتّىٰ إعترف بذلك الأعداء والمخالفون لهم.

وما هذه العظمة والعزَّة إلاّ أثراً من آثار دوام ذكرهم للّه تعالىٰ، فكلما أكثروا من ذكره عزَّوجلّ، كلّما منَّ عليهم بعطائه الذي لا ينقطع، وأعزَّهم وزاد في عظمتهم.

وقد ورد بتفسير قوله تعالىٰ لرسوله الكريم:

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ١٩١.

(٢) سورة الأنفال (٨): الآية ٤٥؛ سورة الجمعة (٦٢): الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة (٢): الآية ١٥٢.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [١]

تذكر إذا ذكرتُ، وهو قول الناس: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه [٢]

وقد ورد عن رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله الأمر بذكر أهل بيته معه حيثما ذكر. [٣]

وهذا هو أثر العبادة وذكر اللّه الذي يُعزّ الإنسان ويرفع مقامه.

وقد جاء في قصّة نبيّ اللّه موسىٰ عليه السّلام، التي حكاها لنا القرآن الكريم أنّه دعا اللّه تعالىٰ قائلاً:

﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرا ﴾ [٤].

فكان ذكر اللّه كثيراً أحد مقاصد الأنبياء والمرسلين.

وفي الحقيقة، إنّ سلوك أولياء اللّه الإلهيّين، وخاصّة نبيّنا الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السّلام، هكذا كان، فكانوا يعبدون اللّه ويتواضعون أمام عظمته أيّما تواضع، فأثابهم اللّه تعالىٰ بأنّ أعزّهم وأكرمهم ورفع شأنهم، وكلّما رفع اللّه شأنهم أكثر، تواضعوا للّه أكثر فأكثر.

ومن هنا فإنّ نبيّ اللّه موسىٰ قد طلب من اللّه تعالىٰ أن يجعل معه أخاه هارون لكي يُكثرا من ذكره وعبادته عزّوجلّ.

نعم، فإنّ العبد إذا تواضع للّه واستصغر قدر نفسه أمام عظمة ربّه، فإنّ اللّه

---

(١) سورة الشرح (٩٤): الآية ٤.

(٢) تفسير القمي.

(٣) صصصص ص ١٩٤ عربي.

(٤) سورة طه (٢٠): الآية ٣٢-٣٤.

تعالىٰ سيُعزُّه، وحينئذٍ، فليس فقط لا يغترّ هذا العبد بهذا المقام، وإنّما سيزداد تواضعاً للّه وذكراً، فيُكثر له الباري عزّاً ورفعة.

ومن الواضح إنَّ ذكر اللّه الكثير، له آثار مهمَّة، فاللّه تعالىٰ قد خاطب المؤمنين جميعاً وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ (١).

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرَاً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

و"الفلاح" وهو الظّفر بالسّعادة في الدنيا والآخرة، يحصل ببركة كثرة ذكر اللّه تعالىٰ، وأيّ وسيلةٍ أقوىٰ وأسرع للوصول إلىٰ هذه البغية مع قصر العمر في دار الدنيا وقلّة الفرصة وكثرة المشاغل والصوارف الدنيويَّة، كما نبّه سبحانه وتعالىٰ بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٣).

فهذا موجز الكلام حول الذكر وآثاره علىٰ ضوء الآيات والروايات.

وذكر اللّه هو أحد الطرق التي وصل من خلالها الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام إلىٰ تلك المقامات السامية، فقد كانوا عليهم السّلام كثيري الذكر، كمّاً وكيفاً.

أمّا كمّاً، فهو واضح من خلال الإكثار والدوام علىٰ ذكر اللّه تعالىٰ. وأمّا من جهة الكيف، فالمراد به إنّهم كانوا يذكرون اللّه تعالىٰ بقلب خاشع وجوارح

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٤١-٤٢.

(٢) سورة الأنفال (٨): الاية ٤٥؛ سورة الجمعة (٦٢): الآية ١٠.

(٣) سورة المنافقون (٦٣): الآية ٩.

خاضعة وخلوص تامّ، لأنَّ ذكر اللّه تعالىٰ له شرائطه الخاصَّة التي لولا مراعاتها لم يحصل الذاكر علىٰ النتائج المرجوَّة.

وبناءاً علىٰ ما مضىٰ، فإنَّ الظاهر من «ذكركم في الذاكرين» هو أنَّ الأئـمَّة عليهم السَّلام لمّا تواضعوا وخضعوا أيّما تواضع وخضوع للّه، فإنَّه عزَّوجلّ منَّ عليهم بما منَّ علىٰ رسوله الكريم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله من الرفعة والعزَّة فقال له: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾، فهذا الشأن قد جعل للأئمَّة الأطهار عليهم السّلام أيضاً.

وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاء؛

الأسماءالكريمة

إنَّ أسماء أهل البيت عليهم السّلام شائعة بين الناس وجارية عـلىٰ ألسـن المؤمنين بالتعظيم والإجلال والرفعة، بل وحتّىٰ أُولئك الذين لا إرتباط لهم بهم كانوا يلهجون بأسمائهم ويتبرّكون بها.

ولقد حارب النواصب -وخاصَّةً في بلاد الشّام- أسماء أهل البيت مدّةً من الزّمـن، وآذوا المسمّين بـتلك الأسـماء بأنـواع الأذىٰ، ولكـنّها عـادت أسـماء عزيزة وكريمة وشاعت وراجت بين الناس حتّىٰ في تلك البلاد، ومـا زالت إلىٰ يومنا هذا.

إنَّ لأسماء أهل البيت نورانيَّة خاصَّة ومـعنويّة مـتميّزة، وقـد شـاء اللّـه أنْ تـبقىٰ تـلك الأسـماء الشـريفة كـما شـاء أنْ يـبقىٰ إسـم جـدّهم خـالداً رغـم محاولات الأعداء.

وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَاد ؛

أجسادهم كسائر الأجساد في الظاهر

فأنتم - يا أهل بيت رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله - بشرٌ كسائر أفراد البشر بحسب الظاهر، ونشأتكم الظاهريَّة موافقة لنشأة سائر الناس، فمن جهة الوجود، لكم آباء ولكم أُمَّهات تولدون منهم، ولكم أعضاء وجوارحَ مثل بقيَّة أفراد الإنسان، فبحسب ظاهر الحال، فإنَّ الإمام عليه السّلام لا يختلف عنّا من الناحية الجسديَّة.

ولكن، هل إنَّ عين الإمام عليه السَّلام كأعيننا؟!

إنَّه "عين اللّه" تعالىٰ.

وهل إنَّ لسان الإمام عليه السّلام هو مثل لساننا؟!

إنَّه "لسان اللّه" تعالىٰ.

وهل أنَّ يدَ الإمام عليه السّلام لا تختلف عن أيدينا؟!

إنَّه "يد اللّه" تعالىٰ.

وهل أنَّ وجه الإمام عليه السَّلام كوجوه سائر الناس؟!

إنَّه "وجه اللّه" تعالىٰ.

نعم، بحسب الظاهر، هو لا يختلف عنّا جسديّاً، ولكن حقيقة حال أهل العصمة عليهم السّلام شيء آخر.

إنَّ أجساد النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الأطهار تمتاز بخصوصيّات لا يشاركهم فيها جسد من أجساد بني آدم، فهُم مخلوقون من نور اللّه تعالىٰ.

وقد جاء في الروايات بأنّ أجساد حضرات المعصومين عليهم السّلام لم يكن لها ظلّ، وكان لها رائحة عطرة ممتازة.

وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاح ؛

ظاهر هذه العبارة أنّ حقيقة الروح الإنسانيّة في الإمام عليه السّلام لا تختلف عنها في غيره من أفراد البشر.

ولكنّ الكلام في حقيقة الرّوح، وفي جهات الإختلاف بين روح الإمام وغيره من أفراد الإنسان من البحوث القيّمة المطروحة في الكتب المعنيّة بذلك.

والذي نكتفي بالقول به هنا أن روح الإمام محيطة بإذن اللّه بكلّ العوالم وتمتلك كافّة الكمالات، فلا يقاس بروح المعصوم روح أحدٍ من الناس.

فتعساً لقومٍ تركوا القول بإمامة الأئمّة الطّاهرين، واقتدوا بأُناسٍ سافلين.

وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوس ؛

وكذلك الكلام في أنفس الأئمّة عليهم السّلام.

إنّ النبيّ الأكرم والأئمّة بشر مثل سائر أفراد البشر كما تقدّم، واللّه تعالىٰ يقول:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم ﴾ (١).

---

(١) سورة الكهف (١٨): الآية ١١٠.

أي: روحاً ونفساً وجسماً، ولكنّ كلّ الفرق في كلمة: ﴿ يُوحىٰ إِلَيَّ ﴾ [1].

فهو والأئمّة معصومون، وكيف يقاس غير المعصوم بالمعصوم؟ نعم، قد أُمرنا بالإقتداء بهم والإهتداء بهديهم والسّعي وراء التشبُّه بهم في جميع الأبعاد، أمّا أنْ نكون مثلهم فلا! قال أمير المؤمنين:

«ألا وإنَّكم لا تقدرون علىٰ ذلك ولكن أعينوني بورعٍ وإجتهاد وعفّة وسداد» [2]

وَآثَارُكُمْ فِي الآثَار ؛

لا يخفى أنَّ أكثر الناس الذين جاءوا إلىٰ هذا العالم فعاشوا مدّةً وغادروه إلىٰ العالم الآخر، لم يتركوا أثراً أصلاً أو ليس الأثر الحاصل من وجودهم شيئاً يذكر.

ومن الناس من وجد منه الأثر السيّء والعياذ باللّه، ومنهم -وهم كثيرون- من ترك أثراً حسناً يذكر بسببه بالخير حيّاً وميّتاً، كبناء مسجد أو تأسيس مستشفىٰ أو تأليف كتاب ينتفع به الناس.

ولكن، أين مثل هذه الآثار بالقياس إلىٰ آثار الأئمّة الأطهار عليهم السّلام؟ فكم هو الفرق بين آثار الآخرين وآثار الأئمّة الطّاهرين من المعارف، العلوم، وغير ذلك.

نعم، فهذه آثار وتلك آثار، ولكن أين هذه من تلك؟

فمن جهة البشريّة، لا فرق بين الأئمّة الأطهار عليهم السّلام وغيرهم من

---

(١) سورة الكهف (١٨): الآية ١١٠.

(٢) نهج البلاغة: ٤١٧، الكتاب ٤٥؛ إرشاد القلوب: ٢/ ٢١٤.

سائر الناس، فالأئمّة لهم أرواح، وسائر الناس لهم أرواح، فكلُّ موجود حيٍّ له روح، وله أعضاء وجوارح، له نفس وله أثر، سواءاً في حياته أو بعد وفاته.

ولكننا إذا لاحظنا أهل البيت عليهم السّلام والآثار التي تركوها في هذا العالم في حياتهم وبعد إستشهادهم، لم يكن للمقايسة بينها وبين آثار الآخرين وجه أبداً.

وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ؛

القبور المباركة النورانيّة الخالدة

ثمّ إنَّ كلَّ الناس إذا ماتوا، يدفنون، وقبور كثير منهم معلومة، والأئمّة عليهم السّلام أيضاً كذلك، ولكن أين قبور غيرهم من قبورهم؟!

إنَّ الإنسان إذا دخل إلىٰ حرم النبيّ الأكرم أو أيّ واحدٍ من الأئـمّة الأطـهار عليهم السّلام، تتغيَّر أحواله المعنويّة، وقد يجد من الروحانيّة والنورانيّة والنشاط المعنوي ما لا يمكن وصفه، وكأنَّه يرىٰ نفسه في عالم غير عالم الدنيا، ويتذكر اللّه ويتذكر القيامة، وتنتابه حالات يتمنىٰ أن تبقىٰ معه ولا تزول عن روحه ونفسه إذا ما خرج من الحرم الشريف إلىٰ أن يعود إليه مرّةً أخرىٰ، وهكذا، فيكون واجداً لتلك الحالات علىٰ الدوام، وهذا من بركات مـراقـدهم المـتبرّكـة ومشـاهدهم المطهّرة، ومن آثار الأوامر المؤكّدة بزيارة قبولهم الشريفة.

فالأيّام المعدودة التي يقضيها الزائر في مشهد الإمام الرضا عليه السّلام، في خراسان مثلاً، هي مقطع زمانيّ يختلف تماماً عن سائر الأيّام التي يقضيها الإنسان في محلّ إقامته.

فالإنسانُ يرتكب الذنوب والآثام في بلده، ولكنَّه في بلد حرم الأئمَّة عليهم السّلام يستوقف نفسه لمحاسبتها، فيقول: إنَّني جئت للزيارة، فيستقبح منها إرتكاب المعصية، وهذا هو أحد آثار زيارتهم عليهم السّلام.

فلو أنَّ هذه الحالة المعنويَّة والروحانيَّة تبقىٰ ملازمة للإنسان إلىٰ أخر عمره، فكيف ستكون النتيجة؟

أيمكن إنكار بركات زيارة قبور الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام؟!

وكم تستجاب دعوات الناس وتلبّىٰ حاجاتهم المعنويَّة والماديّة في هذه المشاهد الشريفة؟ وكم تحلُّ عقد المكاره والمشاكل علىٰ أثر الزيارة والتوسّل والإستشفاع بهم؟

فَمَا أَحْلَىٰ أَسْمَاءَكُمْ؛

أحلىٰ الأسماء

نعم، فللناس أسماء، ولكم -يا أهل البيت- أسماء، والإسم إسمٌ، ولكن كم هي نورانيَّة الأسماء، محمّد، عليّ، فاطمة، الحسن، الحسين، أحمد، محمود، باقر، صادق، جعفر، كاظم ورضا، وكم هي جميلة وذات معنىٰ.

فلو مررنا بأسماء هؤلاء الكرام الأطهار عليهم السّلام، علىٰ سائر الأسماء لأحسسنا الفرق الكبير بينهما.

إنَّ لأسماء الأئمَّة عليهم السّلام معاني رفيعة تؤثّر في نفس من سمّي بها وتغيّرها، فإنَّ من سمّي بـ"أحمد" أو "الجواد" أو "الرّضا" تظهر علىٰ

سلوكه وأخلاقه آثار الإسم، فلم يسمّونا بهذه الأسماء تشهّياً. بل لأنّ لهذه الأسماء مضامين. بخلاف مثل "الحرب" وأمثاله من أسماء الشائعة بين العرب، و"جنكيز" وأمثاله الشائعة عند الفرس، فإمّا توحي بمعاني فاسدة أو هي مهملات فاقدة للمعنىٰ -فما ورد الأمر بالتسمية بالأسماء الحسنة وماجاء التأكيد علىٰ التسمية بها، إلاّ لآثارها المعنويّة الإيجابيّة في النفوس، هذا من جهة.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنّ التّسمية بهذه الأسماء من علائم الحبّ ولذلك أثره الخاصّ به، فعن أبي عبد اللّه عليه السّلام أنّه قيل له:

إنّا نسمّي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال:

اي واللّه، وهل الدّين إلاّ الحبّ؟

قال اللّه تعالىٰ:

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [١].

ومن جهة ثالثة، فإنّ لهذه الأسماء آثاراً دنيويّة، فعن أبي الحسن عليه السّلام أنّه قال:

«لا يدخل الفقر بيتاً فيه إسم محمّد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد اللّه أو فاطمة من النّساء.» [٢]

---

(١) سفينة البحار، ٤/ ٢٩٥.

(٢) المصدر.

وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُم ؛

النفوس الكريمة

إنَّ مادَّة "الكرم" تطلق علىٰ الشيء الثمين القيِّم. قال الراغب الإصفهاني:

«وكلّ شيء شرف في بابه فإنَّه يوصف بالكرم، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَريم ﴾، ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَريم ﴾، ﴿ وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَريما ﴾ »[1]

ومن ذلك مثلاً: الأحجار الثمينة كالعقيق والفيروزج و...، فإنَّها تسمّىٰ "الأحجار الكريمة" ويقال لعين الإنسان كريمة، كما يقال للبنت، فإنَّها تكون عزيزة عند أهلها وثمينة.

فما أكرم أنفسكم يا أهل البيت عند اللّه وما أعلىٰ قِيَمها، فأنتم عباد اللّه تعالىٰ، ولكنكم عبادٌ "مكرمون"، كما مرَّ هذا المعنىٰ في محلِّه.

وَأَعْظَمَ شَأْنَكُم ؛

الشأنُ العظيم

أيّ شأنٍ عظيم هو شأن أهل البيت؟ إنَّ شأنهم عليهم السّلام هو من شأن الباري عزَّوجلّ، أفيمكن أن يقف الإنسانُ علىٰ عظمة شأنهم؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٢٩.

وَأَجَلَّ خَطَرَكُم ؛

المقام الشامخ

وكلمة "خطر" في لسان العرب تدلُّ علىٰ مكانة رفيعة، قال الخليل:

«والخطر: إرتفاع المكانة والمنزلة والمال والشرف... ويقال: هذا خطر لهذا أي: مثل في القدر، ولا يكون إلاّ في الشيء العزيز. ولا يقال في الدون إلاّ للشيء السري، ويقال: ليس له خطر أي: نظير ومثيل،... ويقال للرجل الشريف: هو عظيم الخطر»[1]

فكلُّ الناس بشرٌ، ولكن أهل البيت عليهم السّلام ممتازون عن كلِّ البشر، وإمتيازاتهم عليهم السّلام واقعيّات وأُمور وجدانيَّة يشهد بها كلّ من عاشرهم أو عاصرهم أو قرأ سيرتهم وأحوالهم ، ولا تحتاج إلىٰ إثبات بآية أو حديث.

ففي هذا المقطع نقول:

أنتم يا أهل البيت، بحسب ظاهر الخلقة، كبقيَّة الناس، ولكنَّ أسمائكم جميلة وعذبة وذات معنىٰ، ولكم مقامٌ ومنزلة سامية، وقد تقدّمت الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ في شرح عبارة:

«إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُم وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُم...»

---

(١) كتاب العين: ٤/ ٢١٣.

وَأَوْفَىٰ عَهْدَكُم واَصدَقَ وَعْدَكُمْ ؛

الوفاءُ والصدق

في هذه العبارة، ذُكر وصفان من أوصاف المعصومين عليهم السّلام.

الوفاء بالعهد.

الصّدق في الوعد.

ولماذا ذكر هذان الوصفان هنا؟

لعلَّ السّبب لذكرهما قلّة إتّصاف الناس بهما، فكلُّ من تتبّع وتأمّل في حياته الشخصيَّة وتجاربه العمليَّة فسيجد أنَّ أكثر الناس لا يوفون بعهودهم، حتّىٰ سار عدم الوفاء بالعهود مثلاً.

أمّا الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام فقد إمتازوا عن الناس، فنحن نخاطبهم ونقول أنتم بحسب الظاهر كسائر البشر، ولكنّكم ممتازون عنهم، ليس فقط في الوفاء بالعهد، بل إنَّكم في أعلىٰ مراتب الوفاء بالعهد.

والوفاء بالعهد صفة إلهيَّة خلق ربّاني، يقول القرآن المجيد:

﴿ وَمَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰه ﴾ [1].

وعلىٰ هذا الأساس، فإنَّ هذه الصفة الإلهيَّة، قد تجلَّت في أهل البيت بأروع تجلّياتها، والحال إنَّها مفقودة تقريباً في سائر البشر.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ الوفاء بالعهد هو من الواجبات، فيقول تعالىٰ في كتابه:

---

(١) سورة التوبة (٩): الآية ١١.

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلا ﴾ (١).

فالإنسان يُسئَل عن عهده، ومع ذلك، فإنَّ الموفين بعهودهم قليلون، ولا يعمل بهذا التكليف الواجب إلاّ الخواصّ من الناس.

هذا، وإنَّ اللّه تعالىٰ قد أوجب الوفاء بالعهد حتّىٰ للكفّار.

فلو أنَّ مؤمناً تعاهد مع كافرٍ علىٰ أمرٍ مّا، وجب عليه الوفاء بعهده ويحرم عليه نقض العهد.

قال تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عٰاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقٰامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُم ﴾ (٢).

فالآية المباركة نصّ في وجوب الوفاء بالعهد للمشركين ماداموا لم ينقضوا عهدهم.

إنَّ مشكلتنا تكمن في إنّنا ندّعي الإسلام والولاية لأهل البيت عليهم السّلام، ولكنّنا نفتقد للوفاء بالعهد، وهذا أحد أسباب تخلّفنا.

إنَّ الوفاء بالعهد علىٰ قدر كبير من الأهميَّة في الشريعة الإسلاميَّة وأخلاق أهل البيت، وعلينا أنْ نقتدي بهم في ذلك.

والآن، تعالوا نلقي نظرة علىٰ سيرة أُولئك الذين إدّعوا الإمامة -أو أُدُّعيت لهم - في مقابل إمامة أهل البيت عليهم السّلام، كم كانوا ملتزمين بالوفاء بالعهد؟! بل كان هؤلاء أبطالاً في خلف العهد وكذب الوعد.

---

(١) سورة الإسراء (١٧): الآية ٣٢.

(٢) سورة التوبة (٩): الاية ٧.

فالبيعة نوع عهدٍ، أفَلَم يبايع أصحاب السقيفة أمير المؤمنين عليه السّلام يومَ الغدير؟!

ألم يبايع أصحاب الجمل أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم غدير خم؟!

والصفة الثانية "صدق الوعد".

العهد: هو الإلتزام تجاه الغير بشيء، وقد يكون من كلا الطّرفين وهو المعاهدة.

وأمّا الوعد فهو التزام من طرف واحد، فيعد أحدهم الآخر بالقيام بأمر ما، وهنا يجب الصّدق في الوعد حتّىٰ لو لم يكن بينهما مكاتبة.

وصدق الوعد أيضاً من الصفات الإلهيَّة، يقول القرآن الكريم:

﴿ لاٰ يُخْلِفُ اللّٰهُ الْمِيعٰاد ﴾ (١).

ويقول في آية أُخرىٰ:

﴿ لاٰ يُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَه ﴾ (٢).

ويشير في مورد آخر إلىٰ صدق الوعد ويقول:

﴿ إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَصٰادِق ﴾ (٣).

ومقتضىٰ هذه الآيات القرآنيَّة الكريمة، أنَّ كلَّ ما وُعد به الناس سوف يتحقَّق لا محالَة.

ويشير عزَّوجلّ في آية أُخرىٰ إلىٰ حتميَّة الوعد ويقول:

---

(١) سورة الزمر (٣٩): الآية ٢٠.

(٢) سورة الروم (٣٠): الآية ٦.

(٣) سورة الذاريات (٥١): الآية ٥.

﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [١].

ولقد كان نبيُّ اللّه إسماعيل عليه السّلام متّصفاً بهذه الصفة فمدحه اللّه تعالىٰ في كتابه بقوله:

﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْد ﴾ [٢].

ومن المقطوع به أنَّ النبيّ الأكرم والأئمّة الأطهار عليهم السّلام أولىٰ من غيرهم مطلقاً في هذه السجيّة الحميدة.

ذات يوم تواعد النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مع أحد الشخص بأن ينتظره في مكانٍ معيَّن، فتأخّر ذلك الشخص ولم يأت علىٰ الموعد المحدَّد. لكنَّ النبيُّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بقي ينتظره ولم يبرح من ذلك المكان. [٣]

ووقع نظير هذه القضيّة لإسماعيل عليه السّلام، ولذلك أُطلق عليه هذا الوصف. فعن منصور بن حازم عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«إِنَّمَا سُمِّيَ إِسْمَاعِيلُ صَادِقَ الْوَعْدِ لِأَنَّهُ وَعَدَ رَجُلًا فِي مَكَانٍ فَانْتَظَرَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ سَنَةً فَسَمَّاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ صَادِقَ الْوَعْدِ

ثُمَّ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ أَتَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ مَا زِلْتُ مُنْتَظِراً لَك.» [٤]

وهكذا كان الأئمّة الأطهار عليهم السّلام أيضاً، ففي الوقت الذي لم تكن هذه الأخلاق والصفات الإلهيّة موجودة في أغلب الناس من المجتمع، كان

---

(١) سورة مريم (١٩): الآية ٦١.

(٢) سورة مريم (١٩): الآية ٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥١/١٧، ذيل حديث ٤.

(٤) الكافي: ١٠٥/٢، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٥/٦٨، حديث ٧.

الأئمَّة عليهم السّلام هم المظاهر لها، فقد تجلّت فيهم في أعلىٰ مراتبها وأروع صورها.

وكم أوصىٰ الأئمَّة عليهم السّلام شيعتهم بضرورة الإتّصاف بهذه الأوصاف البارزة، كالوفاء بالعهد والصدق بالوعد.

وقد وردت في هذا السياق روايات كثيرة عنهم، رواها الشيخ الكيني في أُصول الكافي، وكذا نقلها آخرون في كتبهم الأخلاقيَّة وسائر المصادر.(١)

ففي رواية هشام بن سالم قال:

«سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ:

عِدَةُ الْمُؤْمِنِ أَخَاهُ نَذْرٌ لَا كَفَّارَةَ لَهُ فَمَنْ أَخْلَفَ فخلف اللَّهِ بَدَأَ وَلِمَقْتِهِ تَعَرَّضَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون** ﴾ (٢)» (٣)

وفي رواية أُخرىٰ عن الإمام الصادق عليه السّلام، أنَّ النبيّ الأكرم محمَّداً صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فَلْيَفِ إذا وعد» (٤)

---

(١) راجع كتاب الكافي: ١٠٥/٢، باب «الصدق وأداء الأمانة» و٣٦٣ باب «خلف الوعد». بحار الأنوار: ٣٣١/٥، باب ١٨ «باب الوعد والوعيد»، ٢٦٠/٦٨، باب ٧٤ «باب الوفاء بما جعل اللّه علىٰ نفسه»، ٩١/٧٢، باب ٤٧ «باب لزوم الوفاء بالوعد والعهد».

(٢) سورة الصف (٦١): الآية ٢-٣.

(٣) الكافي: ٣٦٣/٢.

(٤) نفس المصدر.

كَلَامُكُمْ نُور ؛

الكلام النور

قد تقدَّم منّا أنَّ كلّ ما عند الأئمَّة عليهم السّلام هو من عند اللّه، فمعارفهم وعلومهم قد أخذوها إمّا من رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عـليه وآله، ذلك النـبيّ الذي صرَّح الذكر المجيد بأنَّه:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾ (١).

وحينئذٍ تنتهي إلىٰ اللّه تعالىٰ.

وإمّا عن طريق الإلهام، فإنَّ الأئمَّة ملهمون من ناحية اللّه تعالىٰ، أو عن طريق الملائكة، فإنَّ الأئمَّة عليهم السّلام محدَّثون، وهو ينتهي أيضاً إلىٰ اللّه تعالىٰ.

وقد وردت روايات كثيرة في هذا المعنىٰ:

عن أبي هاشم الجعفري، إنَّه سمع الإمام الرضا عليه السّلام يقول:

«الأئمَّة علماء حلماء صادقون مفهّمون محدَّثون» (٢)

وعن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«كان عليّ عليه السّلام يعمل بكتاب اللّه وسنَّة رسوله، فإذا ورد عليه شيء والحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنَّة ألهمه اللّه الحق فيه إلهاماً، وذلك واللّه من المعضلات» (٣)

---

(١) سورة النجم (٥٣): الآية ٣و٤.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٤٥، حديث ٤٢٦؛ بحار الأنوار: ٢٦/٦٦، حديث ١.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٥٤، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٦/٥٥، حديث ١١٣.

وإمّا أن تكون معارفهم وعلومهم عليهم السّلام قد أخذوها من القرآن الكريم الذي فيه تبيان كلّ شيء.قال تعالىٰ:

﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْء ﴾ [١].

إذن، فكلام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام ينتهي إلىٰ اللّه تعالىٰ، والكلام الإلهيّ نورٌ لا ظُلمة فيه.

ثمَّ إنَّ "النور" هو الشيء الذي قالوا فيه:

«هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره» [٢]

فكلام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، كذلك، وهو كالقرآن المجيد الذي يصفه اللّه تعالىٰ بقوله:

﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِينا ﴾ [٣].

فكما إنَّنا قد أُمرنا بالإيمان بالقرآن المجيد، فنحن مأمورون أيضاً بالإيمان بكلام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، فكلاهما نور.

يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا ﴾ [٤].

ولذا، فإنَّ من صمَّ أُذنيه عن سماع كلام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، ولم

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٨٩.

(٢) راجع بحار الأنوار: ٥٧/٨٨؛ النهاية في غريب الحديث: ١٢٤/٥؛ لسان العرب: ٢٤٠/٥؛ تاج العروس: ٥٦٨/٧.

(٣) سورة النساء (٤): الآية ١٧٤.

(٤) سورة سورة التغابن (٦٤): الآية ٨.

يطعهم فيما يقولون، فإنَّ مثله كمثل من لم يعمل بالقرآن الكريم، ولم يطع كلام اللّه تعالىٰ، وأدار ظهره لذلك النور. يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[١].

وكما أنَّ الإعراض عن القرآن الكريم والمخالفة لأحكامه لا يقلّل من شأنه وعظمته لحفظ اللّه سبحانه كما قال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾[٢].

ألم يُنكر يزيد بن معاوية، القرآن الكريم؟!

ألم يعلن كفره أمام الملأ في مجلسه، وقد أحضر الرأسُ الطاهر للإمام الحسين عليه السَّلام، وأوقف بنات رسول اللّه وذريَّته أُسارىٰ بين يديه، وهو يترنّم بهذه الأبيات الشعريَّة:

«ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا حي نزل»[٣]

وذاك الوليد بن يزيد الذي يرمي القرآن الكريم بالسّهام، كما نقل ذلك علماء الفريقين، قال الشيخ المجلسي رحمه اللّه:

«حتّىٰ وصل الأمر إلىٰ خلافة الوليد بن يزيد الزنديق الّذي تفأّل يوماً من المصحف فخرج ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد ﴾[٤]فرمىٰ المصحف من يده، وأمر أن يجعل هدفاً ورماه بالنشاب! وأنشد:

---

(١) سورة النور (٢٤): الآية ٤٠.

(٢) سورة الحجر (١٥): الآية ١٩.

(٣) روضة الواعظين: ١٩١؛ تاريخ الطبري: ١٨٧/٨.

(٤) سورة إبراهيم (١٤): الآية ١٥.

تـــهدّدني بـــجبّار عـــنيد فـــها أنـــا ذاك جـبار عـنيد!
إذا مـا جـئت ربك يـوم حشـر فقل: يا ربِّ! مزّقني الوليـد»[1]

ولكنَّ القرآن المجيد بقي محفوظاً، لأنَّ اللّه تعالىٰ قد وعد بحفظه.

كذلك الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، لم يقلّل اعراض بعض الناس عنهم شيئاً من شأنهم وجلالتهم، ولم يؤثّر علىٰ نورانيَّة كلامهم، بل لقد حارب الأعداء فقه وتعاليم ومعارف الأئمَّة عليهم السّلام ظنّاً منهم أنَّهم سيمحون هذا التراث الإلهيّ، ولكن تلك الكلمات النورانيَّة بقيت محفوظة وستبقىٰ إلىٰ الأبد، لأنَّ اللّه تـعالىٰ يقول:

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللّٰهُ إِلاّٰ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَـرِهَ الْكٰافِرُونَ ﴾[2].

نعم، فكلام الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام نور إلهيٌّ لا يمكن إطفاؤه، لأنَّ اللّه يأبىٰ ذلك.

وَأَمْرُكُمْ رُشْد؛

أمر الأئمَّة الراشد

إنَّ أمر الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام رشدٌ.

والرشد، هو ما نقرؤه في آية الكرسي المباركة، حيث يقول تعالىٰ:

---

(1) الطرائف: ١٦٧؛ بحار الأنوار: ١٩٣/٣٨.

(2) سورة التوبة (٩): الآية ٣٢.

﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَي ﴾[١].

فاللّه تعالىٰ قد بيَّن الأمر الرشد والطريق المستقيم الذي هو طريق الهداية وميَّزه عن طريق الضلالة والغيّ.

قال الراغب الإصفهاني:

« والرشد: خلاف الغي، يستعمل إستعمال الهداية، يقال: رشد يرشد، ورشد يرشد، قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون ﴾[٢]، وقال: ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَي ﴾[٣].»[٤]

إذن، فمن سلك طريقاً من الطرق الملتوية والمعوّجة، فقد ظلم نفسه، لأنَّ اللّه تعالىٰ قد أقام الحجَّة عليه وبيَّن له طريق الهداية، كما إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد أدّىٰ ما عليه من الدلالة علىٰ طريق الهدىٰ والصلاح، والأئمَّة عليهم السّلام، قاموا بأداء وظيفتهم علىٰ أتمِّ وجه.

وكلمة "الأمر" هنا سواءاً كانت بمعنىٰ الأمر في مقابل النهي الذي جمعه "أوامر"، أو كانت بمعنىٰ الأمر بمعنىٰ الشأن الذي جمعه "أُمور"، فإنَّ أوامر وأُمور الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام رُشد، ولا خلل ولا ضلال في كلامهم ولا ظلمة ولا شبهة، لأنَّ نهجهم نهج رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وإنَّ كلَّ أوامرهم ونواهيهم هي أوامر ونواهي إلهيَّة، وهي رسالة النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

وبناءاً علىٰ ذلك، فكما إنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والقرآن المجيد

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ١٨٦.

(٣) سورة البقرة (٢): الآية ٢٥٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٩٦.

يهديان إلىٰ الرشد، كذلك الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْد ﴾[1].

ويقول القرآن الكريم في الأئمَّة عليهم السّلام:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون ﴾[2].

هذا وقد بحثنا بعض الشيء عن حالات الأئمَّة عليهم السّلام في شرح كلمة "الراشدون" وأنَّهم أرادوا الخير والصلاح للأُمَّة، خلافاً لأدعياء الإمامة، فإنَّهم أئمَّة ضلال، ولم يكن هدفهم صلاح الأُمَّة وهدايتها، وإنَّما كانوا يهدفون الرئاسة، وقد فضحهم التأريخ بشكل سافر، وحكىٰ للأجيال سيرتهم وأغراضهم الدنيئة في هذا العالم.

وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَىٰ؛

الوصيَّة بالتقوىٰ

لا يخفىٰ أنَّ "الوصيَّة" لا تختصُّ بما بعد الموت، بل هي أعمّ، ولذا قال الرّاغب:

«الوصيَّة التقدّم إلىٰ الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ»[3]

(١) سورة الجن (٧٢): الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات (٤٩): الآية ٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٥.

فإذا أوصىٰ بالتقوىٰ، فهو يريدها من الناس في حال حياته وبعد مماته.

و"التقوىٰ" في اللغة "الوقاية"[١]، وعن أبي عبد اللّه الصّادق عليه السّلام أنّه قال لمن سأله عنها:

«أنْ لا يفقدك حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك»[٢]

والقرآن الكريم مملوء بالأمر بالتقوىٰ والوصيَّة بها. قال تعالىٰ:

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[٣].

وكذلك الأنبياء، كان أوّل ما أمروا به هو التقوىٰ، كما في القرآن الكريم في سورة الشعراء. وقد ذكرنا مراراً أنَّ الأئمَّة عليهم السّلام ما أمروا الناس إلاّ بما أمر اللّه به ورسوله، وعلىٰ رأس ذلك "التقوىٰ".

من آثار التقوىٰ

فوصيَّة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، هي التقوىٰ، وإنَّ أحد الشواهد علىٰ أنَّ كلامهم نورٌ وأنَّ أمرهم رشد، هو أنَّهم كانوا علىٰ الدوام يوصون بالتقوىٰ.

ويترتب علىٰ التقوىٰ الأثران المهمّان:

١- حفظ الشريعة والحدود الإلهيَّة، وذلك من خلال نشر التَّقوىٰ في المجتمع، فإنَّ الفرد والمجتمع المتّقي لا يرتكب الذنوب والمعاصي، وبذلك تحفظ الحدود الإلهيَّة وأحكام الدين في المجتمع.

٢- سعادة الإنسان وصلاح البشريَّة.

---

(١) المصدر.

(٢) سفينة البحار: ٥٥٨/٨.

(٣) سورة النساء (٤): الآية ١٣١.

فإنَّ المجتمع إذا صار متّقياً، حُفظت الحقوق الفرديَّة والإجتماعيَّة، فلا أحد يتجاوز ويعتدي علىٰ كرامة وأعراض وأموال وأنفس الناس.

فالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام عندما يوصون بالتقوىٰ، فإنَّهم يرومون تحقّق هذه النتيجة، وهي حفظ الحدود والأحكام الإلهيَّة وصلاح وسعادة الناس وحفظ حقوقهم.

والأئمَّة عليهم السّلام كانوا علىٰ الدوام يوصون بمثل هذه الوصايا ويرغّبون الناس فيها، وليس لمثل هذه الوصايا نفع خاص يعود علىٰ الأئمَّة عليهم السّلام، فلا صلاح المجتمع ينفعهم نفعاً خاصّاً، ولا فساد المجتمع يضرُّهم، ولكنَّهم يريدون اللّه بذلك، ويريدون سعادة وصلاح البشر وفلاحهم وفوزهم، وكلُّ كلامهم نور.

ووصاياهم بالتقوىٰ غير قابلة للإحصاء، فمن ألقىٰ نظرة علىٰ كتاب نهج البلاغة، الصحيفة السجّاديَّة، أُصول الكافي، بحار الأنوار، والمصادر الروائيَّة الأُخرىٰ، فإنَّه سيقف علىٰ كثرة تأكيدات الأئمَّة عليم السّلام، وقولهم:

«اوصيكم بتقوىٰ اللّه» (١)

وعن أبي عبد اللّه عليه السّلام أنَّه كتب في رسالة له: واعلم أنَّ الخلائق لم يوكلوا بشيء أعظم من التقوىٰ، فإنَّه وصيّتنا أهل البيت. (٢)

إنَّ التقوىٰ هي أوّل خطوة في طريق السير إلىٰ اللّه تعالىٰ، ولها مراحل عديدة إلىٰ أن يترقىٰ الإنسان في مدارج الكمال.

---

(١) نهج البلاغة: ١٣٢/١، الخطبة ٨٣؛ الكافي: ٦٣٦/٢، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٤٥٥/٢٢، حديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٥/٧٥.

ومن هنا، فإنَّ التقوىٰ عند أهل المعرفة، ليست إلاّ الصف الأوَّل في مدرسة الترقّي والسلوك إلىٰ اللّه، ولذا فهم يوصون أوَّل ما يوصون بها، وعلينا أنْ نتقدّم في السير ونترقّىٰ ونتدرّج في الكمال.

كانت تلك، إشارات حول التقوىٰ، ذلك الأمر الذي حثَّ عليه الأئمّة الأطهار عليهم السّلام.

من آثار المعاصي

ومن جهة أُخرىٰ، يمكن دراسة أهميَّة التقوىٰ من خلال الروايات التي تنهىٰ عن الذنوب والمعاصي وتبيّن آثارها.

فعن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«ما مِنْ نِكبةٍ تصيب العبد إلاّ بالذنب» [١]

وعن محمد بن مسلم قال:

«سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

إنَّ الذنب يحرم العبد الرزق» [٢]

وعن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال: كان أبي يقول:

«ان اللّه قضىٰ قضاءً حتماً ألّا ينعم علىٰ العبد بنعمةٍ فيسلبها إيّاه حتّىٰ يحدث العبد ذنباً يستحقّ بذلك النقمة» [٣]

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السّلام، أنّه قال:

---

(١) الكافي: ٢/٢٦٨.

(٢) نفس المصدر: ٢/٢٧٠.

(٣) نفس المصدر: ٢/٢٧٣.

«ما كان قوم قط في خفض عيشٍ فزال عنهم إلاّ بذنوبٍ إقترفوها، لأنَّ اللّه ليس بظلّامٍ للعبيد»[1]

وَفِعْلُكُمُ الْخَيْر؛

أفعال الخير

وبعد الفراغ عن البحث حول كلام ووصيَّة الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، نتناول فعلهم بالحديث ونقول؛ بأنَّ فعل الأئمَّة عليهم السّلام هو الخير، لا بمعنىٰ إنَّهم يفعلون الخير، وإنَّما بمعنىٰ أنَّ الخير ما فعلوه، كما في زيارة الإمام الحجَّة عجّل اللّه فرجه:

«فالمعروف ما أمرتم به والمنكر ما نهيتم عنه».[2]

ومن المعلوم إنَّ "الخير" ضدُّ "الشرّ".

وفي هذه الجملة عموم وإطلاق، ولعلَّها إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾[3].

ولا تخفىٰ الفوائد التي تشتمل عليها الآية المباركة علىٰ النبيه!

وقد إعترف كلُّ محبّيهم وأعدائهم في ضمن نقل أحوالهم وسيرتهم عليهم السّلام في الكتب بأنَّهم ما فعلوا إلاّ الخير، وما ذلك إلاّ لأنَّ أفعال الأئمَّة عليهم

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦٤/٧.

(٢) صصصص ٢١٨

(٣) سورة الأنبياء (٢١): الآية ٧٣.

السّلام هي فعل اللّه تعالىٰ، وأنَّ كلّ الخير عند اللّه عزَّوجلّ، يقول القرآن الكريم:

﴿ بِيَدِكَ الْخَيْر ﴾[١].

وبناءاً عليه، فإنَّ كلَّ ما يفعله المعصوم عليه السّلام فإنَّ اللّه عالم به، وبه تتجلّىٰ إرادته سبحانه وتعالىٰ.

يقول عزَّوجلّ في آية أُخرىٰ:

﴿ وَمٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيماً ﴾[٢].

وفي آية أُخرىٰ:

﴿ وَمٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّٰه ﴾[٣].

لأنَّه وحيٌ منه...

ثمَّ إنَّ اللّه عزَّوجلّ ذكر قوماً بأنَّهم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآْخِرِ وَيَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصّٰالِحِينَ ۞ وَمٰا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾[٤].

فذكر المسارعة في الخيرات في سياق الإيمان باللّه واليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووصفهم بـ"الصّالحين". ثمَّ وعدهم بأن ما يفعلون من خير فلنْ يجحدوه، بل سيثيبهم عليه ويجازيهم خيراً، ثم وصفهم بـ"المتّقين".

ومن المعلوم: أنّ من أظهر مصاديق فعل الخير هو السّعي في قضاء حوائج

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٢٦.

(٢) سورة النساء (٤): الآية ١٢٧.

(٣) سورة البقرة (٢): الآية ١٩٧.

(٤) سورة آل عمران (٣): الآية ١١٥.

المؤمنين، ففي الحديث عن الإمام أبي عبد اللّه الصّادق عليه السّلام:

«مَا قَضَى مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إِلَّا نَادَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ ثَـوَابُكَ وَلَـا أَرْضَىٰ لَكَ بِدُونِ الْجَنَّة»[1]

وكم هو مذمومٌ من لا يسعىٰ لقضاء حاجة أخيه، إلىٰ درجة أنَّ الإمام الصادق عليه السّلام قال فيه:

«أَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَنَعَ مُؤْمِناً شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، أَقَامَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْوَدّاً وَجْهُهُ، مُزْرَقَّةً عَيْنَاهُ، مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، فَيُقَالُ هَذَا الْخَائِنُ الَّذِي خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَىٰ النَّار»[2]

وقد أشرنا مراراً وبمناسبات عدَّة إلىٰ أنَّ الأفراد الذين يفعلون الخيرات في هذا العالم بأيِّ نحو من الأنحاء، ويسعون في حلِّ مشاكل الناس، هم من الأسباب التي أبىٰ اللّه أن يجري الأمور إلاّ بها، فاللّه عزَّوجلّ يُجري خيره علىٰ الناس بواسطة هؤلاء الأخيار.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ فاعلي الخير لعباد اللّه، هم المدبِّرون لأُمور خلق اللّه من قبل اللّه تعالىٰ.

ومن هنا ورد في الروايات بأنَّ من طرق بابكم للسعي في حاجته أو إعانته علىٰ أمر أهمّه فإنَّ هذه حوالة من اللّه تعالىٰ.

ففي رواية علي بن جعفر، قال:

«سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السّلام يَقُولُ:

---

(١) الكافي: ٢/١٩٤.

(٢) نفس المصدر: ٢/٧٣٦.

مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فِي حَاجَةٍ فَإِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَاقَهَا إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَصَلَهُ بِوَلَايَتِنَا وَهُوَ مَوْصُولٌ بِوَلَايَةِ اللَّهِ، وَإِنْ رَدَّهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ قَضَائِهَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُجَاعاً مِنْ نَارٍ يَنْهَشُهُ فِي قَبْرِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَة ....»(١)

نعم، فكأنَّ هؤلاء منصوبون من قبل اللّه تعالىٰ، ومن الملاحظ إنَّهم هم الذين يأتون إلىٰ ذوي الحاجة قبل أن يقصدوهم.

إنّه يوجد بين الناس أفرادٌ ليسوا مشهورين بل هم مغمورون، ولكنَّهم جعلوا أنفسهم وقفاً لذوي الحاجات ليراجعوهم في قضاء حوائجهم. لقد رأينا في مدينة قم، رجلاً كاسباً - رحمه اللّه - كان له دكّان بالقرب من السوق، وذات يوم مرض هذا الرجل، فقال له الطبيب عليك أن تبتعد عن الضجيج والزحام، وتختار منطقة سكنيَّة هادئةً ولتقلّ المراجعة إليك. فاختار نقطة في أطراف المدينة وفتح دكاناً كبيراً ومكتباً وشرع في العمل هناك، وبعد مدَّة قصيرة، عاد إلىٰ مكانه الأوَّل وقال: إنَّ ذلك المكان بعيد عن المجتمع، وإنِّي أريد أن أكون في وسط المجتمع من أجل السّعي في قضاء حوائج الناس.

وهكذا كان، فلقد كان لهذا الشخص وجاهة في الدوائر الحكوميَّة، وكان جادّاً في قضاء حوائج وحلِّ مشكلات الناس.

والآن، تأمّلوا في هذه الرواية! عن المفضَّل بن عمر عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ انْتَجَبَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ فُقَرَاءِ شِيعَتِنَا

(١) الكافي: ١٦٩/٢.

لِيُثِيبَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَكُن »[1]

وعن المعمَّر بن خلاّد، قال:

« سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة »[2]

هذا، ولابدَّ من الإلتفات إلىٰ أنَّ عبارة « فعلُكُم الخير » ظاهرة في العموم، فإنَّ عموم أفعال الأئمَّة عليهم السّلام هي خيرٌ محض، وكلُّ الخير كان في فعلهم عليهم السّلام وما فعلوه هو الخير، وما قالوه هو الحقّ، وحينئذٍ، علينا أن نفهم عظمة مثل هذا المقام والمنزلة الّتي كانت لهم. فمن غيرهم له مثل هذا المقام؟!

وَعَادَتُكُمُ الْإِحْسَان؛

إعتياد الإحسان

وهذه الجملة إشارة إلىٰ صفة أُخرىٰ من الصّفات الإلهيَّة، حيث نقرأ في الأدعية والمناجاة مع اللّه الجواد الكريم:

« عادتك الإحسان إلىٰ المسيئين »[3]

نعم، هذه صفة من صفات اللّه، فكم من كافرٍ ومشرك قد جاء إلىٰ هذا العالم

---

(١) الكافي: ٢/١٩٣.

(٢) الكافي: ٢/١٩٧.

(٣) الصحيفة السجّاديّة: ٢٠٦.

وخرج ولازال منهم الكثيرون يعيشون ويُنعمون برزق اللّه تعالىٰ ؟! فكم كان اللّه تعالىٰ محسناً في حقّ هؤلاء ؟ فكلُّ ما عند هؤلاء من الحياة والرزق والنعم هو من عند اللّه تعالىٰ، علىٰ الرغم من كفرهم به.

وكم من المسلمين الذين يتشهّدون الشهادتين، يرتكبون الذنوب والمعاصي ويتجرأون علىٰ هتك حرمة الأوامر الإلهيّة والنواهي.

ولكنَّ اللّه تعالىٰ يُحسن إليهم ولا يقطع عنهم نعمه ؟!

فمن الواضح أنَّ "الإحسان" يقابل "الإساءة"، ولكنَّ اللّه تعالىٰ ليس فقط لا يُسيء إلىٰ المسيئين وإنَّما هو يقابل إساءتهم بالإحسان إليهم، ولا يقطع أو ينقص من إحسانه إليهم شيئاً.

فأهل البيت عليهم السّلام لهم مثل هذه الصفة الإلهيّة، وفي سيرتهم تتجلّىٰ كما يشهد بذلك المخالف قبل المؤالف.

ولو تأمّلنا بالدقّة في هذه العبارة، لوجدنا أنَّها تشتمل علىٰ أمرين:

الأوّل: إنَّ الإحسان "عادةٌ" لأهل البيت عليهم السّلام، لا إنَّهم يفعلونه أحياناً.

الثاني: إنَّ لفظة "الإحسان" في هذه العبارة عامّة، فهم محسنون بكلِّ أنواع الإحسانِ، معتادون عليه، لا أن يكون من عادتهم الإحسان بحسب بعض أقسامه.

وكذلك هي مطلقة فيمن يحسنون إليه، فلا يقتصر إحسانهم علىٰ طائفة دون طائفة.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات في خصوص هذه الصّفة، وفي كلِّ آية منها فائدة جليلة.

يقول تعالىٰ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾[1].

فهنا تأكيد علىٰ الإحسان مع الأمر بذلك، بالفعل المضارع الظاهر في الإستمرار، ولم يُذكر في الآية من المأمور بهذا الأمر، ما يدلّ علىٰ إنَّه مطلق يشمل الجميع، فعلىٰ الجميع أن يكونوا محسنين من غير تقييدٍ بأيٍّ مقدار؟ وبأيٍّ كيفيَّة.

ويقول في آية أُخرىٰ:

﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْك ﴾[2].

وهذه عبارةٌ أُخرىٰ في الأمر بالإحسان بأقصىٰ مراتب الإمكان، وإلاّ فالإحسان كما أحسن اللّه إلىٰ رسوله الأكرم صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم بالمعنىٰ الحقيقي غير ممكن.

ويقول عزَّوجلّ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ﴾[3].

وعلينا أنْ نتفكّر ما معنىٰ أن يكون الإنسان محبوباً للّه.

والآن، هل يمكن لنا تصوُّر أبعاد إحسان اللّه تعالىٰ وحدِّها بحدود؟! كلاّ.

يقول تعالىٰ في كتابه الكريم:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[4].

وهكذا هو حال إحسان الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام.

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٩٠.

(٢) سورة القصص (٢٨): الآية ٧٧.

(٣) سورة البقرة (٢): الآية ١٩٥.

(٤) سورة إبراهيم (١٤): الآية ٣٤، سورة النحل (١٦): الآية ١٨.

والحاصل: إنَّ الإحسان هو عادةٌ وسجيَّة عند الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، ولم يكونوا ليسيئوا إلىٰ أحد أبداً، أمّا الذين تصدّوا لأمر الخلافة بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله، فإنَّ تأريخ هؤلاء حافل بالظلم والإساءة، فهم ليس فقط لم يعفوا ولم يصفحوا، وليس فقط لم يُحسنوا إلىٰ المسيئين، وإنَّما تجاوزوا ذلك فأساؤوا إلىٰ من أحسن إليهم.

فلو طالعتم تأريخ فتح مكَّة لوقفتم علىٰ عظمة إحسان النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لأهل مكَّة الذين حاربوه وآذوه، ولقد قارن أحد علماء أهل السنَّة بين ما فعله النبيّ صلّىٰ اللّه عليه وآله مع بني أُميَّة والمشركين في فتح مكّة، وما فعله بنو أُميَّة مع أهل البيت عليهم السّلام في واقعة كربلا، وقال في ذلك ثلاثة أبيات في قضيَّةٍ نادرة، وسنذكر ذلك قريباً.

وإقرأوا سيرة أمير المؤمنين عليه السّلام مع أهل الجمل الذي حاربوه، فلن تجدوا إلاّ الإحسان، بل كلَّ الإحسان.

فلقد كان أمير المؤمنين عليه السّلام ينصحهم ويعظهم ويردعهم عن غيِّهم، فكان عاقبة أمرهم الخسر والفشل وتغلَّب عليهم أمير المؤمنين عليه السّلام ولكنَّه أحسن إليهم، ومنع الناس من أخذ أموالهم والتعرُّض إلىٰ جرحاهم والمدبرين منهم.

فتلك المرأة التي جيَّشت الجيوش لحرب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأعانها علىٰ ذلك طلحة والزبير، وأصرّوا علىٰ غيِّهم إلىٰ أخر ساعة، قد قابلها أمير المؤمنين عليه السّلام بالإحسان وأحسن إليهم جميعاً، حتّىٰ مع الأسرىٰ الذين أسرهم جيش أمير المؤمنين؛ فلم يتعامل معهم بالمثل، بل أحسن إليهم كلَّ الإحسان.

والأجدر من ذلك بالذكر، تعامل أمير المؤمنين عليه السّلام مع قـاتله إبـن ملجم المرادي.

ولمّا ثار أهل المدينة ضدّ يزيد وخلعوه وانهزم بنو اميَّة، تكفّل الإمام زين العابدين عليه السّلام بعيالهم ونسائهم وأطفالهم وأحسن إليهم أيَّما إحسان، إلىٰ درجة إنَّهم قالوا بأنَّهم كانوا يشعرون بأنَّهم في بيوتهم.[(١)]

والآن، لكم أن تقارنوا ذلك مع أفعال هؤلاء في واقعة الحرَّة، التي حصلت بعد واقعة الطف الأليمة، حيث جيَّش يزيد الجيوش لغزو مدينة الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فأراق الدماء وقتل الصحابة وسبىٰ النساء وروَّع الأطفال و....

ثم ما قام به هؤلاء في مكَّة مهبط الوحي، إذ أرسل يزيد إليها، فرميت الكعبة بالمنجنيق وأحرق ستائرها الشريفة!

تلك إشارة سريعة إلىٰ حال أهل البيت وأخـلاقهم، وأنّـه كـانت عـادتهم الإحسان حتّىٰ إلىٰ المسيئين لهم، ومقارنة تاريخيَّة بينهم وبين المناوئين لهم، ولو أردنا التفصيل لطال بنا المقام.

وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَم ؛

السجايا الكريمة

قال الراغب:

«الكرم، إذا وصف اللّه تعالىٰ به فهو إسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر...

---

(١) راجع الصفحة: ٨٠ من هذا كتاب.

وإذا وصف به الإنسان، فهو إسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتّىٰ يظهر ذلك منه.»[١]

وهذه العبارة إشارة إلىٰ دعائه ومناجاته عليه السّلام مع اللّه تعالىٰ والتي جاء فيها:

«وسجيّتك الكرم والكفاية»[٢]

وجاء في أحوال الشيخ نصر اللّه بن يحيىٰ، من علماء أهل السنّة الشعراء أنّه قال: ذات ليلة رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام في الرؤيا، فقلت له: عندما فتحت مكّة تعاملتم مع الناس برفق وإحسان وقلتم:

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»

وعفوتم عن الجميع، ولكنّ بني أُميّة لمّا ملكوا قتلوا أولادكم في كربلا وسبوا نساءكم و...

فقال لي عليه السّلام:

«أما سمعت أبيات إبن الصيفي في هذا؟

قلت: لا.

قال: إذهب إلىٰ إبن الصيفي، فقد أنشأ الليلة أبياتاً في هذا المعنىٰ.

فذهبت إلىٰ إبن الصيفي وسألته عن الأبيات التي أنشأها في تلك الليلة، بعد أن أخبرته بالرؤيا، فاستعبر وبكىٰ وأقسم إنّه لم يُنشيء هذه الأبيات إلاّ الساعة، ولم يُطلع عليها أحداً، ثم أنشده في أهل البيت عليهم السّلام أبياتاً جاء فيها:

---

(١) المفردات في غريب القرآن.

(٢) راجع منهاج البراعة: ١٤ / ٣٥٦.

ملكنا فكان العفو منّا سجيّة ... فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارىٰ وطالما ... غدونا علىٰ الأسرىٰ نعفوا ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكلّ إناء بالّذي فيه ينضح»[1]

وهذا مثل عربي يقول: «وكلُّ إناءٍ بالّذي فيه ينضح»، وقد جاء هذا المعنىٰ في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾[2].

قال الراغب: أي علىٰ سجيَّته التي قيّدته، وذلك أن سلطان السجيَّة علىٰ الإنسان قاهر، وهذا كما قال صلّىٰ اللّه عليه وآله: كلّ ميسّر لما خلق له.[3]

أي إنَّ السجيَّة الباطنة تظهر علىٰ أقوال الإنسان وأفعاله، فتعلم طبيعته وخليقته من خلال ذلك، شاء أو أبىٰ. وبعبارة أخرىٰ: إنَّ الأقوال والأفعال مظاهر للنوايا، ولذا كانت الأعمال بالنيّات كما في الحديث النبوي. وعن أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام في حديثٍ عن خلود أهل الجنَّة وأهل النّار: فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء. ثمّ تلا قوله تعالىٰ:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾.

قال: علىٰ نيَّته.[4]

فمطالعة سيرة أهل البيت عليهم السّلام تدلُّنا علىٰ مدىٰ ما قدّمه هؤلاء الأطهار للآخرين من أفضال وإحسان، ولكنَّ الآخرين كفروا بهذه النعم، ومع ذلك

---

(١) قاموس الرجال: ١٢/١٠٠-١٠١؛ وفيات الأعيان: ٢/٣٦٤-٣٦٥.

(٢) سورة الإسراء (١٧): الآية ٨٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن.

(٤) الكافي: ٢/٨٥.

لم يقطع أهل البيت عليهم السّلام سيبهم عنهم، وبقي إحسانهم مستمرّاً متواصلاً، حتّىٰ لأولئك الذين آذوهم وشتموهم وتجاسروا علىٰ ساحتهم المقدّسة، لأنّهم كانوا مجالي الصّفات الإلهيّة، ومنها الكرم كما قال تعالىٰ:

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١].

فقد جاء في حالات الأئمّة عليهم السّلام أنّهم كانوا يبعثون بالأموال حتّىٰ إلىٰ أُولئك الذين يؤذونهم...

وقد إشتهر الإمام موسىٰ بن جعفر بذلك حتّىٰ لقّب بـ" الكاظم "، قال الخطيب البغدادي بترجمته:

«موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الهاشمي،... كان موسىٰ يدعىٰ العبد الصالح من عبادته وإجتهاده. روي أنّه دخل مسجد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فسجد سجدةً في أوّل الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوىٰ ويا أهل المغفرة، فجعل يردّدها حتّىٰ أصبح. وكان سخيّاً كريماً، وكان يسمع عن الرجل ما يؤذيه، فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار.

...وكان سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرّر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار،

---

(١) سورة النمل (٢٧): الآية ٤٠.

ثمّ يقسّمها بالمدينة، وكان مثل: صرر موسىٰ بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرَّة فقد استغنىٰ»[١]

وقال سبط ابن الجوزي:

«موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، ويلقَّب بالكاظم والمأمون والطيب والسيد، وكنيته أبو الحسن، ويدعىٰ بالعبد الصالح لعبادته وقيامه بالليل...

وكان موسىٰ جواداً حليماً، وإنَّما سُمّي الكاظم، لأنَّه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمال.»[٢]

وقال الذهبي:

«موسى الكاظم، الإمام القدوة... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمّة المسلمين. قلت: له عند الترمذي وإبن ماجة حديثان... له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، ولولده علي بن موسىٰ مشهد عظيم بطوس. وكانت وفاة موسىٰ الكاظم في رجب سنة ١٨٣...»[٣]

وقال إبن حجر الهيتمي:

«هو وارث أبيه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمّي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[٤]

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٩/١٣، رقم: ٦٩٨٧؛ تهذيب الكمال: ٤٤/٢٩، رقم ٦٢٤٧؛ سير أعلام النبلاء: ٢٧١/٦، رقم ١١٨ و...

(٢) تذكرة الخواصّ: ٣٤٨؛ صفوة الصفوة: ١٠٣/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٧٠/٦.

(٤) الصواعق المحرقة: ١١٢.

وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْق ؛

شأن الأئمّة الحق

لقد كان شأن الأئمّة كذلك، فالحقُّ لا ينفصل عنهم ولا يفارقهم أبداً، ولم يسمع عنهم ولم يُشاهَد منهم غير الحقّ، لا في أقوالهم ولا في أفعالهم ولا في تروكهم.

ومن هنا، فإنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال -فيما رواه علماء الفريقين بسندٍ صحيح- في حقِّ أمير المؤمنين عليه السّلام:

«علي مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ يدور مَعه حيث ما دار»(١)

فقوله: "يدور معه حيثما دار" صريحٌ فيما ذكرناه.

لقد كان شأن الأئمّة عليهم السّلام هو الحقُّ في كلِّ حالاتهم، والحقُّ من أسماء اللّه تعالىٰ كما سيأتي، فكانوا مظاهر لهذا الإسم، وقد كتب لهم البقاء رغم ما لاقوه من السّجن والتشريد والتقتيل.

فكم أُوذي جدّهم رسول اللّه، وكم أُوذيت اُمُّهم الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام، فماتت شهيدة؟

كم أُوذي أبناؤهم وطوردوا في كلِّ البلاد وسجنوا وعذِّبوا؟

وكم أُوذي شيعتُهم علىٰ مرِّ التأريخ؟

كم حاول أعداؤهم طمس معالمهم ومعارفهم ومحو آثارهم؟

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٠، حديث ١٠٢٨؛ كشف الغمّة: ١٤٦/١؛ بحار الأنوار: ٢٢/٢٢، حديث ٢؛ المستدرك على الصحيحين ١٢٤/٣؛ مجمع الزوائد: ١٣٤/٩؛ كنز الفوائد: ٦٠٣/١١، حديث ٣٢٩١٢.

وكلُّ ذلك لم ينجح في محو ذكرهم، لأنَّهم الحقّ، والحقُّ باقٍ لا يزول ولا يمكن أن يزول ويُمحق. يقول تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿ وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً ﴾ [(١)].

نعم، فما هو قابل للزوال هو الباطل لا الحقّ.

ويقول تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَىٰ الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِق ﴾ [(٢)].

وفي آية أُخرىٰ يضرب تعالىٰ مثلاً لطيفاً للحقِّ ومثلاً للباطل، وهو تمثيل واضحٌ لكلِّ الأفهام، ويقول:

﴿ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفٰاءً وَأَمّٰا مٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثالَ ﴾ [(٣)].

تُرى، أين هم بنو أُميَّة وبنو العباس والآخرون؟!

نعم، فهؤلاء هم أهل الباطل، وكلُّ أهل الباطل يمحقون ويزولون، فلا يبقىٰ إلاّ الحقّ.

و"الحقّ" من أسماء اللّه تعالىٰ كما في عدَّةٍ من الآيات [(٤)] وقد قال تعالىٰ:

﴿ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَأَبْقىٰ ﴾ [(٥)].

وكلّ من كان وما كان إلهيّاً فإنَّه باق، وقد ذكرنا أنَّ الأئمَّة مظاهر لهذا الإسم

---

(١) سورة الإسراء (١٧): الآية ٨١.

(٢) سورة الرعد (١٣): الآية ١٧.

(٣) سورة الأنبياء (٢١): الآية ١٨.

(٤) سورة يونس (١٠): الآية ٣٠، سورة الكهف (١٨): الآية ٤٤، سورة المؤمنون (٢٣): الآية ١١٦ وغيرها.

(٥) سورة طه (٢٠): الآية ٧٣.

كسائر الأسماء الحسنىٰ والصّفات العليا، ومن هنا، فإنَّ أسماء الأئـمَّة عليهم السّلام، فقههم، تعليماتهم وآثارهم لا زالت باقية، وستبقىٰ إلىٰ الأبد.

شأن الأئمَّة الصدق

ومن عظيم أحوال الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هو الصدق بمعنىٰ الواقعيَّة في كلِّ حالاتهم وأمورهم، فكانت أقوالهم وأفعالهم مطابقة للحقيقة والمصداقيَّة، إلاّ في بعض موارد التقيَّة والإضطرار.

قال الراغب الإصفهاني في معنىٰ الصدق:

«والصدق: مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معاً» [١]

إذن، فالأئمَّة الأطهار عليهم السّلام كانوا أهل الواقع والصدق في كلِّ أُمورهم وأحوالهم، ولم يكن في وجودهم غير الواقعيَّة.

شأن الأئمَّة الرّفق

والرفق: الملائمة والمحبَّة، في قبال الخشونة والغلظة.

قال ابن فارس:

«رفق (الراء والفاء والقاف) أصل واحد يدلّ علىٰ موافقة ومقاربة بلا عنف. فالرفق خلاف العنف، يقال: رفقت أرفق» [٢]

فعلىٰ أساس هذا الكلام يكون معنىٰ "الرفق" ما خالف الخشونة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٧٧؛ تاج العروس: ١٣/ ٢٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤١٨.

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام أهل الرفق والملائمة والسماحة، وليس للخشونة والغلظة والفضاضة موقع في قاموس حياتهم، وهذا طبعهم وشأنهم وسجيَّتهم باعتراف المؤالف والمخالف.

وهذه الصفة أيضاً من الصفات الإلهيَّة، لأنَّ اللّه تعالىٰ " رفيق ".

وقد اُشير إلىٰ هذا المعنىٰ في الروايات، وورد في الأدعية.

ففي الدعاء الشريف نقرأ:

« يا حبيب من لا حبيب له، يا طبيب من لا طبيب له، يا مجيب من لا مجيب له، يا شفيق من لا شفيق له، يا رفيق من لا رفيق له، يا مغيث من لا مغيث له ... »[١]

ولقد إتَّصف النبيّ الأكرم محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بهذه الصّفة بدرجة وصفه القرآن بأروع وصف، وذلك في قوله تعالىٰ:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُم ﴾[٢].

فلولا رفق رسول اللّه بالناس وبأصحابه، لانفضَّ الناس عنه، لذا، فإنَّ اللّه تعالىٰ يأمر نبيَّه بالعفو والإستغفار للمؤمنين.

وصفة " اللّين "؛ والرأفة و" الرفق " من الصّفات الإلهيَّة.

ففي آية من القرآن الكريم، نجد أنَّ اللّه تعالىٰ يخاطب نبيَّه قائلاً:

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِين ﴾[٣].

ولقد كان الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام علىٰ نفس المنوال، فمن طالع

---

(١) مصباح المتهجّد: ٢٥٤؛ بحار الأنوار: ٩١/٣٩١.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ١٥٩.

(٣) سورة الحجر (١٥): الآية ٨٨.

أحوالهم وسيرتهم للتعرُّف علىٰ سجاياهم، لن يجد إلاّ الرفق واللين والرأفة في سلوكهم حتّىٰ مع مخالفيهم.

ومن ثمرات المعرفة بأحوالهم عليهم السّلام هي أن يحاول الإنسان أن يتحلّىٰ بأوصافهم ويتخلّق بأخلاقهم، وأن يتأسّىٰ بهم في عقائده ومباني إيمانه، وكذا في أعماله وسلوكه وأخلاقه، إذا أراد أن يكون من شيعتهم.

لقد أكّد الأئمّة الأطهار عليهم السّلام وحثّوا الناس علىٰ الرفق وأرادونا أن نكون مثلهم، متّصفين بهذه الأوصاف الحميدة، والروايات في هذا المعنىٰ كثيرة.

ففي كتاب "أُصول الكافي" بابٌ تحت عنوان "باب الرفق"، جاء -فيما جاء فيه- رواية عن جابر عن الإمام الباقر عليه السّلام أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«لو كان الرّفق خَلقاً يُرىٰ ما كان مما خلق اللّه عزَّوجلّ شيء أحسَنَ منه»[1]

نعم، لو تجسّم الرفق واللين لم يكن أجمل وأحسن منه فيما خلق اللّه تعالىٰ.

وفي رواية أُخرىٰ، أنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من خير الدنيا والآخرة»[2]

فحالة الرفق والملائمة وحسن العشرة مع الآخرين والعيش بمحبَّة ووئام، لهي من أهمّ الأُمور القيّمة.

إنَّ الرفق والملائمة، من صفات اللّه تعالىٰ، وقد أُشير إلىٰ هذا الموضوع في الرواية، ولأنَّ اللّه تعالىٰ متّصف بهذه الصفة، فهو يحبّها أينما كانت. فإذا ما إتّصفنا نحن بهذه الصفة، أحبّنا اللّه علىٰ قدر إتّصافنا بهذه الصفة.

---

(١) الكافي: ٢/١٢٠، حديث ١٣؛ بحار الأنوار: ٧٢/٩٣، حديث ٣٢.

(٢) مسند أحمد: ٦/١٥٩؛ مجمع الزوائد: ٨/١٥٣؛ شرح نهج البلاغة: ٦/٣٣٩.

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام في أعلىٰ مراتب هذه الصفة، ولذا فهم محبوبون عند اللّه تعالىٰ.

ففي الرواية عن جابر بن عبد اللّه عن الإمام الباقر عليه السّلام، قال:

«إنَّ اللّه عزَّوجلّ رفيق يحبّ الرفق ويعطي علىٰ الرّفق ما لا يعطي علىٰ العنف»[1]

وفي رواية السكوني عن الإمام الصادق عليه السّلام أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إنَّ اللّه يحبّ الرفق ويُعين عليه»[2]

أي: إنَّ الإنسان إذا ما سعىٰ لأن يكون متّصفاً بهذه الصفة، فإنَّ اللّه تعالىٰ يعينه في هذا الطريق ويوصله إلىٰ المقصود.

وهذه الصفة أيضاً من صفات أهل البيت عليهم السّلام في كلِّ أحوالهم، فحتّىٰ أعداءَهم يعرفونهم بذلك. فما هي صفات أدعياء الإمامة، الذين وقفوا في مقابل أهل البيت عليهم السّلام؟ وكيف يقاس غيرهم بهم؟

فقد ورد في حالات عمر بن الخطّاب إنَّه:

«كان فظّاً غليظاً»[3]

وأيضاً ورد:

«وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهيَّة ظاهرة»[4]

---

(١) الكافي: ٢/١١٩، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٧٢/٦٠، حديث ٢٤.

(٢) الكافي: ٢/١٢٠، حديث ١٢؛ بحار الأنوار: ٧٢/٦٢، حديث ٣١.

(٣) راجع كتاب تاريخ مدينة دمشق: ٢٠/١٠٤؛ فتوح الشام للواقدي: ٢/٦٥، حديث ١٤١٧٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١/١٨٣.

بل ورد حتّیٰ في أهم الكتب المعتبرة عند أهل السنَّة بأنَّ عمر بن الخطّاب كان متّصفاً بالخشونة، معروفاً بها حتّیٰ عند النساء، فكنَّ يرفضن الزواج به ويَقُلنَ:

«إنَّه فظّ غليظ القلب»

وذكر الطبري في تأريخه في هذا السياق:

«وخطب [عمر] أمَّ كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة وأرسل فيها إلىٰ عائشة، فقالت: الأمر إليك.

فقالت أم كلثوم: ولا حاجة لي فيه.

فقالت لها عائشة: ترغبين عن أمير المؤمنين؟!

قالت: نعم، إنَّه خشن العيش، شديد علىٰ النساء.»[1]

حقّاً، أين أخلاق عمر بن الخطاب من أخلاق أهل البيت عليهم السّلام؟

وخلاصة الكلام، إنَّ أهل البيت عليهم السّلام هم مظاهر صفات اللّه تعالىٰ.

وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْم؛

أقوال الأئمَّة

قد تبيَّن ممّا سبق أن كلام الأئمّة عليهم السّلام، كلام اللّه، وأن كلّ ما يقولونه فهو من اللّه لا من عند أنفسهم، فكما أنَّ كلام اللّه المجيد -أي القرآن الكريم-

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٧٠؛ الكامل في التأريخ: ٣/٥٤.

حكم ومستحكم محتومٌ لا تزلزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يشوبه شكّ ولا ريب، كذلك ما يقولونه عليهم السّلام.

ثمّ إنّ قول الواحد منهم قول جميعهم، لأنّهم في العصمة والعلم سواء، ولذا يجوز نسبة قول أحدهم إلىٰ غيره منهم، ولعلّ في إفراد "القول" إشارة إلىٰ ذلك.

بل التحقيق -كما ذكر استاذنا المرحوم الشيخ كاظم التبريزى في مجلس الدرس- أنّ حكم حنجرة المعصوم بالنسبة إلىٰ كلام اللّه حكم المذياع الموجود في زماننا بالنسبة إلىٰ كلام المتكلّم، فتدبّر!!

والدّليل علىٰ ذلك في الروايات كثير، نكتفي بذكر واحدٍ منها:

فعن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السّلام، أنّه قال:

«واللّه ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا إلاّ ما قال ربُّنا»[(١)]

وعلىٰ الجملة، فإنّ الأئمّة عليهم السّلام لا يتكلّمون عن الظنّ، بل هو العلم واليقين.

وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْم؛

الرأي السديد

كما جاء "القول" مفرداً مضافاً إليهم جميعاً، كذلك "الرأي"، للإشارة إلىٰ أنّ رأيهم واحد، فلو أبدىٰ أحدهم الرّأي جاز نسبته إلىٰ كلّهم.

ثمّ إنّ رأيهم علم وحلم وحزم. أمّا العلم والحلم، فمعلومان، وأمّا الحزم، فقد قال الجوهري في معناه:

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ١٠٢.

« الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة »[١]

وقال ابن فارس:

« حزم (الحاء والزاء والميم) أصل واحد وهو شدّ الشيء وجمعه قياس مطرد .فالحزم جودة الرأي »[٢]

وقد تقدَّم أنَّ الأئمّة عليهم السَّلام معصومون، وعالمون بحقائق الأُمور، ورأي المعصوم العالم بحقائق الأُمور يكون محكماً، عن علمٍ، قويّاً منضبطاً.

مضافاً إلىٰ أنَّ رأيهم إنَّما هو بإرائة اللّه العليم الحكيم، كما قال تعالىٰ لجدِّهم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِما أَراكَ اللّه ﴾[٣].

إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوِيهُ؛

الخير التّام

" الخير " ضدّ " الشرّ "، كما لا يخفىٰ، وأمّا مصاديقه، فلا تحصىٰ.

وكلمة " الخير " في هذه الجملة جنسٌ، فمنه ماله أوّل وآخِر ومبدؤٌ ومنتهىٰ،

---

(١) الصحاح للجوهري: ٥/١٨٩٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/٥٣.

(٣) سورة النساء (٤): الآية: ١٠٥.

ومنه ما له أصل وفرع، ومنه ما له مركز إليه يعود، نظير ما جاء في الزيارة سابقاً من أنَّ:

«الحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه.»

ثمَّ إنَّ مصاديق الخير كلّها من أهل البيت، وعلىٰ رأسها -بعد الوجود- المعرفة والإيمان والعلم، وأهل البيت عليهم السّلام هم الأصل لكلّ ذلك أينما كان، وهم المعدن له، وهل في ذلك شكّ لذي حجر؟! وهل يجوز أن يقاس بهم غيرهم فضلاً عن أنْ يقّدم عليهم؟!

بل الذي تحقّق من أعدائهم وصدر هو الشرّ، وهم الأصل له إلىٰ يوم القيامة...

إنَّ من يطالع حالات الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، يترقىٰ بفكره ومعرفته، وتزداد ولايته وطاعته ومحبّته لهم عليهم السّلام، كما أنَّ من يطالع سيرة أعدائهم يزداد سخطه ونقمته وبراءته منهم، لأنَّ حياة محمّد وآل محمّد كلّها نور وخير وهداية، وحياة أعدائهم شرّ وظلمة وضلال، ومن هنا ورد عن أئمَّة أهل البيت عليهم السّلام:

«نحن أصل كلّ خيرٍ وأعداؤنا أصل كلّ شرّ».[1]

---

(١) راجع الجزء الأوّل من هذا الكتاب: ٣٤٥.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُم ؛

العجز عن وصفهم

الثناء -كما في المفردات [١]- ما يذكر في محامد الناس، فيبنىٰ حالاً فحالاً ذكره، يقال: أثني عليه...

نعم، كيف يمكن لنا أن نذكر محامد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السّلام لكثرتها من جهةٍ وقصورنا عنها من جهةٍ أخرىٰ.

ومن يقدر علىٰ وصفهم وأداء حقِّ ثنائهم ؟!

إنَّ المعرِّف يجب أن يكون محيطاً بالمعرَّف، عالماً بأحواله، كي يتسنّىٰ له تعريفه، ومن له مثل هذه الإحاطة بأحوال أهل البيت عليهم السّلام حتّىٰ يـذكر محامدهم ؟

إنّنا عاجزون عن فهم كلامهم والألفاظ التي تصدر عنهم، وأنّىٰ لنا الإحاطة بمعالي معاني كلماتهم، فكيف الوصول إلىٰ حقائق أحوالهم ومحامد صفاتهم ؟

وأيّ مناسبة بين من وجوده جهل ونقص، ومن كلّ وجوده خير وصـلاح ورشد وهدىٰ ؟

كيف يمكن لنا بيان نعمهم، مقاماتهم، حالاتهم وأوصافهم التي وصفهم اللّه تعالىٰ بها، وبهذا الفهم الناقص القاصر من كلّ الجهات ؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٢.

وكلمة "بلاء" في لغة العرب بمعنىٰ الإختبار والإمتحان.[١]

وقد جاءت في القرآن الكريم بعنوان "البلاء العظيم"، كما في قوله تعالىٰ:

﴿ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيم ﴾[٢].

والبلاء الحسن، كما في قوله تعالىٰ:

﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاٰءً حَسَنا ﴾[٣].

والبلاء المبين، كما في قوله تعالىٰ:

﴿ وَآتَيْنٰاهُمْ مِنَ الآيٰاتِ مٰا فِيهِ بَلٰؤٌا مُبِين ﴾[٤].

وإذا أراد اللّه تعالىٰ أن يمتحن أحداً، فتارة يمتحنه بالبلاء، وأُخرىٰ يمتحنه بالنعمة والرخاء، فالإنسان دائماً في حال إمتحانٍ في هذه الدنيا، وإذا ما خرج ناجحاً من الاختبار والإمتحان فإنَّه سيحصل علىٰ درجات عالية، كما قال تعالىٰ:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللّٰهِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُون ﴾[٥].

وعليه، فالإمتحان مقدّمة لنيل المقامات والرتب، وكلّما إزدادت الإمتحانات، كلّما إزدادت مقاماته في حال نجاحه.

والأنبياء والأولياء هم أكثر الناس إبتلاءاً، وإمتحاناتهم أصعب الإمتحانات، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السّلام، قال:

«إنَّ أشدّ الناس بلاءاً الأنبياء ثمّ الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل»[٦]

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٦١.

(٢) سورة البقرة (٢): الآية ٤٩؛ سورة الأعراف (٧): الآية ١٤١؛ سورة إبراهيم (١٤): الآية ٦.

(٣) سورة الأنفال (٨): الآية ١٧.

(٤) سورة الدخان (٤٤): الآية ٣٣.

(٥) سورة آل عمران (٣): الآية ١٠٧.

(٦) أمالي الشيخ الصدوق: ٦٥٩؛ بحار الأنوار: ٦٩/١١.

وفي رواية أُخرىٰ، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«إنَّ البلاء للظالم أدب، وللمؤمن إمتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة» (١)

ومن هنا، فإنَّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله كلَّما كان يبتلىٰ بمصيبة، فإنَّه ليس فقط يصبر عليها، وإنَّما كان يشكر اللّه تعالىٰ.

ولقد كان الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام كذلك، فكلّما اشتدَّ الامتحان عليهم، كلما إزدادوا شكراً، وهذا ما كان يرتقي بهم في مدارج الكمالات والمقامات.

لقد طوىٰ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام كلَّ هذه المراحل بنجاح باهر، فإرتفعوا وإرتقوا.

ولم يحدثنا التأريخ عن إنسان تحمّل المصائب الشديدة الكثيرة كزينب العقيلة عليها السّلام، تلك المصائب العظمىٰ التي حلَّت عليها خلال عدَّة ساعات من نهار يوم العاشر من المحرَّم سنة إحدىٰ وستّين، ولكنّها لمّا سُئلت عن ذلك قالت:

«ما رأيت إلاّ جميلاً» (٢)

فقد روي أنَّه:

«لما أدخل رهط الحسين عليه السلام علىٰ عبيد الله بن زياد لعنهما اللّه، أذن للناس إذنا عاماً، وجيء بالرأس، فوضع بين يديه، وكانت زينب بنت علي عليهما السّلام قد لبست أردأ ثيابها وهي متنكرة.

---

(١) معارج اليقين في أُصول الدين: ٣١٠.

(٢) اللهوف في قتلىٰ الطفوف: ٩٢-٩٣؛ مثير الأحزان: ٧٠-٧١؛ بحار الأنوار: ٤٥/١١٦-١١٧.

فسأل عبيد اللّه عنها -ثلاث مرات- وهي لا تتكلَّم.

قيل له: إنها زينب بنت علي بن أبي طالب.

فأقبل عليها وقال: الحمد اللّه الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم!

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وطهّرنا تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال، كيف رأيت صنع اللّه بأهل بيتك؟

قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم، وسيجمع اللّه بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج.

هبلتك أمّك يا ابن مرجانة»

أليس ذلك درساً لنا؟

فإذا كان الإنسان يحصل علىٰ كلِّ مصيبة تمرّ به علىٰ مرتبة ودرجة، فإنَّ أهل البيت عليهم السّلام لهم الدرجات العليا، للمصائب الكثيرة النازلة بساحتهم، والتي صبروا عليها وشكروا.

فليس عجيباً أن نعجز عن وصف ثنائهم، وليس غريباً أن نعجز عن معرفتهم حقّ المعرفة، فإنَّه لم يعرفهم كذلك إلاّ اللّه ورسوله، لما لهم عند اللّه من القرب والشّأن الرفيع الذي حصلوا عليه بالطّاعة والبذل والصبر والإستقامة، فإنَّ لتحمّل ما لاقوه في سبيل اللّه والصّبر عليه أجراً لا يوصف، يقول اللّه عزّوجلّ:

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُون ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون (٢٣): الآية ١١١.

ويقول:

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

ويقول:

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٢).

إنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام قد نالوا مقام الإمامة لمّا صبروا كما يقول القرآن الكريم:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ (٣).

وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ ؛

وسائل تحرير الإنسانيَّة

هذا المقطع يبدأ بكلمة "وبكُم"، كعدَّة من الجمل السّابقة، فما هو حكم "الواو" في هذه العبارة؟ هل هي عاطفة؟ أم إنَّها إستئنافيَّة، أو حاليَّة؟!

وأمّا "الباء" فسببيَّة بلا كلام.

وعليه، يكون معنى العبارة: كيف أقدر على تعريفكم، وأنّى لي وصفكم

---

(١) سورة النحل (١٦): الآية ٩٦.

(٢) سورة الفرقان (٢٥): الآية ٧٥.

(٣) سورة السجدة (٣٢): الآية ٢٤.

والحال أنّكُم الوسيلة والسّبب الذي به أخرجنا اللّه من الذلّ وبلغ بـنا إلىٰ العـزَّة والكرامة والرفعة؟

و "الذلّ" هنا عام، فهم السّبب لخروجنا من جميع أنواع الذلّ وأقسامه، لكنْ علىٰ رأسها: ذلّ الكفر وذلّ الجهل.

ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السّلام إنَّه قال:

«لا يصلح من لا يعقل والصدق عزٌّ والجهلُ ذلّ»[١]

إنَّ أذَلَّ فردٍ في المجتمع، أجهلُهم، وأذلَّ فرد في العالم، الكافر باللّه تعالىٰ، فالإنسان الكافر ذليلٌ حتّىٰ إذا بلغ أعلىٰ المراتب والمقامات الدنيويَّة. والجـاهلُ ذليلٌ، حتّىٰ لو حصل علىٰ جميع وسائل العزَّة الظاهريَّة في هـذا العـالم. وهـذا المعنىٰ واضح عند جميع العقلاء.

نعم، إنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السَّلام أخرجونا من الكفر والجهل، وهذا أحد حقوقهم التي لا تحصىٰ علينا، ومن الذي يقدر علىٰ أن يجازيهم علىٰ هذا الحقّ العظيم، فإنَّ مثلهم كمثل الذي أنقذ من سقط في قعر بئر عميق قذر، بعد أنْ فقد بصره، فجعل يغوص في الأوساخ والنجاسات، فأخرجه منها، وغسّله وطهّره ثمّ ألبسه أفخر الثياب وأغلاها، وأعاد عليه بصره، ثم رفع مكانته بين الناس وفضّله علىٰ كثيرٍ منهم.

إنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، منحونا البصر والبـصيرة والضـياء والنـور والعقل والفهم ومعرفة الحقائق.

إنّنا غافلون عن قيمة الإيمان ومعرفتنا باللّه تعالىٰ، وهل فكَّرنا يوماً بـقيمة هذه المعرفة التي حصلنا عليها ببركة أهل البيت عليهم السّلام؟!

---

(١) تحف العقول: ٣٥٦؛ بحار الأنوار: ٢٦٩/٧٥، حديث ١٠٩.

وهل فكَّرنا بقيمة إيمانان ومعرفتنا برسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؟

وكم هي عظيمة وثمينة معرفتنا بإمام العصر والزمان عجَّل اللّه تعالىٰ فرجه؟

هل فكَّرنا في ذلك يوماً؟

إنَّ اللّه تعالىٰ قد منَّ علينا -ببركة أهل البيت عليهم السّلام- بأنْ أخرجنا من الذلّ، وفرَّج عنّا غمرات الكروب.

و"غمرات" جمع "غمرة"، أي الشدَّة[1]. و"الكروب" جمع "الكرب" أي: الغم.

وقد تقدَّم منّا أنَّ نجاتنا من الغموم والشدائد ببركة الأئمَّة يكون بنحوين:

فتارة: ننجوا من بعض النوازل التي لا نعلم بها وكان من المقرَّر في قضاء اللّه تعالىٰ أن نبتلىٰ بها، فيدفعها اللّه عنّا ببركة أهل البيت عليهم السّلام.

وأخرىٰ: نبتلىٰ ببعض النوازل والغموم والإبتلاءات، فيرفعها اللّه عنّا ببركة شفاعتهم لنا في ذلك.

وهذه إشارة سريعة إلىٰ حق أهل البيت عليهم السّلام علينا في دفع أو رفع الشدائد الدنيويَّة.

وأمّا رفع أو دفع الشدائد الأخرويَّة ببركتهم، بدءاً بغمرات الموت والعقبات التي بعده، في عالم البرزخ، ويوم الحشر وثمّ عذاب الآخرة، فللبحث عن ذلك مجال آخر.

وعلىٰ الجملة، فإنَّ نجاتنا من غمرات الكروب، سواءٌ في حال الحياة أو عند الموت أو المراحل الأخرويَّة ليس إلاّ بواسطة محمد وآله الطاهرين.

---

(١) المصباح المنير: ٤٥٣.

وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَات ؛

"الواو" عاطفة. أي: وبكم أنقذنا... وقال الراغب في "شفا":

«شفا البئر وغيرها: حَرفه، ويضرب به المثل في القرب من الهلاك، قال تعالىٰ:

﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُف﴾ و ﴿كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.»[١]

وقال في "جرف":

«يقال للمكان الذي يأكله السيل فيجرفه، أي يذهب به: جرف»[٢]

و"الهلكات" جمع "الهلكة" كما هو واضح.

وعلىٰ ما تقدَّم نقول: بأنَّ "شفا جرف" يعني: المنزلَق.

والمراد هنا هو الإبتلاء أو إمكان الإبتلاء بهذا المنزلق، للفرد والمجتمع، كما يمكن أن يكون المنزلق مادّياً أو معنويّاً.

فمن الذي ينقذنا من المنزلقات والبليّات والهلكات المادّية والمعنويَّة الّتي نواجهها في حياتنا، ثم بعد ذلك ما ينتظرنا من مواقف وأهوال ساعة الموت وسكراته، وبعد الموت، والمحطات إلىٰ يوم الحشر والقيامة، ونار جهنَّم، غير أهل البيت عليهم السّلام؟

حقّاً إنَّه حقٌّ عظيم لأهل البيت عليهم السّلام علينا، ولو لم يكن لهم إلاّ هذا الحقّ فقط، ما إستطعنا أن نودّيه إليهم، فكيف وحقوقهم علينا لا تُحصىٰ؟

إنَّ أهل البيت عليهم السّلام يقولون: لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً، كما

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٤.

(٢) المصدر: ٩١.

يحكي لنا القرآن ذلك عن لسانهم، في قوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَلاٰ شُكُورا ﴾[١].

فماذا علينا أن نفعل؟

إنَّهم لا يريدون منّا إلاّ الطّاعة والتقوىٰ، وذلك لا يعود بالنفع إلاّ لنا.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا؛

ولاية التعليم الإلهي والصلاح الدنيوي

هذا المقطع الشريف، إشارة إلىٰ حق آخر من حقوق أهل البيت عليهم السّلام علينا، إنَّه ببركة ولايتهم وطاعتهم، منّ اللّه علينا بتعليم معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا.

و"معالم" جمع "مَعْلَم"، يقال: معالم الطريق، أي: ما يستدلّ به علىٰ الطريق، ومعلم الشيء معهده، يقال: خفيت معالم الطريق، أي: الأمكنة التي كانت تعهد فيها الطريق.[٢]

ولا يبعُد أن يكون هذا المقطع من الزيارة إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰه ﴾[٣].

---

(١) سورة الإنسان (٧٦): الآية ٩.

(٢) المنجد: ٥٣٦.

(٣) سورة البقرة (٢): الآية ٢٨٢.

لأنَّ "ولاية" أهل البيت عليهم السّلام ومتابعتهم وطاعتهم في كلِّ الأبعاد الدينيَّة، هي المصداق الأتمّ للتّقوىٰ، ومن كان كذلك، فإنَّ اللّه عزَّوجلّ يعلّمه معالم الدين، وهل يحتاج من كان اللّه معلّمه إلىٰ معلِّم؟

كما لا يبعد أن يكون المراد من "يُعلّمكم اللّه" في الآية، ما تفيده الروايات عن أهل البيت عليهم السّلام من أنَّ:

«المؤمن ينظر بنور اللّه»(١)

فإذا ما كان الإنسان من أهل الولاية والإيمان بأهل البيت عليهم السّلام، فإنَّ اللّه تعالىٰ سيجعل من نوره في وجود هذا الإنسان، وينير قلبه حتّىٰ يرىٰ حقائق الأمور.

إذن، فعينيَّة الولاية، التقوىٰ، وعينيَّة التقوىٰ الولاية، وهنا يكون "يعلّمكم اللّه"، فإنَّ التقوىٰ والعلم الحقيقي لا يتوفّر إلاّ في ولاية أهل البيت عليهم السّلام.

بل إنَّ ولاية أمير المؤمنين وسيّد المتّقين هو الدّين الذي لن يقبل اللّه غيره من أحدٍ، ولعلّ قوله صلّىٰ اللّه عليه وآله:

«عليّ بن أبيطالب باب الدّين»(٢)

إشارة إلىٰ ذلك.

وعليه، فإنَّه لابدَّ من أخذ الأصول الإعتقاديَّة والأحكام الشرعيَّة والأخلاق الإسلاميَّة، من أهل البيت الطّاهرين.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ٦١/٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٥/٦٥.

(٢) ينابيع المودّة: ٢ / ٢٤٣، شرح إحقاق الحق: ٧ / ١٤٥.

ومن نظر في أحوال الصّحابة غير الموالين لهم فإنَّه لا يجد عندهم خبراً من العلم ولا أثراً من التّقىٰ، بل كان سعيهم تخريب الدّين، فكم من تفسير باطل للقرآن وآياته صدر عنهم، وكم من أحكامٍ مخالفة للقرآن إبتدعوها، فحرَّفوا أُصول الدين وفروعه معاً، وعملوا بالقياس الباطل والآراء الشخصيَّة والأهواء، بدلاً من العمل بكلام اللّه وسنَّة رسوله صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

وَأَصْلَحَ مَاكَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا ؛

"الواو" عاطفة، أي بموالاتكم أصلح اللّه ماكان فسد من دنيانا، أي: ليس أثر موالاة أهل البيت عليهم السّلام منحصراً بالأمور والقضايا الأُخرويَّة والمعنويَّة، بل أنّها سببٌ لإصلاح الأمور الدنيويَّة والماديَّة.

وذلك، لأنَّ الموالاة المستتبعة للطّاعة توجب المراجعة إليهم وأخذ الإرشادات منهم والعمل بها، وتوجب أيضاً التوسّل بهم عند زيارة قبورهم وغير ذلك وطلب الحوائج المعنويَّة منهم. وتوجب أيضاً العمل بما ورد عنهم في الشئون الدنيويَّة من الطبّ والتربية وما يتعلَّق بالحياة الزوجيَّة وأبواب المعاملات وأمثال ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة إلىٰ المفاسد الإجتماعيّة، فإنَّ تعاليمهم هي الدواء الناجح لمن طبّقها، والتفصيل في محلّه.

وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ ؛

بركات أُخرىٰ للولاية

"الواو" استينافيَّة و"الباء" سببيَّة، وقد تكرّرت كلمة "الموالاة" للأهميَّة.

والمراد من "الكلمة" كلمة لا إله إلاّ اللّه، فإنَّ تمامها بالولاية، ولا تتحقّق معرفة اللّه وعبادته وطاعته بدون الولاية، ولذا قال أبو عبد اللّه الصّادق عليه السّلام:

«بنا عرف اللّه وبنا عُبد اللّه».

وعن الإمام أبي الحسن الرّضا عليه السّلام لمّا سأله أهل الحديث بمدينة نيسابور أنْ يحدّثهم بحديثٍ عن آبائه عن جدّه رسول اللّه وبأيديهم القراطيس والدّوىٰ، فأملىٰ عليهم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن جبرئيل عن اللّه تعالىٰ أنّه قال:

«لا إله إلاّ اللّه حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»

ثمَّ أخرج رأسه الشريف من المحمل وقال:

«بشروطها، وأنا من شروطها»(١)

أي: إنّه ليس التلفّظ بكلمة التوحيد بمجرّده موجباًللأمن من عذاب اللّه، بل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ١٤٥/١، حديث ٤؛ كشف الغمّة: ٣٠٨/٢؛ بحار الأنوار: ٧/٣، حديث ١٦.

يشترط معه الإيمان القطعي بالأصول الإعتقاديّة والعمل والطّاعة بالأركان، وهل يتحقّق الإيمان والطّاعة للأحكام والفرائض الدينيَّة إلاّ بالولاية؟

وقد ورد هذا المعنىٰ عن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال:

«إنَّ لـ"لا إله إلاّ اللّه" شروطاً، وإنّي وذريَّتي من شروطها»(١)

وقد وردت روايات عديدة في هذا المجال، ذكرت في المصادر المعتبرة عندنا بالأسانيد عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، كالحديث المعروف المرويّ في كتب الفريقين، والذي قال فيه:

«والذي نفس محمد بيده، لو أنَّ رجلاً عبد اللّه ألف عام ثم ألف عام (ثم ألف عام) ما بين الركن والمقام، ثم أتىٰ جاحداً بولايتهم لأكبَّه اللّه في النار كائناً ما كان.»(٢)

وهذا الحديث مرويٌّ أيضاً عن طرق العامَّة.(٣)

إنَّ اللّه تعالىٰ قد منَّ علينا بثلاث نعم عظيمة، هي عادةً مغفولة عند أكثر الناس، وهي:

١- حبّ النبيّ وآله.

٢- العافية.

٣- الأمان.

ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) شرح غرر الحكم: ٢/ ٤١٥.

(٢) راجع كفاية الأثر: ٨٥؛ بحار الأنوار: ٣٦/ ٣١٤.

(٣) شواهد التنزيل ٢/ ٢٠٤؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٣٥؛ المناقب للخوارزمي: ٨٧، حديث ٧٧.

«نعمتان مكفورتان: الأمن والعافية»[١]

وعنه اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم أنّه قال:

«من أحبنا أهل البيت فليحمد اللّه علىٰ أوّل النعم.

قيل: وما أوّل النعم؟

قال: طيب الولادة، ولا يحبّنا إلاّ من طابت ولادته.»[٢]

ولكن، أين هذه النعم من نعمة الولاية؟!

إنَّ معرفتنا باللّه وقولنا بالتوحيد، واعتقادنا بنبوَّة الرّسول الأكرم، وبالمعاد وإطاعتنا للّه ورسوله، كلّ ذلك من بركات نعمة الولاية.

ولذا، فإنّ اللّه تعالىٰ في يوم الغدير -وبعد خطبة النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأخذ البيعة لأمير المؤمنين عليه السّلام من الناس- أنزل الآية المباركة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٣].

وسيُسئل الناس يوم القيامة عن هذه النعمة العظمىٰ، والدليل علىٰ ذلك الروايات المرويَّة بطرق السنَّة والشيعة في ذيل الآية المباركة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[٤]، حيث ذكروا بأنَّ الأمَّة ستُسأل عن ولاية أهل البيت عليهم السّلام.[٥]

---

(١) الخصال: ٣٤، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ١٧٠/٧٨، حديث ١.

(٢) الأمالي، للصدوق: ٥٦١؛ بحار الأنوار: ١٤٥/٢٧، حديث ٣.

(٣) سورة المائدة (٥): الآية ٣.

(٤) سورة الصافات (٣٧): الآية ٢٤.

(٥) راجع بحار الأنوار: ٢٤/ ٢٧٠-٢٧٣، شواهد التنزيل: ٢/ ١٦٠.

كما ورد أيضاً في ذيل حديث الثقلين، وفي كتب الفريقين، أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«و إنّي سائلكم حين تردون عليَّ عنهما كيف خلفتموني فيهما»[1]

وقد فسِّرت كلمة "النعيم" الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[2] بالإمام المعصوم، كما في رواياتنا.

كما نقلت المصادر الشيعيَّة والسنيَّة عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قوله:

«لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّىٰ يسئل عن أربع؛

عن عمره فيما أفناه،

وعن شبابه فيما أبلاه،

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه،

وعن حبّنا أهل البيت.»[3]

هذا، وقد أشرنا آنفاً، إلىٰ أنَّ ولاية أهل البيت عليهم السّلام هي السّبب لوحدة المسلمين، فلو أنَّ كلَّ المسلمين كانوا قد عملوا بوصيَّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لم يصل الحال بنا إلىٰ ما وصل إليه اليوم.

إنَّ النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لم يرحل عن الدنيا بدون وصيَّة، بل وصّىٰ أُمَّته في الحديث المعروف:

«إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلّوا

---

(١) راجع الجزء الأوّل من هذا الكتاب: ٣١١.

(٢) سورة القارعة (١٠٢): الآية ٨.

(٣) الخصال: ١/٢٥٣؛ علل الشرائع: ١/٢١٨؛ تأريخ الإسلام: ١٠/١٩٩ و١٣/٢٣١.

وإنَّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض، وإنّي سائلكم عنهما»[١]

هذه وصيّته التي كرَّرها، وخاصَّة في السّاعات الأخيرة من عمره الشريف، ومن المعلوم أنَّ المراد من "التمسُّك" هو الإتّباع والإنقياد والطّاعة.

نعم، بموالاة أهل البيت ائتلفت الفرقة بين المسلمين، ولكنَّ أكثر المسلمين لم يعملوا بتلك الوصيّة، وهذا ما صار سبباً لإختلافهم وتفرُّقهم وضلالهم.

فلو عملت الأُمَّة بالقرآن والتفّت حول أهل البيت عليهم السّلام، لما إختلفوا، فسبب الإختلاف هم اولئك الذين لم يتَّبعوا أهل البيت.

وأتباع أهل البيت وإنْ كانوا الأقل عدداً لكنّهم الأقوىٰ دليلاً والأمتن حجَّةً من غيرهم...

لقد أنكروا النصّ علىٰ أهل البيت، وقالوا بأنَّ النبيّ مات بلا وصيَّة!!

ألم يعلم النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله -أو علىٰ الأقل يحتمل- بوقوع الإختلاف من بعده؟! فكيف يمكن أن يترك الأُمَّة بلا وصيَّة مع علمه بوقوع الإختلاف من بعده في أُمَّته؟

إذن، فما هي دواعي كلِّ هذه الحروب وإراقة الدماء التي حصلت في الأُمَّة الإسلاميَّة علىٰ طول التأريخ؟

ومن ثمَّ كان حديث الثقلين من الأحاديث المهمَّة جدّاً، وقد رُوي في كلِّ المصادر الحديثيَّة للسنَّة والشيعة، ولكن الرواية شيءٌ والعمل بمضمون الحديث شيءٌ آخر، فاولئك، يقرأون القرآن جيداً، ولكن أين العمل بالقرآن؟!

لمّا بيّن لنا النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله طريق الوحدة والفلاح والفوز، فلماذا

---

(١) راجع الجزء الأوَّل من هذا الكتاب: ٣١١.

نترك هذا الطريق، ثم نجلس ونفكّر في طريق الوحدة؟!

ماذا نفعل لنوحّد المسلمين؟

إنَّ النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قد دلّنا علىٰ طريق الوحدة، فلماذا لا نأخذ به، وأوصانا باتّباع أهل بيته، فلماذا لا نعمل بها؟

فهؤلاء الذين يتباكون علىٰ الوحدة، لو كانوا صادقين، فليتّبعوا الطريق الذي رسمه النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم للمسلمين.

وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ؛

الأئمّة وقبول الأعمال

إنَّ جميع أعمالنا العباديَّة، من الواجبات والمستحبّات، إنّما تُقبل ببركة أهل البيت عليهم السّلام وموالاتهم، ولماذا؟

لأنَّ كلّ عمل نقوم به في طاعة اللّه ولكسب رضاه، فقد تعلّمناه من أهل البيت عليهم السّلام، فهذه الصّلاة التي نصلّيها، وهذا الصّوم الذي نصومه، والحجّ الذي نأتي به وكذا سائر العبادات الأُخرىٰ، هي ما أمرنا به الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وعلّمونا إيّاه، وقد ذكروا لنا مراراً بأنَّ ما يقولونه لنا إنّما هو قولُ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم.

إذن، فلمّا قبلنا ولايتهم، وأطعناهم، كان عملنا مطابقاً لما أراده اللّه ورسوله صلّىٰ اللّهُ عليه، ولابدَّ أن يُقبل من قبل اللّه تعالىٰ.

وأمّا أُولئك الذين إنتخبوا الطريق الآخر، ذلك الطريق الذي لا ينتهي إلىٰ

رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وأوامره ونواهيه وتعاليمه، ذلك الطريق الذي شُرِّعت فيه الأحكام علىٰ أساس القياسات والآراء الشخصيَّة، فلن تقبل أعمالهم.

لا يمكن أن يدّعي أحدٌ حبَّ أهل البيت عليهم السّلام وموالاتهم وهو مع ذلك يعمل بفقه غيرهم! يصلّي، يحجّ، يصوم، ويؤدّي باقي واجباته طبقاً لآراء غير أهل البيت عليهم السّلام. لأنَّ الولاية لأهل البيت عليهم السّلام تعني متابعتهم والإقتداء بهم.

وقد وردت في هذا المجال آيات وروايات كثيرة. ويقول تعالىٰ في كتابه:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين ﴾[1].

إنَّ هذه الآية المباركة -المصدّرة بـ"إنَّما" الدالَّة علىٰ الحصر- أناطت تقبل اللّه الأعمال بالتقوىٰ، أي: إنْ كنتم متّقين فإنَّ اللّه تعالىٰ سيقبل أعمالكم. وأين هي التقوىٰ؟

إنَّ التقوىٰ في ولاية أهل البيت عليهم السّلام.

ومن هم المتّقون علىٰ طول التأريخ؟

فلو طالعنا بإنصاف وحياديَّة أحوال الشخصيّات المهمَّة في الإسلام، فسنجد أنَّ الذين كانوا علىٰ ولاية أهل البيت عليهم السّلام، هم المتّقون.

في الحقيقة، إنَّ "التقوىٰ" هي "الولاية" و"البراءة".

وننقل لكم هنا حديثاً عن المصادر السنيَّة في هذا المجال.

يعدُّ الحاكم النيشابوري من كبار أئمَّة الأعلام عند أهل السنَّة، كان في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري رئيساً للحوزة العلميَّة الكبرىٰ بمدينة نيسابور،

---

(١) سورة المائدة (٥): الآية ٢٧.

وتوفي عام ٤٠٥. وقد روىٰ هذا العالم السنّي الكبير رواية عن إبن عبّاس عن النبي الأكرم محمَّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

«فلو أنَّ رجلاً صفن بين الركن والمقام، صلّىٰ وصام، ثـم لقـىٰ اللّـه وهـو مبغض لأهل بيت محمّد عليهم السّلام دخل النار»(١)

هذا في بغض أهل البيت.

وفي حديث آخر اشترط المحبَّة لهم، وقد رواه عدَّة من كبار علماء العامَّة، كإبن عساكر والطبراني وآخرين، عن أبي أُمامة قال:

قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله:

«لو أن عبداً عبد اللّه بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام ثم لم يدرك محبّتنا أكبّه اللّه علىٰ منخريه في النار»(٢)

ثمَّ تلا صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قوله تعالىٰ:

﴿ قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ ﴾(٣).

فالنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يريد أن يبيّن عـظمة هـذه الولايـة، وأنَّ الإنسان إذا عبد اللّه تعالىٰ لا سنةً أو عشر سنوات بل ثلاثة آلاف سـنة، وكـانت عبادته في أشرف بقاع العالم، لم تنفعه تلك العبادة ما لم يكن محبّاً موالياً لأهل البيت عليهم السّلام، بل يُكَبّ علىٰ وجهه في النار.

هذا، وسيأتي مزيد من الكلام في هذه الآية الشريفة لاحقاً.

وفي حديث آخر رواه الخطيب البغدادي، وهو من كبار علماء السنَّة، عن

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٤٩/٣.

(٢) تاريخ بغداد: ١٢٤/١٣، حديث ٧٦٠١؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣٢٨/٤٢.

(٣) سورة طه (٢٠): الآية ٨٢.

إبن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلّم:

«لو أنّ عابداً عبد بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتّىٰ يكون كالشنّ البالي، ولقىٰ اللّه مبغضاً لآل محمّد، أكبّه اللّه علىٰ منخره في نار جهنّم»[١]

وهذا المضمون متواترٌ في الروايات المرويّة عند كلا الفريقين[٢].

وكنموذج علىٰ ذلك ما جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السّلام في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[٣].

قال عليه السّلام:

«أَ لَا تَرَىٰ كَيْفَ اشْتَرَطَ؟ وَلَمْ تَنْفَعْهُ التَّوْبَةُ أَوِ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَتَّىٰ اهْتَدَىٰ. وَاللَّهِ، لَوْ جَهَدَ أَنْ يَعْمَلَ مَا قُبِلَ مِنْهُ حَتَّىٰ يَهْتَدِيَ... إِلَيْنَا»[٤]

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«فَإِنْ أَقَرَّ بِوَلَايَتِنَا ثُمَّ مَاتَ عَلَيْهَا قُبِلَتْ مِنْهُ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ وَزَكَاتُهُ وَحَجُّهُ، وَإِنْ لَمْ يُقِرَّ بِوَلَايَتِنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِه»[٥]

وروىٰ الشيخ المفيد رحمه اللّه بسنده عن إبن عبّاس أنّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله قال:

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ١٢٤، حديث ٧١٠٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٢٨.

(٢) راجع بحار الأنوار: ٢٣/ ٨١، ٨٢؛ شواهد التنزيل: ١/ ٤٩١.

(٣) سورة طه (٢٠): الآية ٨٢.

(٤) بحار الأنوار: ٢٧/ ١٦٩.

(٥) أمالي الصدوق: ٢٥٦؛ بحار الأنوار: ٢٤/ ٢٤٨.

«أَيُّهَا النَّاسُ! الْزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِوُدِّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنْفَعُ عَبْداً عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا وَوَلَايَتِنَا»(١)

نعم، فمن جهة، يقول تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

ومن جهة أُخرىٰ، إنَّ ولاية محمد وآل محمد عليهم السّلام هي التقوىٰ الإلهيَّة.

بل وأكثر من ذلك، فإنّنا أثبتنا في بحوثنا أنَّ إمامة أهل البيت عليهم السّلام هي من أُصول الدّين لا من فروعه.

وليس لأحدٍ أنْ يعترض علىٰ ما جاء في الأحاديث المذكورة وغيرها من الأدلَّة كتاباً وسنَّةً، لأنَّ الأعمال العباديَّة إنَّما يؤتىٰ بها للّه، فلابدّ وأنْ تكون علىٰ طبق ما شرّع، فإذا كان عمل من الأعمال مشروطاً بشرطٍ شرعيّ اعتبر في قبوله ذلك الشرط، فلو انتفىٰ الشرط سقط العمل.

فلو أنَّ الإنسان صلّىٰ آلاف الصلوات بلباس طاهر وفي مكان مباح وكانت صلاته بخشوع وخضوع، ولكنَّه لم يكن علىٰ طهارة، فلا فائدة من صلاته. لماذا؟ لأنَّ الشارع قد إشترط الطهارة في الصلاة وقال: لا صلاة إلاّ بطهور. وهذا الإعتبار الشرعي هو من ناحية اللّه تعالىٰ.

ومثال آخر، لو أنَّ شخصاً دخل الحمّام وغَسَل جسمه بأنواع المنظفات والمساحيق، وأعاد غسل جسمه مراراً، ولم ينو الغسل من الحدث الذي عليه،

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ١٤٠؛ بحار الأنوار: ٢٧/١٩٣.

(٢) سورة المائدة (٥): الآية ٢٧.

فهل يجزيه ذلك؟ أبداً، لأنَّ الشارع المقدس قد إعتبر كيفيَّة خاصَّة للغسل، وقد إشترط النيَّة بقصد "القربة إلىٰ اللّه" في الغسل، وهذا الإنسان لم يأت بالغسل قربة إلىٰ اللّه، وإنْ نظف جسده تماماً، فهو باقٍ علىٰ ما كان عليه من الحدث، وليس له الدّخول بتلك الحال في الصّلاة وغيرها ممّا يعتبر فيه الطّهارة إلىٰ غير ذلك من الأحكام.

وهكذا الآمر في بقيَّة القضايا العباديَّة، كالصوم والحجّ وسائر الطاعات المشروطة.

إذن، فاللّه تعالىٰ قد جعل عباداتنا وطاعاتنا مشروطة بأن تكون عن طريق محمد وآل محمد عليهم السّلام، وأن تكون مقرونة بالولاية.

وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَة ؛

وجوب مودّة أهل البيت عليهم السّلام

وهذه العبارة من الزيارة الجامعة، إشارة إلىٰ آية المودّة الشريفة. وسبب نزول آية المودَّة كما نقلت ذلك كتب الحديث والتأريخ هو:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَكَانَتْ تَنُوبُهُ فِيهَا نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ سَعَةٌ لِذَلِكَ. فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ هَدَانَا اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِكُمْ تَنُوبُهُ نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ لِذَلِكَ سَعَةٌ، فَاجْمَعُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا لَا يَضُرُّكُمْ، فَتَأْتُونَهُ بِهِ فَيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ مَا يَنُوبُهُ. فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ ابْنُ أُخْتِنَا، وَقَدْ هَدَانَا اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْكَ، وَتَنُوبُكَ نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ، وَلَيْسَ

عِنْدَكَ لَهَا سَعَةٌ، فَرَأَيْنَا أَنْ نَجْتَمِعَ مِنْ أَمْوَالِنَا فَنَأْتِيَكَ بِهِ فَتَسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ مَنْ يَنُوبُكَ، وَهُوَ ذَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (١) يَقُولُ إِلَّا أَنْ تَوَدُّونِي فِي قَرَابَتِي» (٢)

وفي رواية أُخرىٰ عن إبن عبّاس قال:

«لمّا نزلت ﴿ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (٣) قالوا: يا رسول اللّه! من قرابتك، هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟

قال: علي وفاطمة وإبناهما» (٤)

وفي هذه الجملة نقطتان مهمتان.

الأولىٰ: إنَّ الجملة السّابقة اشتملت علىٰ "باء" السببيَّة: "بموالاتكم..."، وفي هذه الجملة جيء باللام: "ولكم..." وهي "لام" الملكيَّة أو الإختصاص. أي إنَّ من خصائص الأئمَّة وحقوقهم عليهم السّلام الواجبة علينا، مودّتهم.

الثانية: إنَّ الجار والمجرور في هذه الجملة، مقدَّمٌ، وتقدُّم الجار والمجرور يدلُّ علىٰ الحصر كما ثبت في اللغة.

فالعبارة تريد أن تقول بأنَّ هذه المودَّة الواجبة علينا مختصَّة بكم أهل البيت عليكم السّلام ولا تشمل غيركم.

وإذا كانت الآية دالَّة علىٰ أنَّ مودَّة أهل بيت النبي هي أجره علىٰ رسالته،

(١) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٣.

(٢) أسباب نزول الآيات، للواحدي النيشابوري: ٢٥١؛ تفسير فرات: ٣٩١، حديث ٥٢؛ بحار الأنوار: ٢٤٧/٢٣، حديث ٢٠.

(٣) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٣.

(٤) مجمع الزوائد: ١٠٣/٧.

وأنّها مختصّة بهم، ولا تشمل غيرهم، فقد دلّت الأدلّة الكثيرة علىٰ وجوب البراءة من أعدائهم فضلاً عن حبّهم، لعدم جواز اجتماع مودّة أهل البيت مع حبّ من ظلمهم، بل لا تتحقّق المودّة لهم إلاّ بالبراءة من أعدائهم، فكما تجب مودّتهم كذلك تجب البراءة ممّن ظلمهم.

هذا، والحديث المذكور من جملة الأحاديث الثابتة يقيناً، وقد رواها كبار علماء القرن الثاني والثالث، وهي لحدٍّ الآن تُنقل في كتبهم الروائيّة والتفسيريّة.

ومن جملة من رواها من علمائهم الكبار: أحمد بن حنبل، أبوبكر البزّار، الطبري صاحب التفسير المعروف والمشهور، إبن أبي حاتم، أبو القاسم الطبراني، الحاكم النيسابوري، الثعلبي، أبو نعيم الإصفهاني، الواحدي، البغوي، الزمخشري، إبن عساكر، إبن الأثير، الفخر الرازي، القرطبي، البيضاوي، إبن كثير، الهيثمي، العسقلاني، جلال الدين السيوطي و....[1]

واللطيف أنَّ نفس علماء أهل السنّة ينقلون في مصادرهم إستدلال الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام بآية المودَّة، مثل الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السّلام حيث يقول:

---

(١) راجع كتاب: صحيح البخاري: ٣٧/٦؛ سنن الترمذي: ٥٤/٥، حديث ٣٣٠٤؛ المعجم الكبير: ٤٧/٣، حديث ٢٤٤١؛ تفسير إبن أبي حاتم: ٣٢٧٥/١٠، حديث ١٨٤٧٣؛ المستدرك على الصحيحين: ٤٤٢/٢؛ التفسير للثعلبي: ٣٧/٨ و٣١٠؛ حلية الأولياء: ٢٠١/٣؛ التفسير للبغوي: ١٢٤/٤؛ الكشّاف: ٤٦٧/٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ٣٣٦/٤١؛ التفسير للرازي: ١٦٦/٢٧؛ التفسير للقرطبي: ٢١/١٦؛ التفسير للبيضاوي: ١٢٨/٥؛ التفسير لابن كثير: ١٢٠/٤؛ مجمع الزوائد: ١٠٣/٧؛ الدرّ المنثور: ٦/٦؛ روح المعاني: ٣٠/٢٥؛ فتح القدير: ٥٣٦/٤؛ معاني القرآن: ٣٠٨/٦، حديث ٤؛ مسند أحمد: ٢٨٦/١؛ خصائص الوحي المبين: ١٠٩، حديث ٥٠؛ شواهد التنزيل: ١٩٤/٢، حديث ٨٢٧؛ تفسير النسفي: ١٠١/٤؛ الإكمال: ١٩٩؛ مناقب إبن أبي مردويه: ٣١٦، حديث ٥٢٢؛ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٦٦٩/٢، حديث ١١٤١؛ ينابيع المودَّة: ١٢٠/٢، حديث ٣٥٠.

«إنَّه لا يحفظ مودّتنا إلاّ كلّ مؤمن، ثم قرأ: ﴿ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ ﴾ [١]» [٢]

ولما إستشهد أمير المؤمنين عليه السّلام، إرتقىٰ الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام المنبر في المسجد الكوفة وخطب في الناس خطبة جاء فيها:

« أيُّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا إبن النبي وأنا إبن الوصي وأنا إبن البشير وأنا إبن النذير وأنا إبن الداعي إلىٰ اللّه بإذنه، وأنا إبن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الّذي كان جبرئيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. »

ثم قال:

« وإنّا من أهل البيت الذي افترض اللّه مودّتهم علىٰ كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالىٰ لنبيّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله: ﴿ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنا ﴾ [٣]. فإقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت» [٤]

وفي رواية الفريقين: أنَّ الإمام السجاد عليه السّلام لما اُخذ أسيراً إلىٰ الشام في واقعة كربلاء الأليمة مع أهل بيت النبيّ وعقائل الوحي والرسالة، ووصلت القافلة إلىٰ دمشق عاصمة بني اُميّة، جاء شاميّ وقال له:

---

(١) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٣.

(٢) مجمع البيان: ٤٩/٩؛ بحار الأنوار: ٢٣٠/٢٣؛ نظم درر السمطين: ٢٣٩؛ شواهد التنزيل: ٢٠٥/٢؛ كنز العمّال: ٢٩٠/٢، حديث ٤٠٣٠؛ التفسير للآلوسي: ٣١/٢٥؛ مناقب إبن مردويه: ٣١٧، حديث ٥٢٤.

(٣) سورة الشورىٰ (٤٢): الآية ٢٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ١٧٢/٣؛ نظم درر السمطين: ١٤٨؛ كشف الغمّة: ٢/١٧٠-١٦٩؛ بحار الأنوار: ٢١٤/٢٥، حديث ٥.

«الحمد للّه الذي قتلكم؛

قال له الإمام السجّاد عليه السّلام: أقرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال عليه السّلام: «أقرأت آلِ حَم؟»

قال: قرأتُ القرآن ولم أقرأ آل حَم.

قال عليه السّلام: قرأت ﴿قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾؟

قال الشامي: أأنتم هم؟

قال عليه السّلام: «نعم»(١)

فبكىٰ الشامي.»

وهكذا حرّف الأُمويّون الحقائق وموّهوا علىٰ الناس أفكارهم وعقائدهم في أهل البيت عليهم السّلام، إلىٰ درجة أنَّ أهل الشام يحمدون اللّه علىٰ إبادة أهل البيت!

ولكنَّ إرادة اللّه شاءت أن يبقىٰ أهل البيت عليهم السّلام، وينمحي ذكر أعدائهم وظالميهم الّذين إرتكبوا أفضع الجرائم بحقِّهم.

وعليه، يكفي لبيان أهميَّة هذه الآية الكريمة أنَّ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام، قد إستدلّوا بها في المواقف الحسّاسة، فقد إحتجَّ بها أمير المؤمنين عليه السّلام وإحتجّ بها الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السّلام في ذلك الموقف الحسّاس وتلك الظروف الصعبة.

---

(١) العمدة ٥٠-٥١، حديث ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٥٢، حديث ٣١؛ التفسير للبغوي: ٢٥/ ٣٣، حديث ٢٣٦٩٨؛ التفسير للثعلبي: ٨/ ٣١١؛ شواهد التنزيل: ١/ ٤٤٣.

هذا، وقد ذكرنا بعض المطالب الهامّة فيما يرتبط بسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام وواقعة عاشوراء، في كتابنا "من هم قتلة الحسين عليه السّلام"، وكيف انقلب أهل الشام، وخاصّة أهل دمشق، علىٰ يزيد وبني أُميَّة، وكلُّ ذلك ببركة أسر أهل البيت عليهم السّلام وخطبة الإمام زين العابدين عليه السّلام، وخطب العقيلة زينب عليها السّلام.(١)

حقّاً ما أروع دور أهل البيت عليهم السّلام في الشام حيث كشفوا الحقائق للناس في تلك الأيّام القلائل التي كانوا بها في دمشق، لأنَّ الناس كانوا مستغفلين مخدوعين بإعلام بني أُميَّة.

ثمَّ إنَّ هناك رواية في تفسير هذه الآية الكريمة في مصادر أهل السنَّة المهمّة.

عن سعيد بن جبير عن إبن عبّاس قال:

«قالت الأنصار فيما بينهم، لو جمعنا لرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله مالاً فبسط يده لا يحول بينه وبين أحد.

فأتوا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فقالوا: يا رسول اللّه! إنّا أردنا أن نجمع لك من أموالنا.

فأنزل اللّه عزَّوجلّ: ﴿ **قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ** ﴾.

فخرجوا مختلفين، فقال بعضهم: ألم تروا ما قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؟

وقال بعضهم: إنَّما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم.

فأنزل اللّه عزَّوجلّ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَىٰ اللّٰهِ كَذِبا** ﴾ ... إلىٰ قوله: ﴿ **وَ هُوَ**

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/١٣١-١٣٣ و١٣٧؛ مثير الأحزان: ٧٩؛ اللهوف: ١٠٤؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السّلام: ٤٣٣ و٤٣٨.

الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ فعرض لهم رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بالتوبة...»[١]

نعم، لقد طلب من الأنصار أن يحفظوا أهل بيته من بعده، وقد عاهدوا رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عليه.

وفي هذا الصدد نقول: لكن لم تمرّ إلاّ أيّامٌ قلائل حتّىٰ نكث الأنصار هذا العهد مع أمير المؤمنين والصدّيقة الزهراء عليهما السّلام، فخطبت الزهراء عليها السّلام خطبة طويلة في مسجد رسول اللّه خاطبت بها الأنصار.[٢]

وتعدُّ هذه الخطبة من الأسناد المهمَّة لإثبات حقّانيَّة أهل البيت عليهم السّلام، وينبغي الإهتمام بها وحفظها من قبل شيعة أهل البيت عليهم السّلام.

فالخطاب موجّه إلىٰ الأنصار، حيث عاتبتهم الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام علىٰ نكث العهد وعدم العمل بالقرآن الكريم الذي طلب منهم مودَّة أهل البيت عليهم السّلام.

هذا وقد وردت روايات كثيرة عن النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يوصي فيها بأهل بيته خيراً، ولكنَّ الناس انقلبوا علىٰ أعقابهم كما وصفهم القرآن الكريم، وخذلوا أهل بيت نبيِّهم، فاستشهدوا عليهم السّلام واحداً بعد واحد.

ومن جملة المسائل المهمّة في هذا المضمار، قضيَّة بيت فاطمة الزهراء عليها السّلام والهجوم عليه والتجاسر علىٰ حضرة الصدّيقة الطاهرة عليها السّلام.

وأثناء وقوع هذه الحادثة الأليمة والمهمَّة، كان الأنصار قابعين في بيوتهم،

---

(١) المعجم الكبير: ١٢/ ٢٦-٢٧، مجمع الزوائد: ٧/ ١٠٣، المعجم الأوسط: ٦/ ٤٩، الدرّ المنثور: ٦/ ٦ و٧، مناقب إبن مردويه: ٣١٧.

(٢) دلائل الإمامة: ١١١؛ الإحتجاج: ١/ ١٣١؛ بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠، حديث ٨.

خلا عدَّة قليلة وقفت إلىٰ جانب أمير المؤمنين عليه السَّلام، ولكنَّهم لم يقدروا علىٰ فعل الكثير.

ولذا، وعندما وصل الحكم إلىٰ يزيد، ثار أهلُ المدينة عليه، فأرسلوا وفداً إلىٰ الشام للمفاوضة ودراسة الأمر، وللتحقيق في شخصيَّة يزيد.

ورجع الوفد حاملاً خبر فسق يزيد وشربه للخمر وتركه الصلاة ولعبه بالنرد والكلاب والقردة و.... [١]

ولذا، نبض العرق الدينيّ عند أهل المدينة المنوّرة بعد واقعة عاشوراء، فثار أهلها علىٰ يزيد، فأرسل إليهم يزيدُ جيشاً جرّاراً فقمع الثورة وأباح مدينة الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله لجيشه ثلاثة أيّام.

وقد ذكر المؤرخون، بأنَّ الجيش بقي في المدينة ثلاثة أيّام أراق فيها الدماء التي سالت في مسجد الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وقتل الآلاف من الصحابة والتابعين وأبنائهم.

نعم، هذه هي نتيجة نكث العهد الذي عاهدوه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

نقل التأريخ في خصوص هذه الحادثة، أنَّ عبد اللّه بن حنظلة غسيل الملائكة قال:

«و اللّه، ما خرجنا علىٰ يزيد حتّىٰ خفنا أن نرمىٰ بالحجارة من السماء، إنَّه رجل ينكح أمّهات الأولاد، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة» [٢]

---

(١) لمزيد من الإطّلاع راجع كتابنا: "من هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام".

(٢) تأريخ الخلفاء: ١٩٥/١؛ تأريخ الإسلام: ٢٧/٥؛ الطبقات الكبرىٰ: ٦٦/٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ٤٢٩/٢٧.

كانت تلكم شمَّة من عطر آية المودَّة الكريمة.

وبطبيعة الحال، فإنَّ بعض المتعصّبين من أهل السنَّة قد شكّك في نـزول الآية في أهل البيت، فمثلاً يقول إبن تيميَّة:

«وأما قوله: وأنزل اللّه فيهم: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَـلَيْهِ أَجْـراً إِلاَّ الْـمَوَدَّةَ فِـي الْقُرْبىٰ﴾ فهذا كذب ظاهر، فإنَّ هذه الآية في سورة الشورىٰ، وسورة الشـورىٰ مكيّة بلا ريب، نزلت قبل أن يتزوّج علي بفاطمة...

وقد ذكر طائفة من المصنفين من أهل السنَّة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم، حديثاً عن النبيّ صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنَّ هذه الآية لمّا نزلت قالوا: يا رسول اللّه، من هؤلاء؟

قال: علي وفاطمة وإبناهما.

وهذا كذب باتّفاق أهل المعرفة»[(١)]

وقال إبن كثير في هذا السياق:

«وذكر نزول الآية في المدينة بعيد، فإنَّها مكيّة ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي اللّه عنها أولاد بالكلية، فإنَّها لم تتزوّج بعلي رضي اللّه عنه إلاّ بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة»[(٢)]

وخلاصة كلامهم هي إنَّ رواية آية المودَّة غير صحيحة، وإنَّهم لا يقبلونها، لأنَّ آية المودَّة من سورة الشورىٰ، وسورة الشورىٰ نـزلت فـي مكَّـة، وإنَّ أمـير المؤمنين لم يكن تزوَّج بعدُ بالزهراء عليها السّلام، فلم يكن الحسن والحسين عليهما السّلام قد وُلدا، فالرواية غير صحيحة!!

---

(١) منهاج السنة: ٤/٥٦٢ و٥٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/١٢٢.

هكذا قال هؤلاء دفاعاً عمّن نكث العهد، ولسلب هذه الفضيلة العظمىٰ عن أهل البيت عليهم السّلام.

ولكنَّ علماءنا، وبلطف من اللّه تعالىٰ، قد إجتهدوا علىٰ مرِّ التأريخ، وأثبتوا ببيانهم وأقلامهم حقّانيَّة أهل البيت عليهم السّلام.

ونحن إذ درسنا في مدرستهم وتابعنا تحقيقاتهم استنتجنا أنَّ سورة الشورىٰ وإنْ نزل بعضها في مكّة، إلاّ أنَّ بعض الآيات نزلت في المدينة، ومن جملتها الآية ﴿ **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾.

ومن ثمَّ، فإنَّ مثل أبي حيّان الأندلسي، الشوكاني اليمني، الآلوسي البغدادي وآخرين من كبار مفسري أهل السنَّة، قالوا: إنَّ الآية ﴿ **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ**... ﴾ قد نزلت في المدينة، وإنْ كانت ضمن سورة الشورىٰ المكيَّة.

ففي تفسير القرطبي:

«سورة الشورىٰ مكيَّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. قال إبن عبّاس وقتادة: إلاّ أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: ﴿ **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ** ﴾ ....»[1]

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ سؤالاً هنا يطرح نفسه: هل إنَّ الأمر الذي طلبه رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، أي مودَّة أهل بيته، يعود بالنفع علىٰ نفس الرسول صلّىٰ اللّهُ عليه وآله؟ أم علىٰ أهل بيته؟ أم علىٰ الناس أنفسهم؟

الجواب هو إنَّ الناس لو إستجابوا للأمر الوارد في الآية، ووادّوا أهل بيت

---

(١) تفسير القرطبي: ١/١٦؛ راجع: البحر المحيط، ابو حيان: ٧/٤٩٤-٤٩٣؛ فتح القدير، الشوكاني: ٤/٥٢٤؛ روح المعاني: للآلوسي: ٢٥/١٠.

رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأطاعوهم وتابعوهم وعملوا بأوامرهم ونواهيهم وطبقوا سائر أوامر رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فيهم لرأوا الخير الكثير، ولنزلت عليهم البركات الماديَّة والمعنويَّة ولسعدوا في الدنيا والآخرة.

وفي المقابل، لو أنَّ كلَّ الناس أعرضوا عن أهل البيت عليهم السّلام، ولم يتابعوهم، لم يؤثر ذلك في علوّ مقام أهل البيت عليهم السّلام ومنزلتهم.

ومن هنا ينقل الزمخشري، وهو من كبار مفسّري علماء العامّة، في تفسيره للقرآن، عدّة روايات في ذيل هذه الآية المباركة.

وإليكم حديثين من هذه الأحاديث:

الحديث الأوَّل: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«حرّمت الجنَّة علىٰ من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي. ومن اصطنع صنيعة إلىٰ أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة»[١]

الحديث الثاني: عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم قال:

«مَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيداً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفُوراً لَهُ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ تَائِباً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِناً مُسْتَكْمِلَ الْإِيمَانِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُزَفُّ إِلَىٰ الْجَنَّةِ كَمَا تُزَفُّ الْعَرُوسُ إِلَىٰ بَيْتِ زَوْجِهَا.

---

(١) الكشّاف: ٤٦٧/٣.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الْجَنَّةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جعَلَ اللّهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَىٰ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِراً.

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّة» (١)

بل، إنّ الإيمان بأهل البيت عليهم السّلام وولايتهم، هي السنّة التي وردت عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

فمن أبغض آل محمد عليهم السّلام ولو بمقدار ذرَّة، لم يشمُّ رائحة الجنَّة في عرصات القيامة.

والأمر الآخر فيما يرتبط بآية المودَّة، هو إنّ "المودَّة" تختلف عن "المحبَّة".

فطبقاً لما جاء في كتب اللغة، فإنّ المودَّة أعلىٰ من المحبَّة، لأنّ المودَّة تستتبع الطاعة والمتابعة، وهي واجبة.

هذا وقد أثبتنا في تفسير هذه الآية المباركة دلالتها علىٰ إمامة أهل البيت عليهم السّلام من وجوه، ومن ذلك أنّها تدلّ علىٰ عصمتهم وعلىٰ أفضليّتهم.

وفي ختام هذا البحث نذكر الحديث التالي وهو: إنَّ رجلاً جاء إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقال:

«أمرتنا بمودَّة القربىٰ؟

---

(١) نفس المصدر: ٣/٤٦٧.

قال: نعم.

قال :قرباي أم قرباك ؟

قال :بل قرباي.

فما كان من الرجل إلاّ أن لَعَنَ كلَّ من لا يحب أهل البيت عليهم السّلام فقال:
«وعلىٰ من لا يحبُّك ولا يحبُّ قرباك لعنة اللّه.
فقال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:آمين.»[١]

وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَة ؛

الدرجات العُلىٰ

إنَّ درجات الجنَّة الرفيعة مختصَّة بأهل البيت عليهم السّلام.

وهذا من الواضحات التي لا تحتاج إلىٰ دليل، لأنَّ أهل البيت عليهم السّلام هم مع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في يوم القيامة، فأينما كان النبي محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فهم معه، وفي درجته.

وبعبارة أُخرىٰ، إنَّ الصدّيقة الطاهرة، أمير المؤمنين، الحسنين وأهل البيت عليهم السّلام جميعاً، ليسوا فقط غير منفصلين عن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في يوم القيامة، بل وهم في أعلىٰ المراتب، حيث يكون رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، وهذا المعنىٰ لا كلام فيه ولا بحث.

---

(١) حلية الأولياء: ٢٠١/٣.

بل وأكثر من ذلك، فقد جاء في الخبر عن النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله أنَّ من أطاع أهل البيت عليهم السّلام، وكان من شيعتهم فهو مع النبي وأهل البيت عليهم السّلام يوم القيامة.(١)

إنَّ هؤلاء الكرام عليهم السّلام يصطحبون شيعتهم معهم، لماذا؟

لأنَّ الملاك والضابطة والمعيار للإرتقاء والكمال هو الطاعة والعبوديَّة للّه والعمل بالواجبات وترك المحرَّمات والإحتياط في الشبهات والورع، وأن يكون الإنسان مراقباً لجميع حركاته وسكناته، وأن يضع قدمه في كلِّ موضع وضع أهل البيت عليهم السّلام أقدامهم، فلا غرو إنَّه سيرقىٰ المراتب العليا، كما إرتقوا هم عليهم السّلام.

وجاء في رواية أُخرىٰ، أنَّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السّلام كانا ذات يوم مع رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فأشار إليهما رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وقال:

«من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي في الجنَّة يوم القيامة»(٢)

وقد نظم أبو الحسين علي بن حمّاد بن عبيد العبري البصري هذا الحديث فقال:

---

(١) راجع كتاب الأمالي للصدوق: ٢٩٨.

(٢) العمدة: ٢٧٤، حديث ٤٣٦؛ بحار الأنوار: ٧٢/٣٧، حديث ٣٩؛ مناقب آل أبي طالب: ١٥٣/٣-١٥٤؛ مسند أحمد: ٧٧/١؛ سنن الترمذي: ٣٠٥/٥، حديث ٣٨١٦؛ كنز العمّال: ٩٧/١٢، حديث ٣٤١٦١؛ الإكمال: ١٧٣؛ تأريخ بغداد: ٢٨٩/١٣؛ تأريخ مدينة دمشق: ١٩٦/١٣؛ أسد الغابة: ٢٩/٤؛ تهذيب الكمال: ٢٢٨/٦ و....

«أخذ النبيّ يد الحسين وصنوه يوماً وقال وصحبه في مجمع
من ودّني يا قوم! أو هذين أو أبويهما فالخلد مسكنه معي»[١]

ومن الواضح أنَّ المراد من المودَّة، ليست المحبَّة المجرَّدة، وإنَّما المراد هو الطاعة والإمتثال لأوامرهم ونواهيهم.

فلو إنّك قلت لأبيك ألف مرَّة، أنا شاكر لك، أنا عبدٌ لك، ولكنك لم تعمل بما يأمر به ولم تطعه فيما ينهىٰ عنه، فما فائدة تلك المجاملة المجرَّدة؟!

إذن، فليس أهل البيت فقط من يكون بصحبة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله في الجنَّة يوم القيامة، وإنَّما هم عليهم السّلام قد وعدوا وبشّروا كلّ إنسانٍ يعمل بأوامرهم ويطيعهم بأن يأخذوا بيده إليهم في يوم القيامة.

وَالْمَقَامُ الْمَحْمُود؛

مقام الحمد

إنَّ اللّه تعالىٰ قد منح النبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وأهل البيت عليهم السّلام، مقاماً إستثنائيّاً في يوم القيامة.

يقول تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُودا﴾[٢].

فما هو المقام المحمود؟

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٥٤/٣؛ بحار الأنوار: ٢٨٠/٤٣.

(٢) سورة الإسراء (١٧): الآية ٧٩.

إنَّ عقلنا قاصرٌ عن درك ذلك، ولكنَّ نفس النبي الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول بأنَّ اللّه تعالىٰ قد أعطاه مقام الشفاعة في يوم القيامة، فهو شافع للمؤمنين من اُمّته.

وقد ورد في أحوال الأنبياء السابقين في القرآن الكريم، أنَّهم يشتكون علىٰ اُممهم في يوم القيامة أعمالهم القبيحة ومخالفاتهم لأوامر أنبيائهم، أو أنَّهم يشهدون عليهم، وأمّا الأُمَّة الإسلاميَّة فإنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله سيشفع لهم رغم ما اقترفوه من المخالفات، فيظهر شأن رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله ومقامه الشامخ.

ومن ثَمَّ سمّيت هذه الأُمَّة بالأُمَّة المرحومة، ولكنَّ هذه الأُمَّة ما قدَّرت ثمن هذه الرحمة الإلهيَّة لها.

تُرىٰ، لماذا امتازت هذه الأُمَّة عن الأُمم السابقة؟

لأنَّ نبيَّ هذه الأُمَّة أفضل من أنبياء سائر الأُمم.

فالأنبياء السابقون يشتكون ويشهدون علىٰ اُممهم، وأمّا رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فينادي يوم القيامة:

«يا ربِّ! إرحم اُمَّتي» (١)

والأئمَّة الأطهار عليهم السّلام هم كذلك يوم القيامة. (٢)

فالنبيّ الأكرم صلّىٰ اللّهُ عليه وآله والأئمَّة الأطهار لهم مثل هذا المقام في يوم القيامة.

---

(١) الكافي: ٨/٣١٢؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: ٣١٨.

(٢) الفضائل (شاذان بن جبرئيل): ١١١؛ كشف اليقين: ٣١٧-٣١٨؛ شرح إحقاق الحقّ: ٥/٢٠.

ولكنَّ ينبغي ألّا نغترّ بالشفاعة، فإنَّ علينا أن نكسب اللياقة والأهليَّة لنيل هذه الشفاعة.

ففي رواية عن عليٍّ أمير المؤمنين عليه السّلام، قال:

«سمعت النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله يقول:

إِذَا حُشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ! إِنَّ اللَّـهَ جَـلَّ اسْـمُهُ أَمْكَنَكَ مِنَ الْمُجَازَاةِ لِمُحِبِّيكَ وَمُحِبِّي أَهْلِ بَيْتِكَ الْمُوَالِينَ لَهُمْ، فَكَافِهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! الْجَنَّةَ.

فَأُنَادَىٰ: بَوِّئْهُمْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدْتُ بِه»[١]

وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِـنْدَ اللَّـهِ عَـزَّوَجَلَّ وَالْـجَاهُ الْعَظِيمُ، وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ، وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَة؛

المقام المعيَّن

نعم، إنَّ من له ذلك القدر وتلك المنزلة والجلالة والشأن والقرب والعظمة عند اللّه تعالىٰ، فلا غرو أن تكون شفاعته مقبولة، وهذه المقامات مختصَّة بمحمدٍ وآل محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

ومن هنا فإنَّ الجميع يتوسلون بهم عليهم السّلام إلىٰ اللّه، ويقسمون عليه

---

(١) إرشاد القلوب: ٢/٢٥٦؛ بحار الأنوار: ٦٥/١١٧.

بحقّهم، وهذا أمرٌ مُسَلَّم، دلَّت عليه الأدلَّة المنقولة في كتب الشيعة والسنَّة.

فقد جاء عن إبن عبّاسٍ قال:

«سألت النبي صلّىٰ اللّهُ عليه وآله عن الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه.

قال: سأله بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ.

فتاب اللّه عليه»[1]

وهذه الحقيقة جارية في وُلد آدم عليه السّلام في الدنيا إلىٰ يوم القيامة، وهي جارية في يوم القيامة أيضاً.

رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِين؛

حاجةٌ إلىٰ اللّه

وفي هذا المقطع الأخير من الزيارة، يدعو الزائر بعدَّة دعوات ويتوسل إلىٰ اللّه تعالىٰ.

وكأنَّ هذه العبارة، إشارة إلىٰ آية من القرآن الكريم في سورة آل عمران وهي قوله تعالىٰ:

---

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٧٥؛ كشف الغمّة: ١ / ٦٥؛ بحار الأنوار: ٢٤ / ١٨٣.

﴿ رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِين ﴾[1].

فبعد أن يقرّ الزائر في هذه الزيارة الجامعة، بمقامات الأئمّة الأطهار عليهم السّلام وأوصافهم، ويعرض بعض إعتقاداته علىٰ الإمام عليه السّلام، يرفع يدهُ بالدعاء ويلهج لسانُه بالتوسُّل:

إلهي، لقد آمنّا بالقرآن الكريم وما فيه، وبكلام رسولك النبيّ محمّد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ونحن مطيعون وتابعون لنبيِّك صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، في كلِّ ما أتىٰ به في معرفة اللّه، وبما قاله في الآخرة والمعاد، ومعرفة النبوَّة ورسالة محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، آمنّا بكلِّ ذلك، وخاصَّة ما قرأناه في الزيارة الجامعة وعرضناه وأقررنا به، فهو إقرار عن إعتقاد وإيمان راسخ، نلتزم به ونعمل بكلٍّ ما قاله اللّه تعالىٰ، وما قاله رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله بما في ذلك الآيات والروايات الواردة في حقِّ أهل البيت عليهم السّلام، الأئمَّة الأطهار وبكلِّ خصائصهم ومقاماتهم.

ثم نقول: أللّهمّ اجعلنا من الشاهدين.

و"الشاهدين" جمع "شاهد"، بمعنىٰ "الحاضر".

وما المراد من "الشاهدين" في هذا المقطع من الزيارة؟

لعلّ المراد: أنّه عندما تقوم القيامة، ويساق الجميع للحساب، كلُّ من أطاع اللّه ورسوله في أهل البيت عليهم السّلام، وكلُّ من خالف الكتاب والسنّة في أهل البيت عليهم السّلام، فالزائر يطلب من اللّه تعالىٰ أن يجعله من الشاهدين لذلك اليوم، ليرىٰ كيف يحكم اللّه تعالىٰ فيرحم أهل الإيمان ويعذّب المخالفين.

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٥٣.

وهذا في الحقيقة لطفٌ آخر.

ومن هنا قلنا في بيان الرجعة بأنَّ المؤمنين يرجعون وأنَّ الكافرين والمخالفين يرجعون، فيُنتقمُ منهم ببركة حكومة حضرة وليِّ العصر عليه السّلام ويثاب المؤمنون في الدنيا أيضاً.

والحقيقة، إنَّ كلّ مؤمنٍ يتمنّىٰ أن يشهد عقاب المخالفين لأهل البيت عليهم السّلام ويرىٰ بنفسه عاقبة مخالفتهم، وهذا أمرٌ عظيم وكرامة.

وقد يكون المراد من "الشاهدين" نفس المعنىٰ المعروف، وهو الشهادة الإصطلاحيَّة. فالزائر يطلب من اللّه تعالىٰ أن يكون من الشهود علىٰ حقّانيَّة ما جاء به رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، خاصَّة في أهل بيته عليهم السّلام وما بلَّغهُ للناس في ذلك.

وإنَّ الشهادة بهذا المعنىٰ في يوم القيامة، هي من خصائص المؤمنين من أُمَّة رسول اللّه محمد صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [1].

وعليه، فرسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله شاهدٌ، حاضرٌ وناظرٌ علىٰ أُمَّته، والمؤمنون من أُمَّته أيضاً شاهدون علىٰ الأُمم الأُخرىٰ.

فبالتأمُّل والدقَّة في الإستشهاد بالآية المباركة، يكون معنىٰ العبارة: إجعلني من الشاهدين في يوم القيامة لأرىٰ عاقبة الأمر، ولأشهد علىٰ ذلك.

كما يمكننا إستفادة نقطة أُخرىٰ من الإستشهاد بالآية المباركة، وهي إنَّ المخالفين لأهل البيت عليهم السّلام وأعداءهم، لا يُحسبون من هذه الأُمَّة، فهم

---

(١) سورة البقرة (٢): الآية ١٤٣.

خارجون عن الأُمَّة المرحومة، لأنَّ أُمَّة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله شاهدة علىٰ الأُمم الأُخرىٰ حتّىٰ المخالفين لأهل البيت عليهم السّلام.

ويبدو أنَّ المستفاد من الآية، المستشهد بها هنا، هو أنَّ أتباع أهل البيت عليهم السّلام منفصلون يوم القيامة عن أعدائهم ومخالفيهم.

نعم، ففي هذا العالم، حيث الحقائق خافية ولا تُرىٰ إلاّ الظواهر، فالمعاملات، والقضايا والطهارة والنجاسة و... كلّها تبتني علىٰ أساس الظاهر، وأمّا في عالم الآخرة حيث تنكشف الحقائق، سيتَّضح أنّه لم يكن بعد رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله إلاّ طريقان، إمّا طريق أهل البيت عليهم السّلام، وإمّا طريق أعدائهم؛ ولا نجاة إلاّ لأتباع أهل البيت.

إذن، فهناك شهود في يوم القيامة، وهذا بنفسه أحد الخصائص والمميَّزات، وهو مختصٌّ بشيعة أهل البيت عليهم السّلام.

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّاب؛

دعاءُ آخر

وهذه العبارة مأخوذة أيضاً من آيات القرآن الكريم.

ربّنا ثبّت قلوبنا علىٰ الإيمان بعد أن هديتنا وأرشدتنا إلىٰ الطريق المستقيم، وثبّت أقدامنا علىٰ السير والتقدّم فيه.

وهذا الدعاء في غاية الأهميَّة، وهو نفس الدعاء الذي اُمرنا أن ندعوا به في آخر الزمان.

فعن عبد اللّه بن سنان، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

«ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرىٰ، ولا إمام هدىٰ، ولا ينجو منها إلاّ من دعا بدعاء الغريق.

قلت: كيف دعاء الغريق؟

قال: يقول: يا اللّه يا رحمان يا رحيم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي علىٰ دينك....»[١]

فكم إتَّفق أمام أنظارنا، أن أصبح الرجل مؤمناً منتظماً مؤدّباً خلوقاً، فما أن يُمسي المساءُ حتّىٰ نراه يتكلّم بكلام نستجير باللّه تعالىٰ من سماعه، لأنَّه كلام فيه سخط اللّه وغضبه، إذ أنَّ وسائل الإنحراف والغواية في هذا الزمن قد كثرت وتعدَّدت، ولذا لابدَّ أن نكرّر قول:

﴿ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا ﴾[٢].

نعم، فنحن بحاجة إلىٰ رحمة من اللّه تعالىٰ تشملنا، وتكون مصدر قوَّة، قدرة وإستحكام لعقائدنا، كي نتمكّن من مواجهة الأفكار الإنحرافيَّة والإستقامة علىٰ الحق، وأن لا تزلَّ أقدامنا عن مسير أهل البيت عليهم السّلام، بل تبقىٰ راسخة ثابتة في هذا الطريق، وأن نرد يوم القيامة علىٰ اللّه ورسوله وأهل بيته عليهم السّلام ونحن علىٰ هذا الإيمان.

---

(١) كمال الدين: ٣٥١، حديث ٤٩؛ بحار الأنوار: ١٤٨/٥٢، حديث ٧٣.

(٢) سورة آل عمران (٣): الآية ٨.

فهذا الدعاء مهمٌّ جدّاً.و لذا جاء في الرواية عن الصادق عليه السّلام قال: «أكثروا من أن تقولوا: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾[1] ولا تأمنوا الزيغ»[2]

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا ؛

وهذه العبارة إشارة إلىٰ آية من القرآن الكريم، فاللّه تعالىٰ منزَّه عن خلف الوعد الذي وعده عباده، أي: إلهنا ثبِّت أقدامنا علىٰ ما قدَّرت لنا من الإيمان والولاية.

فهذا دُعاءٌ مقتبسٌ من قوله تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾[3].

إنَّ "سبحان ربّنا" هو لسانُ حال بعض الناس الذين أوتوا العلم، فهؤلاء هم الذين يسجدون إذا ما قُرِيء عليهم القرآن خاشعين خاضعين تلهج ألسنتهم وتخشع جوارحهم بقول: "سبحان ربّنا..."

إذن، فنحن مسلِّمون لما قدَّرت لنا، وليكن تقديرك لنا أن نؤهَّل لنيل وفاءك بالوعد لنا، وأن تُجيب دُعاءَنا وتثبِّت أقدامنا علىٰ إيماننا.

---

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٨.

(٢) تفسير العياشي: ١٦٤/١، حديث ٩.

(٣) سورة الاسراء (١٧): الآية ١٠٧-١٠٩.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُم ؛

مناجاةٌ مع المعصوم

وبعد ثلاث جُمَلٍ قرآنيّة، يخاطب الزائر الإمام عليه السّلام، أو جميع الأئمّة المعصومين -إذا ما زارهم جميعاً بزيارة واحدة- ويقول:

يا أيُّها الأولياء الذين رفع اللّه مقامهم، وقرَّبهم عنده لعبادتهم إيّاه، وعبوديّتهم له، إنَّ لي ذنوباً كثيرة لا يعلمها إلاّ اللّه، وإنّي من العاصين الراجين لشفاعتكم لي عند اللّه تعالىٰ.

تُرىٰ، لو لم نكن مرضيّين للأئمّة الأطهار عليهم السّلام، وأراد المأمورون الإلهيّون محاسبتنا بدقّة وعدلٍ، كيف سيكون حسابنا؟!

فما أسوأ حالنا حينئذٍ، فالإنسانُ علىٰ أيِّ حالٍ غير معصوم، بل هو عبد ضعيف مذنب عاجز، ليس إلاّ.

وبالطبع، فإنّنا نريد أن نخطوا خطوات في هذا الطريق ونرتقي في مدارج الكمال، وصدقاً نريد أن يوفقنا تعالىٰ لذلك ببركة الأئمّة الأطهار.

فالإنسان قد يعصي اللّه، ويذنب ويخطأ، ففي دعاء أبي حمزة الثمالي:

«إلهي! لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيّتك جاحد، ولا بأمرك مستخفّ، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت وسوّلت لي

نفسي وغلبني هواي وأعانتني عليها شقوتي»[١]

ونقرأ في دعاء الكميل في ليالي الجمعة:

«... لا اله الّا انت، سبحانك وبحمدك، ظلمت نفسي وتجرّات بجهلي...

اللّهمّ عظم بلائي وافرط بي سوء حالي، وقصرت بي اعمالي وقعدت بي اغلالي، وحبسني عن نفعي بعد آمالي، وخدعتني الدّنيا بغرورها ونفسي بخيانتها....»[٢]

وهو كذلك حقّاً، فإنَّ بعض الذنوب تصدر عنّا جهلاً ولغلبة النفس الأمّارة. ولذا، وعندما نصحوا من غفلتنا نندم ونستغفر ونتوب ولا نصرُّ علىٰ المعاصي.

وعلىٰ هذا الأساس، فالأئمَّة عليهم السّلام يشفعون لنا.

ولا يخفىٰ أنَّ كلَّ ذنب يصدر من العبد تجاه اللّه تعالىٰ هو ذنب كبير بالنظر إلىٰ عظمة اللّه عزّوجلّ.

ومن جهة أُخرىٰ، فإنَّ بعض الذنوب التي تصدر عن الإنسان خفيَّة جدّاً، ولا يعلم بها إلاّ اللّه تعالىٰ، لأنَّ العبد يرتكبها في الخلاء علىٰ أثر وسوسة الشيطان التي تغلب عليه، ولا يطّلع عليها أحدٌ من الناس.

لذا، فإنَّنا نلجأ إلىٰ الأئمَّة الأطهار عليهم السّلام ونخاطبهم ونلتمس منهم لما لهم عند اللّه من القرب والمنزلة، وبما لهم من الولاية المطلقة.

فنحن لا نعلم أحداً غيرهم له من الجاه عند اللّه يقدر علىٰ التوسط والشفاعة لنا عند اللّه لعفو وغفران الذنوب والمعاصي التي بيننا وبين اللّه تعالىٰ.

---

(١) مصباح المتهجّد: ٥٨٩؛ إقبال الأعمال: ١/١٦٦؛ بحار الأنوار: ٩٥/٨٨، وفي هذين المصدرين ورد "أعانتني" بدلاً عن "أعانني".

(٢) إقبال الأعمال: ٣/٣٣٢ و٣٣٣؛ مصباح المتهجّد: ٨٤٥.

فإنْ قبلوا توسلنا وتشفعوا لنا، فهذا أملنا وهو مبتغانا لحلٍّ مشكلتنا، ولذا نقول لهم: بحقّ اللّه الذي إستأمنكم علىٰ عظيم أسراره وأخبركم بما لم يُخبر به أحداً من خلقه، إلاّ ما كنتم شفعائي في غفران الذنوب.

نعم، فاللّه تعالىٰ قد أودع أهل البيت عليهم السّلام أسراراً وعلوماً لم يُطلع عليها أحداً من خلقه غيرهم.

وبطبيعة الحال، فإنَّ للأئمَّة عليهم السّلام أن يُخبروا من أرادوا إخباره بهذه المعارف والعلوم، ولهم أن يحجبوا عن إخباره، كما قال القرآن الكريم:

﴿هٰذٰا عَطٰاؤُنٰا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسٰاب ﴾[١].

فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَىٰ سِرِّه؛

ففي هذه المقاطع الأخيرة من الزيارة الجامعة، نلتمس الأئمَّة الأطهار ونتوسل بهم ونقسم عليهم باللّه الّذي قرَّبهم إليه لدرجة أنَّهم صاروا أُمناء سرِّه.

وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ؛

أي جعلكم القيّمين علىٰ الخلائق وإدارة أُمورهم، فمنَّ عليكم بالولاية علىٰ جميع الخلق الذين أوجدهم ببركة وجودكم.

---

(١) سورة ص (٣٨): الآية ٣٩.

وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ ؛

فجعل طاعتكم مقترنةً لطاعته وشرطاً للنجاة في الآخرة، فقال تعالىٰ في كتابه المجيد:

﴿أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾ [1].

و"أولو الأمر" هم الأئمّة الذين تجب طاعتهم إلىٰ جنب طاعة اللّه وطاعة رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله.

فاللّه تعالىٰ قد أعطىٰ الأئمّة عليهم السّلام مثل هذا المقام، فنحن نقسم عليهم باللّه الذي أعطاهم هذه المقامات وهذه المنازل وهذه العظمة والقرب بأنْ:

لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي ؛

إشفعوا لي إلىٰ اللّه بمقاماتكم التي لكم عنده أن يهب لي ذنوبي ويغفرها لي ويعفو عنّي، وأنْ يتوب عليَّ. فأنا مفتقرٌ إلىٰ شفاعتكم، إذ ليس عندي ما يؤهّلني لنيل غفرانه غير شفاعتكم.

وكلمة "إستوهب" تعني طلب العفو.

قال الراغب الإصفهاني:

«الهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض» [2]

إلهنا! إعف عن ذنوبنا، ولا تعذّبنا، ببركة أهل البيت عليهم السّلام.

---

(١) سورة النساء (٤): الآية ٥٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥٣٣.

وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيع ...

فالزائر يقول: إنّي في زمرتكم وعلىٰ خطّكم، مطيعٌ لكم.

إنَّه لا أكثر من خطَّين ونهجين -كما ذكرنا مراراً- خطّ أهل البيت عليهم السّلام، وخطّ أعدائهم، وأنا في خطّكم يا أهل البيت لا في خطّ غيركم، ولكنّني من المذنبين الخاطئين، وأنتم مَن إذا أطاعكم أحدٌ فقد أطاع اللّه، وإنَّ من عصاكم فقد عصىٰ اللّه، ومن أحبَّكم فقد أحبَّ اللّه. فأنتم فقط من له هذه المقامات والمنازل، فمن عاداكم فقد عادىٰ اللّه.

هذا وقد ورد في هذا المعنىٰ حديث معتبرٌ في كتب أهل السنَّة، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله وسلَّم:

«من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن عصانى فقد عصىٰ اللّه، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصىٰ عليّاً فقد عصاني»[1]

فمن عادىٰ أمير المؤمنين عليه السَّلام فقد عادىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله، ومن عادىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله فقد عادىٰ اللّه.

وفي حديث آخر في كتب أهل السنَّة كذلك: أنَّ رسول اللّه صلّىٰ اللّهُ عليه وآله خاطب عليّاً وفاطمةَ والحسنَ والحسين عليهم السّلام قائلاً:

«أنا حرب لمن حاربكم»[2]

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٢١/٣ و١٢٨؛ كنز العمّال: ٦١٤/١١، حديث ٣٢٩٧٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٦/٤٢؛ وراجع: معاني الأخبار: ٣٧٣؛ الإحتجاج: ٤٠٦/١؛ بحار الأنوار: ١٢٩/٣٨.

(٢) شرح الأخبار ٦٠٨/٢، حديث ٩٠٧؛ الأمالي للطوسي: ٣٣٦، حديث ٦٨٠؛ مناقب آل أبي طالب: ١٨/٣؛ ذخائر العقبىٰ: ٢٥؛ بحار الأنوار: ٢٨٦/٢٢، حديث ٥٥؛ مسند أحمد: ٤٤٢/٢؛ المستدرك على الصحيحين: ١٤٩/٣؛ مجمع الزوائد: ١٦٩/٩؛ المصنف: ٥١٢/٧، حديث ٧؛ صحيح إبن حبّان: ٤٣٤/١٥؛ المعجم الكبير: ٤٠/٣، حديث ٢٦٢١؛ المعجم الأوسط: ١٧٩/٣؛ المعجم الصغير: ٣/٢؛ كنز العمّال: ٩٧/١٢، حديث ٣٤١٦٤.

فالزائر يقول: يا سادتي، إنَّ لكم مثل هذا المقام، وأنا أُريد أن أدخل نفسي في الصّالحين من شيعتهم، فتفضّلوا عليَّ بالشفاعة والوساطة.

اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ - الْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي ؛

وحرف "لو" موضوعة في اللغة العربيّة للدلالة علىٰ الإمتناع. فالزائر يقول: لو فرضنا بأنَّ هناك من هم أقرب إليك يا ربّنا من محمَّد وآل محمد الأطهار لجعلناهم شفعاء إليك، ولكنْ لا يوجد من هو أقرب إليك من هؤلاء الأئمَّة الأخيار الأبرار...

وهذا أمرٌ طبيعيّ، فإنَّ من له حاجة عند عظيم يريد قضاءها، فإنَّه ينتخب الأقرب فالأقرب إلىٰ هذا العظيم ليجعله شفيعاً له إليه في قضاء حاجته.

ومن الواضح أنْ لا أقرب من رسول اللّه محمد وآل محمد عليهم السّلام إلىٰ اللّه تعالىٰ، ومن ثَمَّ نحن لا نشفِّع غيرهم إلىٰ اللّه في حاجاتنا.

فقوله: "لووجدت"، يعني: لا أحد في هذا المقام.

فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْك ؛

فالزائر يقول: إلهي! أُقسم عليك بالمقام الذي رفعتهم إليه، وبالقرب الذي مننت به علىٰ أهل البيت عليهم السّلام وبالشفاعة التي جعلتها لهم لعبادك وأمّة رسولك الكريم، وأنت الذي تفي بوعدك؛

أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِم ؛

إلهي! إجعلنا في زمرة من عرف إمام زمانه، أُولئك الذين عرفوا حقَّ أهل البيت عليهم السّلام.

وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين ؛

إلهي! وإجعلنا في جملة من نال رحمتك ببركة أهل البيت وشفاعتهم عليهم السّلام.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل ؛

وفي الختام، نشكر اللّه تعالىٰ أن تفضّل علينا ووفّقنا لشرح الزيارة الجامعة.

نسأله تعالىٰ أن يجعل هذا الأثر مفيداً نافعاً، وأن يكون -إنْ شاء اللّه- ذخيرة لنا في آخرتنا.

ونسأله تعالىٰ أن يتقبّل منّا، وأن يرحمنا ويرحم والدينا و أساتذتنا وذوي الحقوق علينا، وأن يحشر الجميع مع محمّدٍ وآل محمد، وأن يثبّت أقدامنا علىٰ ولاية محمد وآل محمد، الطيّبين الطاهرين والحمد للّه ربّ العالمين.

فهارس الكتاب:

- الآيات
- الروايات
- الأشعار
- الآثار والأقوال
- المنابع والمآخذ
- المحتويات

الآيات

الف

ق

ى

الروايات

الف

ب

ح

خ

ف

ق

ل

م

و

ى

الأشعار

الف

ت

ج

س

ف

ل

م

و

هـ

ى

الآثار والأقوال

الف

المنابع والمأخذ

القرآن الكريم.

الف

١ . ***أبواب الجنان:*** الشيخ خضرْ شلّال النجفي، المتوفى ١٢٥٠ هـ.

٢ . ***الاتحاف بحب الأشراف:*** عبدالله الشبراوي الشافعي، الشريف الرضي، قم، سنة ١٣٦٣ ش.

٣ . ***الإحكام في اصول الأحكام:*** علي بن محمد الآمدي، دارالكتب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦.

٤ . ***الأخبار الطوال:*** أحمد بن داود الدينوري، التحقيق: عبدالمنعم عامر، الشريف الرضي، الطبعة الأولى، سنة، ١٩٦٠ م.

٥ . ***الاختصاص:*** أبو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، قم.

٦ . ***اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) :*** محمّد بن حسن الطوسي المعروف بـ«الشيخ الطائفة»، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، سنة ١٤٠٤.

٧. *أدب المجالسة:* ابن عبدالبرّ، دارالصحابة للتراث، ١٤٠٩.

٨. *الأدب المفرد:* محمّد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٦.

٩. *الأربعين (مخطوط):* أبو محمد بن أبوالفوارس.

١٠. *الأربعون حديثاً في إمامة أميرالمؤمنين* عليه السلام: الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي البحراني، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، سنة ١٤١٧.

١١. *الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:* أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بـ«الشيخ المفيد»، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤.

١٢. *إرشاد القلوب:* أبو محمدحسن بن محمد الديلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

١٣. *أسباب نزول الآيات:* علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشاميّة، دمشق، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥.

١٤. *اسعاف الراغبين:* محمد بن علي الصبان الشافعي، العثمانية، مصر.

١٥. *أشعة اللمعات في شرح المشكاة:* عبدالحق ابن سيف الدين الدهلوي.

١٦. *أضواء البيان في ايضاح القرآن:* محمد أمين بن محمد مختار الجكني الشنقيطي، دارالفكر، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٥هـ.

١٧. *الأعلام:* خيرالدين بن محمود الزركلي الدمشقي، دارالعلم للملايين، الطبعة الخامسة.

١٨. *أعيان الشيعة:* السيد محسن الأمين، دارالتعارف، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٣.

١٩. ***الأغـاني:*** ابوالفرج الإصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٠. ***الإقبال بصالح الأعمال:*** السيد الرضي الدين علي بن موسى بن جعفر، ابن‌الطاووس.

٢١. ***الإكمال في أسماء الرجال:*** الخطيب التبريزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

٢٢. ***الأم:*** محمّد بن إدريس الشافعى، دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣.

٢٣. ***الأمالي:*** أبوعبدالله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بـ«الشيخ المفيد»، قم.

٢٤. ***الأمالي:*** أبوالقاسم علي بن طاهر أبي أحمد الحسين، المعروف بـ«السيد المرتضى»، مكتبة آيت الله المرعشي النجفي، قم، سنة ١٤٠٣.

٢٥. ***امتاع الاسماع:*** تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٠.

٢٦. ***الأنوار البهية:*** الشيخ عباس بن محمدرضا القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة ١٤١٧.

٢٧. ***الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة:*** السيد عبدالله الشبّر، الطبعة الأُولى، مؤسسة الوفاء، بيروت، سنة ١٤٠٣.

٢٨. ***أوائل المقالات:*** أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بـ«الشيخ المفيد»، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤.

٢٩. ***أهل البيت*** عليهم السلام ***في نهج البلاغه:*** السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٩ ش.

٣٠. ***ايضاح دفائن النواصب:*** أبوالحسن محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن شاذان القمي.

٣١. ***الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة:*** الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي، دليل ما، قم، سنة ١٤٢٢.

ب

٣٢. ***البرهان في تفسير القرآن:*** السيد هاشم بن سليمان بن عبدالجواد الحسيني البحراني، مؤسسة البعثة.

٣٣. ***بشارة المصطفى:*** محمد بن على الطبري، الطبعة الأُولى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، سنة ١٤٢٠.

٣٤. ***بصائر الدرجات:*** محمّد بن حسن بن فرّوخ الصفّار، الأعلمي، طهران، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤.

٣٥. ***البيان في تفسير القرآن:*** السيد أبوالقاسم الموسوي الخوئي، دارالزهراء، بيروت، لبنان، سنة ١٣٩٥.

ت

٣٦. ***تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة:*** السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٧.

۳۷. *تأويل مختلف الحديث:* أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه، دارالكتب العلمية، بيروت.

۳۸. *التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول:* منصور على ناصيف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۳۹. *تاريخ ابن خلدون:* عبدالرحمان بن خلدون المغربي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة ۱۳۸۹.

۴۰. *تاريخ الإسلام:* شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دار الكتاب العربى، الطبعة الأُولى، سنة ۱٤۰۷.

۴۱. *تاريخ بغداد:* أحمد بن على الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ۱٤۱۷.

۴۲. *تاريخ الخلفاء:* جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي، الشريف الرضى، الطبعة الأُولى، سنة ۱٤۱۱.

۴۳. *التاريخ الصغير:* محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زائد، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ۱٤۰٦.

۴۴. *تاريخ الطبري:* محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ۱٤۰۳.

۴۵. *التاريخ الكبير:* محمّد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الإسلامية، دياربكر، تركية.

٤٦. ***تاريخ مدينة دمشق:*** علي بن حسين بن عساكر، المعروف بـ«ابن عساكر»، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥.

٤٧. ***تاريخ اليعقوبي:*** أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

٤٨. ***تجريد الاعتقاد:*** الشيخ نصير الدين الطوسي، تحقيق محمدجواد الحسيني الجلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى.

٤٩. ***التحصين:*** السيد رضي الدين علي بن طاووس الحلّي، مؤسسة الثقلين، قم، سنة ١٤١٣.

٥٠. ***تحف العقول:*** حسن بن علي بن حسين بن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤.

٥١. ***تحفه الاحوذي بشرح جامع الترمذي:*** محمد بن عبدالرحمان بن عبدالرحيم المباركفوري، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠.

٥٢. ***تحقيق الاصول:*** السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، قم.

٥٣. ***التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف:*** السيد علي الحسينى الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، قم.

٥٤. ***تذكرة الحفّاظ:*** شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٥. ***تذكرة الخواص:*** سبط ابن الجوزى، مكتبة نينوى الحديثة، الطهران.

٥٦. *ترجمة الإمام الحسين* عليه السلام *لابن عساكر*: أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، المعروف بـ «ابن عساكر» تحقيق الشيخ محمدباقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، سنة ١٤١٤.

٥٧. *تشييد المراجعات وتفنيد المكابرات*: السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، قم، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٦.

٥٨. *التعليقة على منهج المقال*: الآقا محمدباقر بن محمد أكمل، المعروف بـ «الوحيد البهبهاني».

٥٩. *تفسير الآلوسى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم)*: محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥.

٦٠. *تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)*: أبومحمّد عبدالرحمان بن محمّد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، المكتبة العصرية.

٦١. *تفسير ابن العربي*: محيي الدين محمد بن على الطائي الأندلسي، القاهرة، سنة ١٩٥٧ م.

٦٢. *تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)*: إسماعيل بن عمر القرشي البصري، المعروف بـ«ابن كثير»، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢.

٦٣. *تفسير أبي السعود*: أبوالسعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٤. *تفسير الأصفى*: مولى محمد محسن فيض الكاشاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨.

٦٥. *تفسير البحر المحيط*: أبوحيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢.

٦٦. *تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)*: حسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمان عک، دار المعرفة.

٦٧. *تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)*: أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، بيروت، دارالكتب العلمية، سنة ١٤٠٨.

٦٨. *تفسير التبيان (التبيان في تفسير القرآن)*: أبوجعفر محمد بن حسن الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٩.

٦٩. *تفسير الثعلبي (الكشف و البيان)*: أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي النيشابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢.

٧٠. *تفسير جوامع الجامع*: أمين الإسلام فضل بن حسن الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامی، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨.

٧١. *تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)*: محمّد بن عمر المعروف بـ«الفخر الرازي»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٠.

٧٢. *تفسير السمرقندي (بحر العلوم)*: نصر بن محمّد بن أحمد السمرقندي، التحقيق: محمود المطرجي، دار الفكر.

٧٣. *تفسير السمعاني*: منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٨.

٧٤. ***تفسير الصافي:*** مولى محمدمحسن فيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٦.

٧٥. ***تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)*** : محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥.

٧٦. ***تفسير العياشي:*** محمّد بن مسعود بن العياش السمرقندي العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٧٧. ***تفسير فرات الكوفى:*** فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمدكاظم، مؤسسة الطبع و النشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

٧٨. ***تفسير القرطبي:*** القرطبي، تحقيق و تصحيح: أحمد عبدالعليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٩. ***تفسير القمي:*** أبوالحسن علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة دارالكتاب، قم، سنة ١٤٠٤.

٨٠. **تفسير *مجمع البيان:*** أمين الإسلام فضل بن حسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م.

٨١. ***التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري*** عليه السلام: تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩.

٨٢. ***تفسير الميزان:*** السيد محمدحسين الطباطبائي، قم.

٨٣. ***تفسير النسفي:*** أبوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي.

٨٤. *تفسير نور الثقلين:* عبد العلي بن الجمعة العروسي الحويزي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الإسماعيليان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٢.

٨٥. *تفسير النيشابوري (غرائب القرآن و رغائب الفرقان):* نظام الدين حسن بن محمد القمي النيشابوري.

٨٦. *تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز):* علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية ـ دار القلم، الطبعة الأُولى، دمشق و بيروت، سنة ١٤١٥.

٨٧. *تمهيد الأوائل و تلخيص الدلائل:* أبوبكر محمّد بن طيب الباقلاني المالكي، تحقيق: شيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤.

٨٨. *تنقيح المقال في علم الرجال:* عبدالله المامقاني، جهان، سنة ١٣٥٢.

٨٩. *التوحيد:* أبوجعفر محمّد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، تحقيق: السيد هاشم الحسيني التهراني، مؤسسة النشر الإسلامي.

٩٠. *تهذيب الآثار:* أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد الشاكر.

٩١. *تهذيب الأحكام:* محمّد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٦٤ش.

٩٢. *تهذيب الأسماء واللغات:* يحيى بن شرف النووي، تخريج: مصطفى عبدالقادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت.

٩٣. *تهذيب التهذيب*: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤.

٩٤. *تهذيب الكمال*: يوسف بن عبدالرحمان المزّي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٦.

ث

٩٥. *الثاقب في المناقب*: عماد الدين أبوجعفر محمد بن علي الطوسي، المعروف بـ«ابن الحمزة»، الأنصاريان، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١.

٩٦. *ثمرات الأوراق*: أبوبكر بن علي ابن حجّة الحموي الأزراري، المطبعة الوهبية، مصر، سنة ١٣٠٠.

٩٧. *ثواب الأعمال*: أبوجعفر محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، منشورات الرضي، قم، سنة ١٣٦٨ ش.

ج

٩٨. *جامع الأخبار*: شيخ محمد بن محمد الشعيري السبزواري، منشورات الرضي، قم، سنة ١٣٦٣ ش.

٩٩. *جامع الأصول*: أبوالسعادات مبارك بن محمّد الشيباني (ابن الأثير الجزري)، تحقيق: عبدالقادر ارنؤوط، مكتبة الحلواني، الطبعة الأُولى.

١٠٠. *جامع بيان العلم وفضله*: يوسف بن عبدالله النمري المعروف بـ«ابن عبدالبرّ»، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٨.

١٠١. *الجامع الصغير*: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الألى، سنة ١٤٠١.

١٠٢ . ***الجرح والتعديل***: عبدالرحمان بن أبي حاتم الرازي (ابن أبي حاتم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧١.

١٠٣ . ***جمال الأسبوع***: رضي الدين أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة آفاق، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧١ ش.

١٠٤ . ***الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم***: محمّد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب، دار النشر، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٣.

١٠٥ . ***الجمل***: شيخ سليمان جمل، المطبوع في حاشية تفسير الجلالين.

١٠٦ . ***الجواهر السنية في الأحاديث القدسية***: محمد بن حسن بن علي بن حسين الحر العاملي، مكتبة المفيد، قم، سنة ١٣٨٤ هـ.

١٠٧ . ***جواهر العقدين في فضل الشرفين***: علي بن عبدالله السمهودي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م.

١٠٨ . ***جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام***: محمد حسن بن باقر النجفي، تحقيق: شيخ عباس القوچاني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، سنة ١٣٦٥ ش.

١٠٩ . ***جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب*** عليهما السلام: محمّد بن أحمدبن ناصر الدمشقي الباعوني، تحقيق: شيخ محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، سنة ١٤١٥.

ح

١١٠ . *الحاشية على أصول الكافي*: رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني، تحقيق محمد الحسيني الدرايتي، دار الحديث، قم سنة ١٤٢٤ هـ.

١١١ . *حاشية المكاسب*: محمدكاظم الآخوند الخراساني، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

١١٢ . *حاشية مجمع الفائدة والبرهان*: محمدباقر الوحيد البهبهاني، مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧ هـ.

١١٣ . *الحاوی للفتاوی*: جلال الدين السيوطي، دارالكتب العلمية، بيروت.

١١٤ . *الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة*: الشيخ يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١١٥ . *حديث أصحابي كالنجوم*: السيد على الحسيني الميلاني، الحقائق الإسلامية، قم، الطبعة الأولى.

١١٦ . *حلية الأبرار*: السيد هاشم البحراني، تحقيق غلامرضا مولانا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، سنة ١٤١١ هـ.

١١٧ . *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*: أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٧.

خ

١١٨ . *الخرائج والجرائح*: قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩.

١١٩ . ***خصائص أميرالمؤمنين*** عليه السلام: أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

١٢٠ . ***الخصائص العلوية (مخطوط):*** أبوالفتح محمد بن علي بن إبراهيم النطنزي.

١٢١ . ***الخصائص الكبرى:*** جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٤.

١٢٢ . ***خصائص مسند الإمام أحمد:*** محمد بن عمر المديني، مكتبة التوبة، الرياض، سنة ١٤١٠.

١٢٣ . ***خصائص الوحي المبين:*** حافظ ابن بطريق، تحقيق: شيخ مالک المحمودي، دار القرآن الكريم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

١٢٤ . ***الخصال:*** أبوجعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، المعروف بـ «الشيخ الصدوق»، تصحيح و تعليق علي أكبر الغفاري، قم، سنة ١٤٠٣.

د

١٢٥ . ***الدر المنثور في التفسير بالمأثور:*** جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٦ . ***الدر النظيم:*** جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٢٧ . ***دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مدخل لشرح منهاج الكرامة:*** السيد علي الحسيني الميلاني، قم، سنة ١٤١٩.

١٢٨. *الدرر في اختصار المغازي والسير*: يوسف بن عبدالله ابن عبدالبر.

١٢٩. *دعائم الاسلام*: قاضی نعمان المغربي، تحقيق: آصف بن على اصغر الفيضي، دار المعارف، قاهرة، سنة ١٣٨٣.

١٣٠. *دلائل الإمامه*: محمّد بن جرير الطبري الشيعي، تحقيق مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣.

١٣١. *دلائل الصدق لنهج الحقّ*: محمّد حسن المظفر، مؤسسة آل البيت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢.

١٣٢. *دلائل النبوّة*: أبوبكر أحمد بن حسين البيهقي، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٥.

١٣٣. *دلائل النبوّة*: إسماعيل بن محمّد بن فضل التميمي الإصفهاني، دارالطيبة، الرياض، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٩.

١٣٤. *الديباج على صحيح مسلم*: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي‌بكر السيوطي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، عربستان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦ ـ ١٩٩٦م.

١٣٥. *ديوان الشافعي*: محمد بن إدريس الشافعي، دارالفكر، بيروت.

ذ

١٣٦. *ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى*: أحمد بن عبدالله محبّ الدين الطبري، مكتبة القدسي، سنة ١٣٥٦.

١٣٧. *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*: الشيخ محمد حسن الآقابزرگ الطهراني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣.

١٣٨ . *ذكر أخبار إصبهان:* أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، بريل، ليدن المحروسة، سنة ١٩٣٤ م.

ر

١٣٩ . *ربيع الأبرار ونصوص الأخبار:* أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، منشورات الرضي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠.

١٤٠ . *الرسائل الفقهيه:* محمدباقر الوحيد البهبهاني، مؤسسة العلامه المجدد الوحيد البهبهاني، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩.

١٤١ . *رسائل المرتضى:* علي بن حسين علم الهدى الموسوي البغدادي المعروف بـ«السيد المرتضى»، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم، قم، سنة ١٤٠٥.

١٤٢ . *الرواشح السماوية:* محمدباقر الحسيني الاسترآبادي المعروف بـ«ميرداماد»، دارالحديث، قم، سنة ١٤٢٢.

١٤٣ . *روض الجنان:* الشهيد السعيد زين الدين الجبعي العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.

١٤٤ . *الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية:* زين الدين الجبعي العاملي، الداوري، قم، سنة ١٤١٠.

١٤٥ . *الروضة من الكافي:* أبوجعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، دارالكتب الإسلامية، طهران، سنة ١٣٨٩.

١٤٦ . *الروضة في فضائل أميرالمومنين علي بن أبيطالب* عليهما السلام: سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي، تحقيق على الشكرچي، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٣.

١٤٧ . *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*: مولى محمدتقي المجلسي، مؤسسة كوشانپور، قم، سنة ١٣٩٨ هـ.

١٤٨ . *الروضة المختارة شرح القصائد الهاشميات*: كميت بن زيد الأسدي، ابن أبى الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٤٩ . *روضة الواعظين*: محمد بن فتال النيشابوري، منشورات الرضي، قم.

١٥٠ . *الرياض النضرة في مناقب العشرة*: أحمد بن عبدالله محبّ الدين الطبري، دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية.

ز

١٥١ . *زاد المسير في التفسير*: أبوالفرج عبدالرحمان بن علي (ابن الجوزي)، تحقيق: محمّد بن عبدالرحمان عبدالله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢.

١٥٢ . *زين الفتى في تفسير سوره هل أتى (مخطوط)*: أبومحمد أحمد بن محمد بن علي العاصمي.

س

١٥٣ . *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*: محمّد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: شيخ عادل أحمد وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٤.

١٥٤ . *السرائر*: ابوجعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي، مؤسسة نشر الإسلامى، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠.

١٥٥ . *السراج المنير في تفسير القرآن*: محمد بن أحمد الشربيني، دارالكتاب العلمية، بيروت.

١٥٦ . *سفينة البحار*: الشيخ على النمازي الشاهرودي، مؤسسة نشر الإسلامي، ١٤١٨.

١٥٧ . *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*: عبدالملك بن حسين العصامي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود و علي محمّد معوض، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩.

١٥٨ . *السنن*: أبوداوود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد لحام، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٠.

١٥٩ . *سنن ابن ماجة*: محمّد بن يزيد القزويني (ابن ماجة)، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

١٦٠ . *السنن الكبرى*: أحمد بن حسين بن علي بن موسى البيهقي، دار الفكر.

١٦١ . *السنن الكبرى*: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١.

١٦٢ . *سنن الترمذي*: محمّد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣.

١٦٣ . *سنن الدارالقطني*: على بن عمر الدارقطني، دارالكتب علميه، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

١٦٤ . *سنن الدارمي*: عبدالله بن الرحمان بن فضل بن بهرام الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، سنة ١٣٤٩.

١٦٥ . *سير أعلام النبلاء*: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، سنة ١٤١٣.

١٦٦. *السيرة الحلبيّة:* علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٠.

١٦٧. *السيرة النبوية:* إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٦.

١٦٨. *السيرة النبوية:* عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ابن هشام)، تحقيق: محمد عبدالحميد، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، مصر، سنة ١٣٨٣.

ش

١٦٩. *الشافي في الإمامة:* علي بن حسين علم الهدى الموسوي البغدادي المعروف بـ«السيد المرتضى»، مؤسسة الإسماعيليان، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠.

١٧٠. *شذرات الذهب:* عبدالحيّ بن عماد الحنبلي، دار الفكر، سنة ١٤١٤.

١٧١. *شرح إحقاق الحق:* السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: سيّد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

١٧٢. *شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار:* أبو حنيفة، نعمان بن محمد التميمي المغربي، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، سنة ١٤١٤.

١٧٣. *شرح الأسماء الحسنى:* الملاهادي السبزواري، مكتبة بصيرتي، قم.

١٧٤. *شرح أصول الكافي:* مولى محمد صالح المازندراني، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١.

١٧٥. *شرح الألفية (البهجة المرضيه في شرح الألفية):* جلال الدين عبدالرحمان بن أبي‌بكر السيوطي، مؤسسة الإسماعيليان، قم، سنة ١٤١٠.

١٧٦ . *شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة*: شهاب الدين محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

١٧٧ . *شرح رساله حقوق الإمام زين العابدين* عليه السلام: السيد حسن بن على القپانچي النجفي، مؤسسة الإسماعيليان، قم، سنة ١٤٠٦.

١٧٨ . *شرح صحيح مسلم*: يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٤٠٧.

١٧٩ . *شرح المقاصد في علم الكلام*: مسعود بن عمر سعدالدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية، پاكستان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠١.

١٨٠ . *شرح المواقف*: علي بن محمّد بن علي شريف الجرجاني، مطبعه السعادة، مصر، سنة ١٣٢٥.

١٨١ . *شرح منهاج الكرامة*: السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلاميه، قم.

١٨٢ . *شرح نهج البلاغة*: ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٨.

١٨٣ . *شرف النبي*: أحمد بن عبدالمطلب الخرگوشي النيشابوري.

١٨٤ . *الشفاء بتعريف حقوق المصطفى*: قاضى عياض، دارالفكر، بيروت، سنة ١٤٠٩.

١٨٥ . *شفاء السقام في زيارة خير الأنام*: تقي الدين السبكي، بولاق مصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٩.

١٨٦ . *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل*: عبيدالله بن أحمد الحسكاني، تحقيق: محمّد

باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١.

ص

١٨٧. *الصحاح*: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ م.

١٨٨. ***صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان:*** محمّد بن حبّان التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٤.

١٨٩. ***صحيح البخاري:*** محمّد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠١.

١٩٠. ***صحيح مسلم (الجامع الصحيح)*** : مسلم بن الحجّاج القشيري النيشابوري، دار الفكر، بيروت.

١٩١. ***الصحيفة الهادية والتحفة المهدية:*** إبراهيم بن محسن الكاشاني، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

١٩٢. ***الصحيفه السجادية الجامعة:*** السيد محمدباقر الموحد الأبطحي الإصفهاني، مؤسسة الإمام المهدى عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١.

١٩٣. ***صد و ده پرسش از فقيه أهل البيت آيت الله العظمى آقاى حاج محمدهادى حسينى*** قدس سرّه: جمعه وعلق عليه السيد محمدعلي الحسيني الميلاني، النشر دارالتبليغ الإسلامي، مشهد.

١٩٤. ***الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم:*** علي بن يونس العاملي، تحقيق: محمدباقر البهبودي، مكتبة المرتضوية، الطبعة الأُولى، ١٣٨٤.

١٩٥ . *صراط النجاة:* الميرزا جواد التبريزي، الطبعة الأُولى، ١٤١٨.

١٩٦ . *صفات الشيعة:* ابوجعفر محمد بن علي بن حسين بن موسي بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، دار العابدي، طهران.

١٩٧ . *صفة الصفوة:* أبوالفرج عبدالرحمان بن علي (ابن الجوزي)، تحقيق: محمود الفاخوري و محمّد رواس قلعه چي، دارالمعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩.

١٩٨ . *الصواعق المحرقة:* أحمد بن حجر الهيتمي المكّي، تحقيق: عبدالرحمان بن عبدالله تركي وكامل محمّد خراط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

ض

١٩٩ . *الضعفاء:* أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، تحقيق: فاروق حماده، دار الثقافة ـ الدار البيضاء، سنة ١٤٠٥.

٢٠٠ . *الضعفاء الكبير:* محمّد بن عمرو العقيلي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قعجي، دارالكتب العملية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨.

ط

٢٠١ . *طبقات الشافعية:* أبوبكر بن أحمد بن محمّد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: عبدالعليم خاندار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٧.

٢٠٢ . *طبقات الشافعيّة الكبرى:* تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمّد الطناحي و عبدالفتاح محمّد حلو، دار الهجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٣.

٢٠٣. ***الطبقات الكبرى:*** محمّد بن سعد الهاشمي (ابن سعد)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥.

٢٠٤. ***طبقات فحول الشعراء:*** محمد ابن سلام الجمحي، دارالمعارف، بيروت، سنة ١٩٥٢م.

٢٠٥. ***الطرائف في معرفة مذهب الطوائف:*** رضي الدين علي بن الطاووس، الخيام، قم، سنة ١٣٩٩.

ع

٢٠٦. ***العثمانية:*** أبوعثمان عمرو بن بحر جاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، سنة ١٣٧٤.

٢٠٧. ***عدّة الداعي ونجاح الساعي:*** أحمد بن فهد الحلّي، مكتبة وجدانى، قم.

٢٠٨. ***العسل المصفّى من تهذيب زين الفتى:*** تحقيق و تهذيب الشيخ محمدباقر المحمودي، نشر مجمع الإحياء الثقافة الإسلاميّه، قم، سنة ١٤١٨.

٢٠٩. ***العصمة:*** السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١.

٢١٠. ***عقائد الإمامية:*** محمد رضا المظفر، تحقيق: حامد حفني داود، نشر الأنصاريان، قم، ايران.

٢١١. ***العقد الفريد:*** أحمد بن محمّد بن عبدربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٤.

٢١٢. *علل الشرائع:* ابوجعفر محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، مكتبة الحيدرية، النجف، سنة ١٣٨٥.

٢١٣. *العلل المتناهية في الأحاديث الواهية:* أبوالفرج عبدالرحمان بن علي (ابن‌الجوزي)، تحقيق: خليل ميس، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٣.

٢١٤. *العمدة:* ابن البطريق، مؤسسة نشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧.

٢١٥. *عمدة القاري بشرح صحيح البخاري:* بدرالدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١٦. *عوالم العلوم:* الشيخ عبدالله البحراني الإصفهاني، تحقيق مدرسة إمام المهدي عليه السلام، قم.

٢١٧. *عوالي اللآلي:* محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي، المعروف بـ«ابن أبي جمهور»، نشر السيد الشهداء عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣.

٢١٨. *العين:* خليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩.

٢١٩. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام: أبوجعفر محمّد بن علي بن حسين موسى بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة ١٤٠٤ و مكتبة الطوس، قم، سنة ١٣٦٣ ش.

غ

۲۲۰. *الغارات*: إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي، جمعيّة التراث الوطني، طهران.

۲۲۱. *غاية المرام*: السيد هاشم الموسوي البحراني، تحقيق السيد علي عاشور.

۲۲۲. *الغدير في الكتاب والسنّة والأدب*: الشيخ عبدالحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٧.

۲۲۳. *غرر الحكم و دررالكلم*: عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي، مكتب الاعلام الإسلامي، قم.

٢٢٤. *غنائم الأيام*: الميرزا أبوالقاسم القمي، مكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧.

٢٢٥. *الغيبة*: محمد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران، سنة ١٣٩٧.

ف

٢٢٦. *الفائق في غريب الحديث*: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧.

۲۲۷. *فتح الباري (شرح صحيح البخاري)*: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

۲۲۸. *فتح القدير (تفسير)*: محمّد بن علي الشوكاني اليمني، عالم الكتب.

۲۲۹. *فتح الملك العلي*: أحمد بن صديق المغربي، تحقيق: محمد هادي الأميني،

مكتبة الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام العامة، الإصفهان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣ـ ١٣٦٢ش.

٢٣٠. *الفتوح*: أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: على الشيري، دار الأضواء، بيروت، سنة ١٤١١.

٢٣١. *فتوح الشام*: أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، دارالجيل، بيروت.

٢٣٢. *الفردوس الأعلى*: شيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مكتبة الفيروزآبادي، قم.

٢٣٣. *الفردوس بمأثور الخطاب*: أبوشجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني، تحقيق: سعيد بن بسيوني زغلول، دارالكتب العلميه، بيروت، سنة ١٤٠٦.

٢٣٤. *الفروق اللغوية*: أبوهلال العسكري، مؤسسة نشر الإسلامى، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢.

٢٣٥. *الفصل في الملل والنحل*: علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٣٦. *الفصول المختارة من العيون والمحاسن*: علي بن حسين علم الهدى الموسوي البغدادي، المعروف بـ«السيد المرتضى»، دارالمفيد، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤.

٢٣٧. *الفصول المهمّة في معرفة الأئمة*: علي بن محمّد بن أحمد المالكي (ابن صبّاغ المالكي)، دار الحديث، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢٢.

٢٣٨. *الفضائل*: ابو الفضل سديد الدين بن شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل بن أبى طالب القمي، المطبعة الحيدرية، نجف أشرف، سنة ١٣٨١.

٢٣٩. *فضائل الصحابة*: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٠. *فضل الصلاة على النبي*: إسماعيل بن إسحاق الجهضمي القاضي المالكي، مكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٨٩.

٢٤١. *الفوائد الرجالية*: السيد محمدمهدي بحرالعلوم الطباطبائي، مكتبة الصادق، طهران، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٦٣ ش.

٢٤٢. *فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير*: محمّد بن عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥.

ق

٢٤٣. *قاموس الرجال*: الشيخ محمدتقي التستري، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩.

٢٤٤. *القاموس المحيط*: محمّد بن يعقوب مجدالدين الشيرازي الفيروزآبادي، مؤسسة فن الطباعة.

٢٤٥. *قرب الإسناد*: أبوالعباس عبدالله بن جعفر الحميري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣.

٢٤٦. *القضاء والشهادات*: الشيخ مرتضى الأنصاري، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥.

٢٤٧. *قوانين الأصول*: الميرزا أبوالقاسم القمي، الطبعة الحجرية.

ک

٢٤٨. *الكافي*: محمّد بن يعقوب الكليني الرازي، دار الكتب الإسلاميه، الطبعة الخامسة، سنة ١٣٦٣ ش.

٢٤٩. *كامل الزيارات:* أبوالقاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، نشر الفقاهة، مؤسسة نشر الإسلامى، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

٢٥٠. *الكامل في التاريخ:* علي بن محمّد بن أثير الجزري، دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٦.

٢٥١. *الكامل في ضعفاء الرجال:* عبدالله بن عدي بن عبدالله محمّد الجرجاني (ابن عدي)، تحقيق: يحيى مختار الغزّاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩.

٢٥٢. *كتاب التوابين ابن قدامة:* أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الشرق الحديد، بغداد.

٢٥٣. *كتاب سليم بن قيس:* سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمدباقر الأنصاري الزنجاني، قم.

٢٥٤. *كتاب الطهارة:* السيد أبوالقاسم الخوئي، الطبعة الثالثة، دارالهادي، قم، سنة ١٤١٠.

٢٥٥. *كتاب الطهارة:* الشيخ مرتضى الأنصاري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٢٥٦. *كتاب المكاسب:* الشيخ مرتضى الأنصارى، مجمع الفكر الإسلامي، قم، سنة ١٤٢٠.

٢٥٧. *كتاب الموطأ:* مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٦.

٢٥٨. *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل*: أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مطبعة مصطفى الباني و أولاده، مصر، سنة ١٣٨٥.

٢٥٩. *كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهّاب*: السيد محسن الأمين الحسيني العاملي، مكتبة الحرمين، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٢.

٢٦٠. *كشف الحجب والأستار*: السيد إعجاز حسين النيشابوري الكنتوري، مكتبة آية الله النجفي المرعشي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩.

٢٦١. *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*: إسماعيل بن محمّد العجلوني الجراحي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م.

٢٦٢. *كشف الظنون*: مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٦٣. *كشف الغمّة في معرفة الأئمة*: علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥.

٢٦٤. *كشف المحجّة لثمرة المهجة*: أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن الطاووس الحسني الحسيني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٧٠.

٢٦٥. *كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد*: العلامة حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تحقيق: السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني الشكوري، قم، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٧٣ ش.

٢٦٦. *كشف اليقين في مناقب أمير المؤمنين* عليه السلام: العلامة حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تحقيق: حسين الدرگاهي، دار الطباعة، إبراهيم التبريزي، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١١.

٢٦٧. *كفاية الأثر*: أبوالقاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي، تحقيق: السيد عبداللطيف الحسيني كوه‌كمري الخوئي، بيدار، قم، سنة ١٤٠١.

٢٦٨. *كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي‌طالب* عليهما السلام: الگنجي الشافعي، تحقيق: محمدهادي الأميني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠.

٢٦٩. *الكفاية في علم الرواية*: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، الطبعة الأُولى، بيروت، سنة ١٤٠٥.

٢٧٠. *كمال الدين وتمام النعمة*: أبوجعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، تحقيق على أكبر الغفّاري، مؤسسة نشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين، سنة ١٤٠٥.

٢٧١. *كنز العمّال*: علي بن حسام الدين المتّقي الهندي، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٩.

٢٧٢. *كنز الفوائد*: أبوالفتح محمد بن علي الكراجكي، مكتبة المصطفوي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٦٩ ش.

ل

٢٧٣. *اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة*: جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية.

٢٧٤. *لسان العرب:* محمّد بن مكرم ابن منظور المصري، نشر الأدب الحوزة، سنة ١٤٠٥.

٢٧٥. *لسان الميزان:* ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠.

٢٧٦. *اللمعة الدمشقية:* شهيد سعيد محمد بن جمال الدين المكي العاملي، الداوري، قم، سنة ١٤١٠.

٢٧٧. *لوامع صاحبقراني:* الشيخ محمدتقي المجلسي، طهران، سنة ١٣٣١.

٢٧٨. *اللهوف في قتل الطفوف:* علي بن الطاووس الحسني الحسيني، أنوار الهدى، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

م

٢٧٩. *مائة منقبة:* أبوالحسن محمد بن أحمد بن علي بن حسن القمي، المعروف بـ«ابن شاذان»، مدرسة الإمام المهدى عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٧.

٢٨٠. *المجروحين:* محمّد بن حبّان التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زائد، دار الباز و عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٢٨١. *مجمع البحرين:* الشيخ فخرالدين الطريحي، مؤسسة النشر الثقافة الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨.

٢٨٢. *مجمع الزوائد:* علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٨.

٢٨٣ . *المجموع شرح المهذب*: يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

٢٨٤ . *المحاسن*: أبوجعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دارالكتب الإسلامية، طهران.

٢٨٥ . **محاضرات في أصول الفقه (تقريرات بحث السيد أبوالقاسم الخوئي)**: محمد إسحاق الفياض، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩.

٢٨٦ . **محاضرات في الإعتقادات**: السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الأبحاث العقائدية، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٢١.

٢٨٧ . *المحتضر*: حسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٤٢٤.

٢٨٨ . *المحصول في علم الاصول*: محمّد بن عمر الفخر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٢.

٢٨٩ . *المحلّى*: ابن حزم الاندلسي، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، بيروت.

٢٩٠ . **مختصر بصائر الدرجات**: حسن بن سليمان الحلّي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٠.

٢٩١ . **مختصر تاريخ مدينة دمشق**: محمد بن مكرم، المشهور بـ«ابن المنظور»، دارالفكر، بيروت.

٢٩٢ . **مختصر التحفة الاثناعشرية**: شاه عبدالعزيز محدث الدهلوي، سهيل اكيديمي، پاكستان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣.

٢٩٣ . *المختصر في أخبار البشر*: أبوالفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، الحسينية المصرية، الطبعة الأُولى.

٢٩٤. *مدينة المعاجز:* السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلاميه، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣.

٢٩٥. *مرآة العقول:* العلامه محمدباقر بن محمدتقي بن مقصود علي المجلسي، دارالكتب الإسلاميه، طهران، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤.

٢٩٦. *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:* علي بن سلطان نورالدين محمّد القاري الهروي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٩٧. *مروج الذهب:* علي بن حسين المسعودي، الشركة العالمية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.

٢٩٨. *المزار:* محمد بن المشهدي، الطبعة الأولى، ١٤١٩، مؤسسة نشر الإسلامي، قم.

٢٩٩. *مستدرك الوسائل:* الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق موسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

٣٠٠. *مستدرك سفينة البحار:* الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة ١٤١٨.

٣٠١. *المستدرك على الصحيحين:* محمّد بن عبدالله الحاكم النيشابوري، دار المعرفة، بيروت.

٣٠٢. *المسترشد:* محمد بن جرير الطبري الشيعي، تحقيق: أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥.

٣٠٣. *المستصفى في علم الأصول:* أبوحامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دارالكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧.

٣٠٤. ***مستطرفات السرائر***: أبوجعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي، موسسة نشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١١.

٣٠٥. ***مستمسك العروة الوثقى***: السيد محسن الحكيم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، سنة ١٤٠٤.

٣٠٦. ***مسند ابن الجعد***: علي بن الجعد بن عبيد، تحقيق: أبوالقاسم عبدالله بن محمد البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧.

٣٠٧. ***مسند ابن راهويه***: إسحاق بن راهويه، تحقيق: دكتر عبدالغفور عبدالحق حسين برد البلوسي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأُولى، ١٤١٢.

٣٠٨. ***مسند أبي حنيفة***: أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، تحقيق: نظرمحمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥.

٣٠٩. ***مسند أبي داود الطيالسي***: سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

٣١٠. ***مسند أبي يعلى***: أحمد بن علي المثني التميمي (ابويعلى الموصلي)، دار المأمون للتراث، بيروت.

٣١١. ***مسند أحمد***: أحمد بن حنبل الشيباني، دار صادر، بيروت.

٣١٢. ***مسند الشافعي***: محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٣. ***مسند الشاميين***: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧.

٣١٤. ***مشارق أنوار اليقين في أسرار أميرالمومنين*** عليه السلام: الحافظ رجب البرسي، تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٩.

٣١٥. ***مشارق الشموس في شرح الدروس:*** حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري، موسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٣١٦. ***مشكاة المصابيح:*** محمّد بن عبدالله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٥.

٣١٧. ***مشكل الآثار:*** أبوجعفر الطحاوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٣٣٣.

٣١٨. ***مصابيح الأنوار في شرح مشكلات الأخبار:*** السيد عبدالله الشبر، تحقيق السيد علي، مكتبة بصيرتي، قم.

٣١٩. ***المصباح:*** الشيخ تقى الدين إبراهيم بن علي حسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي، الطبعة الثالثة، مؤسسه الأعلمى، بيروت، سنة ١٤٠٣.

٣٢٠. ***مصباح الشريعه:*** المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠.

٣٢١. ***مصباح الفقاهة:*** السيد أبوالقاسم الخوئي، الطبعة الأولى، الداوري، قم.

٣٢٢. ***مصباح الفقيه:*** الآقا رضا الهمداني، مكتبة الصدر، طهران.

٣٢٣. ***مصباح المتهجد:*** محمد بن حسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١ ـ ١٩٩١م.

٣٢٤. ***المصباح المنير:*** أحمد بن محمد المقري الفيومي، دارالهجرة، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤.

٣٢٥. ***المصنف:*** عبدالرزاق الصنعاني.

٣٢٦. *المصنف*: عبدالله بن محمّد بن أبى شيبة (ابن أبي شيبة)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٩.

٣٢٧. *مطالب السؤول في مناقب آل الرسول* عليهم السلام: محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.

٣٢٨. *معارج العلى في مناقب المرتضى (المخطوط)*: الشيخ محمد الصدر.

٣٢٩. *معارج اليقين في أصول الدين*: الشيخ محمد بن محمد السبزواري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣.

٣٣٠. *المعارف*: أبومحمد عبدالله بن سلم بن قتيبة الباهلي الدينوري، دار المعارف، القاهرة.

٣٣١. *معاني الأخبار*: أبوجعفر محمّد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة نشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين، سنة ١٣٧٩ش.

٣٣٢. *معاني القرآن الكريم*: أبوجعفر النحاس، تحقيق: الشيخ محمدعلي الصابوني، جامعة أُمّ القرى، المكة المكرمة، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨.

٣٣٣. *معجم الأُدباء*: ياقوت بن عبدالله الحموي، دارالفكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٠.

٣٣٤. *المعجم الأوسط*: سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، سنة ١٤١٥.

٣٣٥. *معجم رجال الحديث*: السيد أبوالقاسم الخوئي، الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٣.

٣٣٦. *المعجم الصغير*: سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣٧. *المعجم الكبير*: سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية و دار احياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥.

٣٣٨. *معجم مقائيس اللغه:* أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، سنة ١٤٠٤.

٣٣٩. *معرفة الثقات:* أحمد بن عبدالله العجلي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥.

٣٤٠. *معرفة الرجال:* يحيى بن معين، تحقيق: محمّد كامل القصار، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥.

٣٤١. *معرفة السنن والآثار:* أبوبكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: السيد حسن الكسروي، دار الكتب العلمية.

٣٤٢. *معرفة علوم الحديث:* محمّد بن عبدالله الحاكم النيشابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الآفاق الحديث، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٠.

٣٤٣. *المعمرون والوصايا:* أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، تحقيق عبدالمنعم عامر، مصر، سنة ١٣٥٦.

٣٤٤. *المعيار والموازنة:* أبوجعفر محمد بن عبدالله الإسكافي المعتزلي، تحقيق محمدباقر المحمودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢.

٣٤٥. *مغني اللبيب:* ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، سنة ١٤٠٤.

٣٤٦. *المغني في الضعفاء:* شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أبو زهراء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨.

٣٤٧. *مفاتيح الجنان:* الشيخ عباس القمي، المكتبة الإسلاميه، طهران.

٣٤٨. *مفتاح النجاه (المخطوط):* محمدخان بن رستم خان البدخشي.

٣٤٩. *المفردات في غريب القرآن:* حسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، مكتب نشر الكتاب، سنة ١٤٠٤.

٣٥٠. *مقاتل الطالبيّين:* أبوالفرج الإصفهاني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥.

٣٥١. *مقدمة فتح الباري:* ابن حجر العسقلاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨.

٣٥٢. *المقنعه:* أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري البغدادي، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، مؤسسة نشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠.

٣٥٣. *الملل والنحل:* محمّد بن عبدالكريم بن أبى بكر الشهرستاني، تحقيق: محمّد السيد الگيلاني، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٤.

٣٥٤. *من لا يحضره الفقيه:* أبوجعفر محمد بن على بن حسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، الطبعة الثانية، مؤسسة نشر الإسلامى، قم، ١٤٠٤.

٣٥٥. *المناقب:* موفّق بن أحمد بن محمّد الخوارزمي، تحقيق: شيخ مالك المحمودي، مؤسسة نشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين، سنة ١٤١٤.

٣٥٦. ***مناقب آل أبي طالب***: محمّد علي بن شهراشوب المازندراني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٧٦.

٣٥٧. ***مناقب علي بن أبي طالب*** عليهما السلام: علي بن محمّد ابن المغازلي، سبط النبي صلى الله عليه وآله، سنة ١٤٢٦ ـ ١٣٨٤ ش.

٣٥٨. ***مناقب أمير المؤمنين*** عليه السلام: محمد بن سليمان الكوفي.

٣٥٩. ***مناقب علي بن أبى طالب*** عليهما السلام ***وما نزل من القرآن في على*** عليه السلام: أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهانى، دار الحديث، سنة ١٤٢٤.

٣٦٠. ***مناهج اليقين في اصول الدين***: العلامة حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تحقيق: محمّد رضا الأنصاري، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦.

٣٦١. ***منتخب مسند عبد بن حميد***: عبد بن حميد بن نصر، تحقيق: صبحى بدرى و محمود محمدخليل الصعيدي، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨.

٣٦٢. ***المنتظم في تاريخ الملوك والأمم***: أبوالفرج عبدالرحمان بن علي (ابن الجوزي)، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٣.

٣٦٣. ***منتهى الآمال في ذكر تاريخ النبي والآل*** عليهم السلام: الشيخ العباس القمي.

٣٦٤. ***منتهى المقال***: محمّد بن إسماعيل الحائرى المازندراني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى، قم، سنة ١٤١٦.

٣٦٥. ***منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة***: الميرزا حبيب الله الموسوي الخوئي، دارالفكر، بيروت، سنة ١٤٠٦.

٣٦٦. *منهاج السّنّة النبويّه:* أحمد بن عبدالحليم بن تيميه الحرّاني (ابن تيميّة)، دار احد.

٣٦٧. *منهاج الكرامة:* العلامة حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تحقيق: عبدالرحيم مبارک، تاسوعا، مشهد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٩ ش.

٣٦٨. *منية المريد:* زين الدين بن على العاملى المعروف بـ«الشهيد الثاني»، تحقيق: رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلامى، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩ ـ ١٣٦٨ش.

٣٦٩. *المواقف:* عبدالرحمان بن أحمد عضدالدين القاضي الايجي، تحقيق: عبدالرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

٣٧٠. *المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:* أحمد القسطاني، مكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣٧١. *مودة القربى:* علي بن شهاب الدين الحسيني العلوي الشافعي الهمداني.

٣٧٢. *الموضوعات:* أبوالفرج عبدالرحمان بن علي (ابن الجوزي)، مكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٦.

٣٧٣. *المهذب:* قاضى عبدالعزيز بن براج الطرابلسي، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، سنة ١٤٠٦.

٣٧٤. *ميزان الاعتدال في نقد الرجال:* شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٢.

ن

٣٧٥. *النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر:* الفاضل المقداد السيوري الحلّي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧.

٣٧٦. ***ناگفته هايى از حقايق عاشورا:*** السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، للطبعة الثالثة، قم، سنة ١٣٨٨ ش.

٣٧٧. ***نتائج الأفكار في نجاسة الكفار:*** السيد محمدرضا الگلپايگاني، الطبعة الأُولى، دارالقرآن الكريم، قم، ١٤١٣.

٣٧٨. ***النجاة في القيامه في تحقيق أمر الإمامة:*** ميثم بن علي البحراني، مجمع الفكر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٧.

٣٧٩. ***نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين:*** محمّد بن يوسف الزرندي الحنفي، مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٧.

٣٨٠. ***نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:*** السيد علي الحسيني الميلاني، الطبعة الأُولى، قم، سنة ١٤١٨.

٣٨١. ***النكت الاعتقادية:*** محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري للبغدادي، تحقيق: رضا المختاري، دار المفيد، بيروت.

٣٨٢. ***نگاهى به آيه ولايت:*** السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الاسلامية، قم، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٩ ش.

٣٨٣. ***نوادر الأصول في أحاديث الرسول:*** أبوعبدالله محمّد بن علي (الحكيم الترمذي)، تحقيق: عبدالرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٩٢ م.

٣٨٤. *نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة* عليهم السلام: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، موسسة الإمام المهدى عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠.

٣٨٥. *النهاية في غريب الحديث والأثر*: مبارك بن محمّد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمّد الطناجي، مؤسسة الإسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٦٤ش.

٣٨٦. *نهاية الأفكار*: علي بن ملا محمد كبير (الآقاضياء العراقي)، مؤسسة النشر، سنة ١٤٠٥ ـ ١٣٦٥ش.

٣٨٧. *نهاية الدراية في شرح الكفايه*: الشيخ محمد حسين الغروي الإصفهاني، السيد الشهداء عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٤ ش.

٣٨٨. *النهاية في غريب الحديث والأثر*: مبارك بن محمّد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمّد الطناجي، مؤسسة الإسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٦٤ش.

٣٨٩. *نهج الإيمان*: علي بن يوسف بن جبر، تحقيق: أحمد الحسيني، مجتمع الإمام الهادى عليه السلام، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤١٨.

٣٩٠. *نهج الحقّ وكشف الصدق*: العلامه حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تحقيق: السيد رضا صدر، تعليق: عين الله الحسني الأرموي، دار الهجرة، قم، سنة ١٤٢١.

٣٩١. *نيل الأوطار*: محمّد بن على بن محمّد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٣ م.

و

٣٩٢. *الوافى بالوفيات*: صلاح الدين الصفدي، دار احياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠.

٣٩٣. *الوافيه في أصول الفقه*: عبدالله بن محمد البشروي الخراساني، مؤسسة مجمع الفكر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢.

٣٩٤. *وسائل الشيعه*: الشيخ محمد بن حسن الحرّ العاملي، مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٢.

٣٩٥. *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*: أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي النيشابوري.

٣٩٦. *وسيلة المتعبدين في سيرة السيد المرسلين*: عمر بن محمد بن خضر الأردبيلي الموصلي الصوفي.

٣٩٧. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*: شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن الخلّكان (ابن الخلّكان)، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٣٩٨. *وقعة صفين*: نصر بن مزاحم المنقري، مؤسسة العربيه الحديثة، القاهرة، مكتبة آيت الله النجفي المرعشي، قم، سنة ١٤٠٣.

هـ

٣٩٩. *الهداية الكبرى*: أبو عبدالله حسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١١.

٤٠٠. *هداية المسترشدين*: الشيخ محمد تقي النجفي الإصفهاني، مؤسسة نشر الإسلامى، قم.

ی

٤٠١. *يتيمة الدهر*: عبدالرحمان بن محمّد الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٣.

٤٠٢. *اليقين في امرة أمير المؤمنين* عليه السلام: رضي الدين علي بن موسى بن الطاووس الحسني، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٦٩.

٤٠٣. *ينابيع المودّة لذوي القربى*: سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الاسوه، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٦.

المحتويات

القسم السادس

الدعاء والتوسُّل